سلسلة رسائل الجامعة الإسلامية

قِصَصُ النِّسَاءِ فِيْ القرآنِ

والدُّروسُ والعِبَرُ والأحكامُ المُستفادةُ منهَا



تأليف فضيلة الدكتور

محمد بن ناصر الحُميّد

الجامعة الإسلامية _ المدينة المنورة



قصص النساء

في القرآن الكريم

والدروس والعبر والأحكام المستفادة منها

تأليف
فضيلة الدكتور
محمد بن ناصر الحميّد
الجامعة الإسلامية - المدينة النبوية

دار الكتاب والسنة
تعتز بخدمة الكتاب والسنة

الناشـــر

دار الكتاب والسنة

للطباعة والنشر والترجمة

لصاحبها/ أرشد بيك مغل



قصص النساء

في القرآن الكريم

والدروس والعبر والأحكام المستفادة منها

ح محمد بن ناصر الحميد ، ١٤٢٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحميد، محمد بن ناصر

قصص النساء في القرآن الكريم والدروس والعبر والاحكام المستفادة منها.- الرياض

٤٠٠ ص ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ١ - ٠٨٦ - ٣٩ - ٩٩٦٠

١- قصص القرآن ٢- الوعظ والإرشاد أ- العنوان

ديوي ٢٢٩٫٥ ٢٢/٠٧٤٥

رقم الإيداع: ٢٢/٠٧٤٥

ردمك: ١ - ٠٨٦ - ٣٩ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

ربيع الآخر ١٤٢٢هـ - تموز (يولية) ٢٠٠١م

كِتَابُ اللّهِ عَزَّ وَجلَّ قولي وَمَا صحّتْ بِهِ الآثَارُ دِينِي
فدَعْ مَا صَدَّ عن هذي وَخُذْها تَكُن مِنها عَلى عَيْنِ اليَقِينِ

[نفح الطِّيب لِلمقري (١٢٧/٢)]

شركة دار الكتاب والسنة للنشر الدولي

DAR AL-KITAB WA AL-SUNNAT
INTERNATIONAL PUBLISHING COMPANY
G.P.O Box No. 1452 Lahore: 54000 Pakistan
P.O. Box No. 110 Riyadh: 11373 K.S.A Tel. 0096655281537
P.O. Box No. 3758 Rasalkhaima U.A.E Tel. 00971505404839
BIRMINGHAM (UNITED KINGDOM)
website: darkitab.com E-mail: info@darkitab.com or sales@darkitab.com



مقدمة الناشر

❑ الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى. الحمد لله الذي خلق الذكر والأنثى. الحمد لله الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد.

❑ فيسر **دار الكتاب والسنة** أن تتقدم إلى قرائها الكرام بهذا الإصدار الجديد والذي بعنوان:

قصص النساء في القرآن الكريم
والدروس والعبر والأحكام المستفادة منها

❑ وهو في الأصل رسالة دكتوراه **للدكتور / محمد بن ناصر الحميد** وفقه الله كان قد تقدم بها إلى قسم التفسير بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

❑ وتبرز أهمية هذا الكتاب في هذه الأيام مع اشتداد الحملات المسعورة التي تشن على الإسلام من جهات عديدة لا سيما مع بروز ما يسمى

(بالعولمة) و (النظام العالمي الجديد) حيث يُستغل موضوع المرأة وتحريرها وحقوقها أبشع استغلال ، وتنج الكلاب المسعورة فيصم نُباحها الآذان وتغطي هذه الأصوات على ما عداها من الأصوات حتى ليظن البعض أنها تقول الحق ، والحق منهم براء.

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[1] .

- من هنا تأتي أهمية هذا الكتاب . الذي يبرز مكانة المرأة في دين الله – الذي هو الإسلام – على مدار التاريخ ، وليبين أن الإسلام قد أعلى من شأن المرأة ، وانتشلها من السفح الوطيء على مرّ التاريخ . ذلك السفح الوبيء الذي يريد الغرب الكافر وأذنابه أن يعيدوها إليه باسم تحريرها والدفاع عن حقوقها !.

- إن هذا العدد الكبير من القصص في القرآن الكريم يبين عناية القرآن بالمرأة حيث أورد لها تلك القصص لتستفيد منها أحكاماً ودروساً وعبراً تُعينها على السير في هذه الحياة على نور وبصيرة.

- كما تَبّين بهذا البحث عناية علماء الأمة قديماً وحديثاً باستنباط الأحكام والدروس والعبر من هذه القصص.

نسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يجعله ذخراً لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

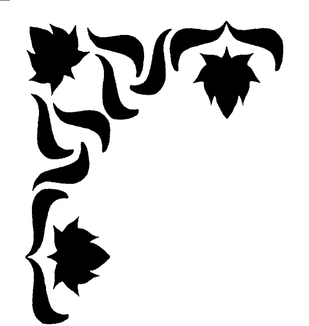
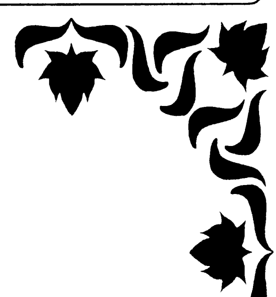
وكتبه

أرشد مغل / أبو سلطان

الرياض في ١٤٣٢/٠٤/٠١هـ

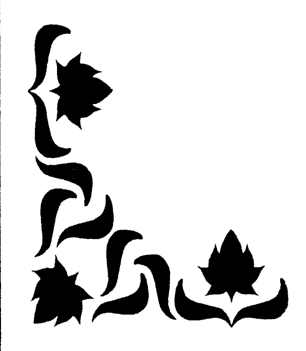
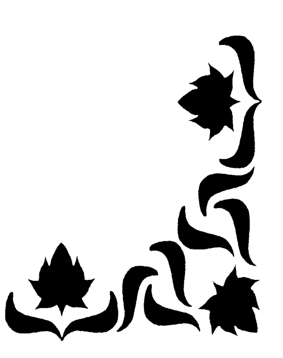
---

(١) سورة الكهف الآية : [٥] .



المقدمة



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان من طين، وجعل نسله من سلالةٍ من ماءٍ مهين، خلق فسوى وقدَّر فهدى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى الذي أرسله الله بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد

فقد شاء الله ﷻ بحكمته أن يكون البشر من ذكرٍ وأنثى، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ... ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ... ﴾[2].

فكل من الجنسين يكمل بعضه بعضا، ولا غنى لأحدِ الجنسين عن الآخر، ولقد شرع الله ﷻ لعباده أحكاماً يسيرون عليها كي يسعدوا

(١) سورة النساء الآية: [١].
(٢) سورة الحجرات الآية: [١٣].

في دنياهم وأُخراهم ، وجعل منها ما هو خاصٌ بالرجال، ومنها ما هو خاصٌ بالنساء، ومنها ما هو مشتركٌ بينهما، كما أن الله تعالى رغَّب عباده ورهبهم.

ومن الأساليب التى وردت في كتاب الله ﷻ للترغيب والترهيب إيراد قصص السابقين ليعتبر الناس بها . ولقد كان للنساء نصيب كبير من القصص التى حواها الكتاب العزيز؛ ولأجل ذلك عزمت على جمع تلك القصص الخاصة بالنساء والوقوف عندها واستلهام الدروس والعبر واستنباط الأحكام منها ، فشرعت في عمل خطة لبحثٍ يناقش هذا الموضوع الهام لأقدمه إلى قسم التفسير بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية لنيل درجة العالِميَّة الدكتوراه.

وقد سميت هذا البحث [**قِصصُ النساءِ في القرآنِ الكريمِ والدروس والعبر والأحكامُ المستفادةُ منها**] فأسأل الله ﷻ بجليل أسمائه وعظيم صفاته أن يوفقني في إخراج هذا البحث على الوجه اللائق به ليكونَ علماً نافعاً ودواءً ناجعاً للأمةِ عموماً وللنساءِ خصوصاً، وما توفيقي إلاَّ باللّهِ عليهِ توكلتُ وإليهِ أنيب.

أولاً: أسباب اختيار الموضوع

١) كون القصص أحد الجوانب التى اشتمل عليها القرآن الكريم.

٢) عناية القرآن الكريم بذكر القصص الخاصة بالنساء.

٣) إنَّ الكتب التىتحدثت عن قصص النساء في القرآن أدخلت فيها ما ليس منها وقصَّرت في استيفاء ما ورد في القرآن منها.

٤) محاولة الوقوف على الفوائد والدروس والعبر التى تؤخذ من تلك القصص، وإفادة المرأة المسلمة من ذلك.

٥) لم يسبق فيما أعلم الكتابة في هذا الموضوع كتابة مستقلة على النحو الذي قصدته في بحثي هذا.

ثانياً: أهميته

إنَّ لهذا الموضوع أهمية بالغة تتمثل في النقاط الآتية:

١) إنَّ هذا الموضوع الهام يخدم التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

٢) إنَّ قصص النساء في القرآن الكريم حملت في طياتها أحكاماً شرعية، وفوائد تربوية تخدم المرأة المسلمة وتعينها على السير في هذه الحياة، والصمود أمام سهام الأعداء التي تتوالى عليها.

٣) علاقة هذا الموضوع بالمسألة الأصولية وهي: هل شرع مَنْ قبلنا شرع لنا؟

٤) كون هذا الموضوع يبرز شخصية المرأة المؤمنة في صمودها أمام تيارات الكفر وضغوط الجبابرة كحال امرأة فرعون.

٥) معرفة الأمور الفطرية عند النساء كالحياء والعفة والغيرة وغيرها وذلك من خلال هذه الدراسة.

ثالثاً: خطة البحث

يشتمل هذا البحث على **مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة** ثم **الفهارس**.

فأمَّا المقدمة فذكرت فيها النقاط الآتية:

أولاً: أسباب اختيار الموضوع

ثانياً: أهميته

ثالثاً: خطة البحث

رابعاً: منهجي في البحث

وأمَّا **التمهيد** فذكرت فيه النقاط الآتية:

أولاً: تعريف القصة

ثانياً: أنواع القصص

ثالثاً: أهمية القصص

رابعاً: أغراض القصص

خامساً: القصص القرآني بين التكرار وعدمه

سادساً: الروايات الإسرائيلية والموقف منها

سابعاً: العمل بشرع من قبلنا

ثامناً: الدراسات السابقة

وأمَّا **الباب الأول** فجعلته في قصص القريبات من النساء، وفيه ثلاثة فصول:

۞ الفصل الأول: قصص الأمهات، وفيه ستة مباحث:

☆ المبحث الأول: قصة أم يوسف عليه السلام

☆ المبحث الثاني: قصة أم موسى عليه السلام

☆ المبحث الثالث: قصة أم الغلام الكافر

☆ المبحث الرابع: قصة امرأة عمران

☆ المبحث الخامس: قصة مريم

☆ المبحث السادس: قصة أم الكافر العاق

۞ الفصل الثاني: قصص الزوجات، وفيه أحد عشر مبحثاً:

☆ المبحث الأول: قصة حواء

☆ المبحث الثاني: قصة امرأة نوح عليه السلام

☆ المبحث الثالث: قصة امرأة لوط عليه السلام

☆ المبحث الرابع: قصة امرأة إبراهيم عليه السلام

☆ المبحث الخامس: قصة امرأة أيوب عليه السلام

☆ المبحث السادس: قصة امرأة موسى عليه السلام

☆ المبحث السابع: قصة امرأة زكريا عليه السلام

☆ المبحث الثامن: قصة عائشة رضي الله عنها

☆ المبحث التاسع: قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها

☆ المبحث العاشر: قصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما

☆ المبحث الحادي عشر: قصة المجادلة رضي الله عنها

۞ الفصل الثالث: قصص الأخوات والبنات، وفيه مبحثان:

☆ المبحث الأول: قصة أخت موسى عليه السلام

☆ المبحث الثاني: قصة ابنتي صالح مدين

وأمَّا **الباب الثاني** فجعلته في قصص متفرقة في النساء، وفيه ثلاثة فصول:

۞ الفصل الأول: قصص ذوات الجاه والسلطان، وفيه أربعة مباحث:

☆ المبحث الأول: قصة امرأة العزيز

☆ المبحث الثاني: قصة امرأة فرعون

☆ المبحث الثالث: قصة ملكة سبأ

☆ المبحث الرابع: قصة امرأة أبي لهب

۞ الفصل الثاني: قصص المستضعفات، وفيه أربعة مباحث:

☆ المبحث الأول: قصة نساء بني إسرائيل

☆ المبحث الثاني: قصة أم الغلام مع أصحاب الأخدود

☆ المبحث الثالث: قصة وأد البنات

☆ المبحث الرابع: قصة المستضعفات المؤمنات بمكة

۞ الفصل الثالث: قصة المرأة الحمقاء

ثم **الخاتمة**. وقد ذكرت فيها نتائج البحث ويليها الفهارس وهي على النحو الآتي[1]:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً: فهرس المصادر والمراجع

رابعاً: فهرس الموضوعات

رابعاً: منهج الكتابة في البحث

سرت في هذا البحث على الطريقة الآتية:

أولاً: قمت بجمع مادة هذا البحث من خلال تتبعي بالاستقراء لآيات القرآن الكريم والاستعانة بالفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم لمؤلفه محمد فؤاد محمد، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمؤلفه محمد فؤاد عبدالباقي، وكذلك الكتب التى خصت بالكتابة عن قصص النساء في القرآن الكريم

ثانيـــاً: قصرت الحديث في هذا البحث على النساء اللاتي نزل القرآن قاصداً لذكر قصصهن، ولم أحدث عن الآيات التى نزلت لبيانِ الحكم فقط في حادثة وردت في سبب النزول.

ثالـــثاً: جعلت تقسيم البحث بحسب القرابة أو بحسب المكانة الاجتماعية مراعياً التسلسل التاريخيَّ لتلك القصص بحسب الإمكان؛ فلعل ذلك يكون أكثر وضوحاً وأعظم نفعاً للقراء عموماً وللنساء خصوصاً.

---

(١) رأينا أنه لا داعي للفهارس المذكورة ، والاكتفاء بفهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات ، والله من وراء القصد . الناشـــــر

رابعـــاً : جعلت لكل قصة مدخلاً يناسب موضوع تلك القصة، وذكرت فيه الآيات الواردة في تلك القصة حسب ترتيبها في السور.

خامســاً : بيَّنت غريب ألفاظ آيات القصة مختاراً بذلك المعنى الأجود والأوضح المذكور في كتب التفسير وغريب ألفاظ القرآن.

سادســاً : عرَّفت بالمرأة صاحبة القصة مبيناً إن كان ذلك الاسم ثابتاً بخبرٍ صحيح في القرآن أو في السنة، أو لم يثبت وإنما نُقِلَ عن كتب التاريخ.

ســابعاً : عرضت القصة القرآنية مقتصراً في ذلك على ما ورد في القرآن الكريم وإن كان في السنة ما هو تابع لتلك القصة القرآنية أو مبيناً لها ذكرته.

ثامــناً : ذكرت الروايات والأخبار الواردة عن بعض السلف والتى نُقلت إليهم عن بني إسرائيل وغيرهم، واعتمدت في جمع تلك الروايات على تفسير ابن جرير الطبري والدر المنثور للسيوطي لكونهما جمعا الكثير من تلك الروايات مع الاستعانة ببعض المصادر الأخرى.

تاســعاً : نقدت تلك الروايات مبيِّناً ما هو صحيح مؤيد بالكتاب أو السنة ، وما هو باطل ، وما هو مسكوت عنه من تلك الروايات.

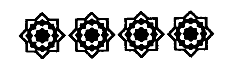
عاشــرا : بيَّنت الأحكام المستفادة من القصة، مبيناً الدليل من آيات القصة نفسها، واجتهدت في ذكر أدلة أخرى تشهد لذلك الحكم.

الحادي عشر : بيَّنت الدروس والعبر المستفادة من القصة مع ذكر الدليل من آيات القصة نفسها، ثم اجتهدت في ذكر أدلة أخرى تشهد لذلك.

الثاني عشر : عزوت الآيات القرآنية، وما تكرر منها في الموضوع نفسه اكتفيت عن ذلك بما تقدم في مدخل القصة.

الثالث عشر : خرَّجت الأحاديث من كتب السنة، وما كان منها في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بتخريجها منه؛ كما أنني بيَّنت درجة تلك الأحاديث من حيث الصحة أو الضعف مستنداً إلى أقوال النقاد والمحققين.

الرابع عشر : بيَّنت معاني المفردات الغريبة التى وردت في البحث، وكذلك مواقع البلدان التي مرَّ ذكرها في البحث.



كلمة شكر

أشكر الله تبارك وتعالى على ما منَّ به عليَّ من إتمام هذا البحث والسير في هذا الطريق الذي هو أشرف المسالك وبه ترفع الدرجات وتُدرك أعلى الغايات وهي رضوان الله تبارك وتعالى وجنته أسأله ﷻ أن يبلغنا ذلك المقصود.

ثم أُسدي شكري لوالديَّ اللذين كان لهما الفضل عليَّ بعد الله تعالى ولما كان من شكر الله تعالى شكر من أسهم معي في إخراج هذا البحث فإنني أشكر مشرفي الشيخ الدكتور محمد عمر حوية الذي أفادني بآرائه السديدة وتوجيهاته المفيدة فجزاه الله على ذلك خير الجزاء

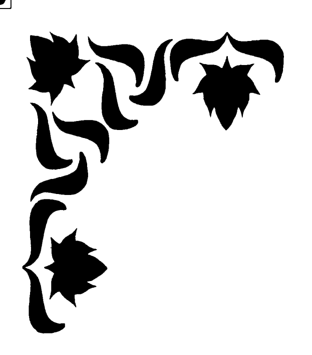
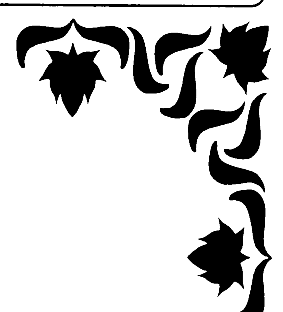
كما لا يفوتني أن أشكر مشرفي السابق الشيخ الدكتور أحمد بن عبدالله الزهراني الذي أخذ بيدي في وضع اللبنات الأولى لهذا البحث فنعم المؤسس ونعم المتم جزاهما الله عني خير الجزاء

كما أشكر الجامعة الإسلامية التى رعت ثلةً من شباب الأمة لينهلوا من معينها فيصبحوا ثماراً يانعة وقدوة صالحة فجزى الله رجالها الناصحين المخلصين خير الجزاء على ما يقدمونه للأمة وشبابها.

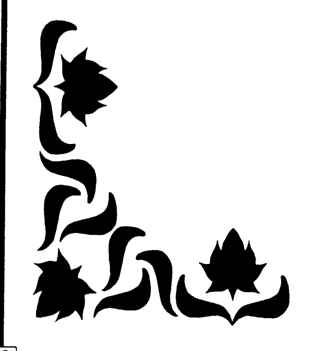
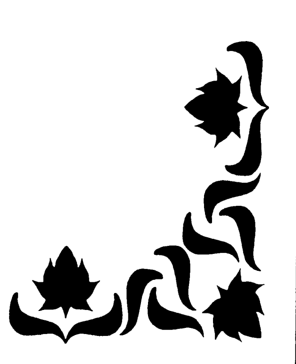
وكذلك أقدم شكري واعترافي بالجميل لأخي خالد الذي وقف معي حتى بلغت مراحل الدراسات العليا، وكذلك أشكر بناته على ما بذلنه من قراءة وكتابة فجزاهم الله خيراً.

كما أشكر أخي حميِّد على ما أسداه من عون وإرشاد أثابه الله أحسن الثواب، كما أشكر زملائي وأخص منهم بالذكر الأخوة فرجَ بن فريجٍ العوفي، وحازمَ بن سعيدٍ، و محمدَ شفاعت، ثم أختم شكري لأولئك الناس وأتوج ذلك بالشكر والعرفان لأخي ورفيقي أبي عبيدة بن يحيى ابن حامد الذي لم يأل جهداً في البذل والعطاء والنصح والوفاء فله مني جزيل الشكر والثناء، وأسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء على ما كان منه من تعب وعناء في الوقوف بجانبي حتى أتممت هذا البحث، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.



تمهيد



التمهيد

أولاً: تعريف القصة

جاء في الصحاح للجوهري عند مادة (قصص) ما نصه:" قص أثره أي تتبعه قال الله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴾[1]. وكذلك اقتص أثره، وتقصَّص أثره ، والقِصة الأمر والحديث وقد اقتصَصْت الحديث رويتُه على وجهه، وقد قصّ عليه الخبر قَصَصاً والاسم أيضاً القَصَصُ بالفتح وُضِع موضع المصدر حتى صار أغلبَ عليه، والقِصص بكسر القاف جمع القِصة التي تُكتب "[2].

وذكر ابن منظور عند مادة ((قصص)) ما نصه:" والقِصة الخبر وهو القَصَصُ ، وقصَّ عليَّ خبره قصّاً وقَصَصاً: أورده ، والقَصَص الخبر المَقْصوص بالفتح وُضع موضع المصدر حتى صار أغلبَ عليه، والقِصص بكسر القاف جمع القِصة التى تكتب "[3].

وقال ابن فارس في ((قصّ)):" القاف والصاد أصلٌ صحيح يدل على تتبع الشيء، من ذلك قولهم : اقتصصتُ الأثرَ، اذا تتبَّعْتَه ، ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح، وذلك أن يُفْعَل به مثل فعله بالأول، فكأنه اقتص أثره، ومن الباب القِصة والقَصص كل ذلك يتبع فينذكر "[4].

---

(١) سورة الكهف، الآية: [٦٤].
(٢) جـ٣، ص:[١٠٥١].
(٣) لسان العرب، جـ٧، ص:[٧٤].
(٤) معجم مقاييس اللغة، جـ٥، ص:[١١].

وذكر الفيومي عند المادة نفسها ما نصه:" قصصته ((قصاً)) من باب قَتَل قطعته، وقَصَصْت الخبر من باب قَتَل أيضاً حَدَّثت به على وجهه، والاسم القَصَص بفتحتين ، وقصصت الأثر تتبعته، ((والقصة)) الشأن والأمر يقال: ما ((قصتك)) أي ما شأنك؟ والجمع ((قِصص)) مثل سِدْرة وسِدَر "(١) . ويتلخص من هذا أنَّ القصة هي الأمر والشأن يُتَّبع فيذكر ، وجمعها قصص.

ثانياً : أنواع القصص

تنقسم القصة في القرآن إلى ثلاثة أقسام:

١) قسم عن الأنبياء والرسل وما جرى لهم مع المؤمنين والكافرين.

٢) قسم عن أفراد وطوائف جرى لهم ما فيه عبرة، فنقله الله تعالى عنهم كقصة مريم، ولقمان، والذي مَرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب الكهف، وأصحاب الأخدود وغير ذلك.

٣) قسم عن حوادث وأقوام في عهد النبي ﷺ كقصة غزوة بدر، وأُحد، والأحزاب، وبني قريظة، وبني النضير، وزيد بن حارثة، وأبي لهب وغير ذلك(٢).

ثالثاً : أهمية القصص

للقصص القرآني أهمية بالغة فمن ذلك:

١) إن القصص القرآني يصور لنا في أحداثه الإيمان والكفر في نفوس الناس ، ويعرض نموذجاً متكرراً للقلوب المستعدة للإيمان، ونموذجاً متكرراً للقلوب المستعدة للكفر، فيعرف المرء بذلك

---

(١) المصباح المنير، جـ٢، ص:[٥٠٦].

(٢) أصول في التفسير لابن عثيمين، ص:[٤٩]، ومباحث في علوم القرآن لمنّاع القطان، ص:[٣١٧].

حقيقة كلا الفريقين ويستنير بذلك[1]، وقد قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [2].

٢) قصص الأنبياء في القرآن يمثل موكب الإيمان، ويعرض قصة الدعوة إلى الله واستجابة البشرية لها جيلاً بعد جيل، كما يعرض الإيمان في نفوس هذه النخبة المختارة من البشر وطبيعة تصورهم للعلاقة بينهم وبين ربهم الذي خصهم بهذا الفضل العظيم، وتتبُّع هذا الموكب الكريم يفيض على القلب رضاً ونوراً وشفافية، ويشعر بنفاسة هذا العنصر العزيز - عنصر الإيمان - وأصالته في الوجود، ويكشف كذلك عن حقيقة التصور الإيماني ويميزه في الحس من سائر التصورات الدخيلة[3].

٣) إن القصص يكشف للمؤمنين عن نهاية الطريق ، ويُريهم معالمه في مراحله جميعاً ، ويأخذ بأيديهم وينقل خُطاهم في هذا الطريق، فلقد كان هذا القصص ينزل على رسول الله ﷺ في مكة والقلة المؤمنة معه محصورة بين شعابها والدعوة الإسلامية مجمدة فيها والطريق شاق طويل لا يكاد المسلمون يرون له نهاية[4].

٤) تعد القصة أقدر الآثار الأدبية على تمثيل الأخلاق وتصوير العادات ورسم خلجات النفوس. كما أنها - إذا شرف غرضها ونبل مقصدها وكرمت غايتها - تهذب الطباع وترقق القلوب، وتدفع الناس إلى المثل العليا من الإيمان والواجب والحق والتضحية والكرم والشرف والإيثار[5] وقد قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [6].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، جـ٣، ص:[١٣٠٦].
(٢) سورة البلد، الآية: [١٠].
(٣) انظر: في ظلال القرآن، جـ١، ص: [٥٥].
(٤) في ظلال القرآن بتصرف، جـ٤، ص: [١٩٤٨].
(٥) قصص العرب، جـ١، ص: [٣].
(٦) سورة يوسف، الآية: [١١١].

٥) إن القصة أسلوب من أساليب التربية بجميع أنواعها ؛ تربية الروح وتربية العقل وتربية الجسد والتربية بالقدوة والتربية بالموعظة، فهي سجل حافل لجميع التوجيهات[(١)].

رابعاً : أغراض القصص

القصص القرآني حقيقة لا خيال قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾[(٢)] وقال: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾[(٣)] ولم يرد القصص القرآني لمجرد المتعة، وإنما سيق لأغراض وحكم عظيمة فمن ذلك:

١) إن قصص القرآن الكريم هو قصص لأمور واقعة، يُساق للعبر وإعطاء المثلات وبيان مكان الضالين ومنزلة المهتدين وعاقبة الضلال وعاقبة الهداية، وبيان ما يقوم به النبيون ووراءهم كل الدعاة إلى الحق[(٤)] قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾[(٥)].

٢) إن القصة في القرآن الكريم بأسلوبها الرائع الذي تذعن له النفوس وتخشع له القلوب، وتطأطِئ له الرؤوس، ذات تأثير عظيم، وتُعَدُّ أُسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله[(٦)].

---

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية بتصرف، جـ١، ص: [١٩٤].
(٢) سورة يوسف، الآية: [١١١].
(٣) سورة الكهف، الآية: [١٣].
(٤) انظر: المعجزة الكبرى لمحمد أبو زهرة، ص: [١٦٢،١٦٣].
(٥) سورة يوسف، الآية: [١١١].
(٦) نظرات في أحسن القصص لمحمد السيد الوكيل، جـ١، ص: [١١]، وانظر: القصص في الحديث النبوي د. محمد بن حسن الزير، ص: [٤٣٥].

٣) شد أزر المؤمنين وتسلية لهم عما يلاقون من الهموم والمصائب وتثبيت لرسول الله ﷺ ومن تبعه من أمته وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده وخذلان الباطل وأهله[١]. قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢].

٤) من أغراض القصة القرآنية بيان أن الدين كله من عند الله[٣].

٥) بيان أن المؤمنين كلهم أمة واحدة والله الواحد رب الجميع. وكثيراً ما وردت قصص عدد من الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة معروضة عرضاً سريعاً بطريقة خاصة لتؤيد هذه الحقيقة، كما في سورة الأنبياء، حيث ورد ذكر عدد من الأنبياء، ثم خاطب الله مباشرة جميع أنبيائه ورسله وأتباعهم بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾[٤] فتبين بهذه الآية الكريمة أن الأنبياء يدينون ديناً واحداً ويخضعون لرب واحد يعبدونه وحده لا يشركون به شيئاً[٥].

٦) من أغراض القصص التربوية بيان قدرة الله تعالى، بياناً يثير انفعال الدهشة والخوف من الله لتربية عاطفة الخشوع والخضوع والانقياد ونحوها من العواطف الربانية[٦].

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها لعبدالرحمن النحلاوي، ص: [٢١٦]، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص: [٣١٨].

(٢) سورة هود، الآية: [١٢٠].

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها لعبدالرحمن النحلاوي، ص: [٢١٥].

(٤) سورة الأنبياء، الآية: [٩٢].

(٥) أصول التربية الإسلامية وأساليبها لعبدالرحمن النحلاوي، ص: [٢١٦].

(٦) أصول التربية الإسلامية وأساليبها لعبدالرحمن النحلاوي، ص: [٢١٦].

٧) إثبات الوحي وإظهار صدق محمد ﷺ في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال، فإن الذي جاء بالرسالة أمي لم يقرأ الكتب حتى يأخذ منها[١].

٨) تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم[٢].

٩) مقارعة أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل[٣] كقوله تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[٥].

خامساً: القصص القرآني بين التكرار وعدمه

من القصص القرآنية ما لا يأتي إلاّ مرة واحدة مثل قصة يوسف عليه السلام وامرأة العزيز، وقصة امرأة أبي لهب. ومنها ما يأتي متكرراً مثل قصة أم موسى وأخته، وقصة مريم ابنة عمران حسب ما تدعو إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة، ولا يكون هذا المتكرر على وجه واحد، ولكل من التكرار وعدمه حكم وأسرار.

* أسرار التكرار في قصص القرآن

١) بيان أهمية تلك القصة، لأن تكرارها يدل على العناية بها[٦].

---

(١) المرجع السابق، ص: [٢١٥]، وفي ظلال القرآن، جـ١، ص: [٣٩٦].
(٢) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص: [٣١٨].
(٣) المرجع السابق.
(٤) سورة آل عمران، الآية: [٩٣].
(٥) سورة النمل، الآية: [٧٦].
(٦) أصول في التفسير لابن عثيمين، ص: [٥٠].

٢) ظهور صدق القرآن وأنه من عند الله تعالى حيث تأتي هذه القصص متنوعة بدون تناقض(١).
٣) توكيد تلك القصة لتثبت في قلوب الناس(٢).
٤) إعلام المشركين بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثل هذا القرآن، بأي نظم جاؤوا وبأي عبارة عبَّرُوا(٣).
٥) بيان فصاحة القرآن وبلاغته بتكرار القصة الواحدة بألفاظٍ مختلفة(٤).
٦) جذب النفوس إلى سماع القصة بتغيير أسلوبها في الطول والقصر والتقديم والتأخير؛ فإن النفس مجبولة على حب التغيير والتنقل(٥).
٧) مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها؛ ولهذا تجد الإيجاز والشدة غالباً فيما أتى من القصص في السور المكية والعكس فيما أتى في السور المدنية(٦).
٨) قد يقرأ المرء بعض القرآن ويحفظ شيئاً منه فينال نصيباً من القصص القرآني فيما قرأ وحفظ، ويجد فيه العبر والمواعظ، فكان هذا سراً من أسرار تكرارها(٧).

---

(١) المرجع السابق والصفحة نفسها.
(٢) المرجع السابق والصفحة نفسها.
(٣) انظر: أسرار التكرار في لغة القرآن د. محمود السيد شيخون، ص: [٧٧]، وانظر: مباحث في علوم القرآن لمنَّاع القطان، ص: [٣١٩].
(٤) انظر: أسرار التكرار في لغة القرآن د. محمود السيد شيخون، ص: [٧٧].
(٥) انظر: المرجع السابق والصفحة نفسها، وانظر: مباحث في علوم القرآن لمنَّاع القطان، ص: [٣١٨].
(٦) أصول في التفسير لابن عثيمين، ص: [٥٠]، انظر: أسرار التكرار د. محمود السيد شيخون، ص: [٧٦].
(٧) انظر: أسرار التكرار في لغة القرآن د. محمود السيد شيخون، ص: [٧٧].

٩) إن ما يُكرر من قصص الأنبياء إنما يُكرر لإفادة إهلاك من كذبوا رسلهم ، والحاجة داعية إلى ذلك لتكرار تكذيب الكفار لرسول الله ﷺ؛ فكلما كذبوا أُنزلت قصة منذرة بحلول العذاب كما حل بالمكذبين(١)، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (٢).

*** أسرار عدم التكرار في بعض القصص**

١) الإشارة إلى عجز العرب؛ فإنهم لن يستطيعوا أن يسوقوا قصة يوسف مثلاً بأسلوبٍ بليغ آخر على منهج القرآن في تكرار بعض القصص(٣).

٢) عدم التكرار لأجل الستر كما في قصة امرأة العزيز والنسوة(٤).

٣) نزول القصة بطلبٍ من الصحابة رضوان الله عليهم من الرسول ﷺ أن يبينها لهم كقصة يوسف عليه السلام فتنزل مبسوطة تامة؛ ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة وترويح النفس والإحاطة بطرفيها(٥).

سادساً : الروايات الإسرائيلية والموقف منها

لقد أوردت في هذا البحث الإسرائيليات التى نقلها السلف وبيَّنت الموقف منها ؛ فكان من الضروري أن أُبيِّن معنى الإسرائيليات وأقسامها وماذا ينبغي علينا تجاهها؟

---

(١) المرجع السابق، ص: [٨٠].
(٢) سورة الأنفال، الآية: [٣٨].
(٣) انظر: أسرار التكرار في لغة القرآن د. محمود السيد شيخون، ص: [٧٩].
(٤) انظر: المرجع السابق.
(٥) انظر: المرجع السابق.

*** تعريف الإسرائيليات**

الإسرائيليات جمع إسرائيلية نسبة إلى بني إسرائيل والنسبة في مثل هذا تكون لعجز المركب الإضافي لا لصدره، وإسرائيل أي: عبدالله وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب ومن تناسلوا منهم فيما بعد[1]، ولفظ الإسرائيليات يعم اللون اليهودي والنصراني للتفسير وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية، وإطلاق هذه التسمية من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني، فإن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره فكثر النقل عنه[2].

*** أقسام الإسرائيليات**

تنقسم الأخبار الإسرائيلية إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : ما يعلم صحته بأن نُقل عن النبي ﷺ نقلاً صحيحاً، أو كان له شاهد من الشرع يؤيده، فهذا القسم المقبول.

القسم الثاني : ما يعلم كذبه بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا، أو كان لا يتفق مع العقل السليم، وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته

القسم الثالث : ما هو مسكوت عنه، وهذا القسم لا يصدق ولا يكذب، وتجوز روايته[3] لقوله ﷺ: ((لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا))[4].

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد أبي شهبة، ص: [١٢]، وانظر: التعريف بالقرآن والحديث لمحمد الزفزاف، ص: [١٦٧].

(٢) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي، جـ١، ص: [١٦٥].

(٣) التفسير والمفسرون للذهبي، جـ١، ص: [١٧٩]، وانظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي، ص: [٣٦]، وانظر: مناهل العرفان للزرقاني، جـ٢، ص: [٢٤].

(٤) صحيح البخاري مع الفتح : كتاب التفسير باب (قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا)، جـ٨، ص: [٢٠].

سابعاً : العمل بشرع من قبلنا

لقد تناولت عبر بحثي هذا الأحكام المستفادة من القصص وجُلّ هذه القصص كانت في الأمم السابقة، وهذا مما يدعوني إلى الكلام على هذه المسألة الأصولية: وهي هل شرع مَنْ قبلنا شرع لنا؟

للعلماء في المسألة قولان قال بعضهم: إنه شرع لنا، وقال آخرون: ليس شرعاً لنا[1] .

وأنقل ها هنا طرفاً من كلام الشيخ الشنقيطي رحمه الله في المسألة حيث قال: " وحاصل ما ذكره المؤلف[2] في هذا الأصل أن فيه قولين ورجح أنه شرع لنا إن ثبت بشرعنا أنه كان شرعاً لمن قبلنا ولم ينسخ في شرعنا وهو مشهور مذهب مالك وأبي حنيفة، ومشهور مذهب الشافعي: أنه ليس شرعاً لنا، وحاصل تحرير هذه المسألة أن لها واسطة وطرفين: طرف يكون فيه شرعاً إجماعاً، وطرف يكون فيه غير شرع لنا إجماعاً، وواسطة هي محل الخلاف المذكور. أمَّا الطرف الذي يكون فيه شرعاً لنا إجماعاً فهو ما ثبت بشرعنا أنه كان شرعاً لمن قبلنا ثم ثبت بشرعنا أنه شرع لنا كالقصاص فإنه ثبت بشرعنا أنه كان شرعاً لمن قبلنا في قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾[3] ثم صرح لنا في شرعنا

---

(١) انظر: روضة الناظر وجنة المناظر، ص: [١٤٢-١٤٥]، شرح مختصر الروضة للطوفي، جـ٣، ص: [١٦٩-١٨٤]، المحصول في علم أصول الفقه للرازي، جـ١، ص: [٣٩٧-٤١٥].

(٢) ابن قدامة في الروضة.

(٣) سورة المائدة، الآية: [٤٥].

بأنه شرع لنا في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾[1]،
وأمَّا الطرف الثاني الذي يكون فيه غير شرع لنا إجماعاً فهو أمران:

أحدهما ما لم يثبت بشرعنا أصلاً كالمأخوذ من الإسرائيليات.

الثاني ما ثبت بشرعنا أنه كان شرعاً لهم وصرح في شرعنا بنسخه كالإصر[2] والأغلال[3] التى كانت عليهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[4] وقد ثبت في صحيح مسلم أنه ﷺ لما قرأ: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾[5] ((قال الله: قد فعلت))[6].

والواسطة هي ما ثبت بشرعنا أنه شرع لمن قبلنا ولم يصرح بنسخه في شرعنا[7] .

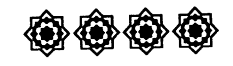
ثم بيَّن رحمه الله أن الجمهور على أنه شرع لنا[8] وهو رأي شيخ الإسلام ابن تيمية[9] كما أنه هو الذي رجحه ابن قدامة في الروضة[10].

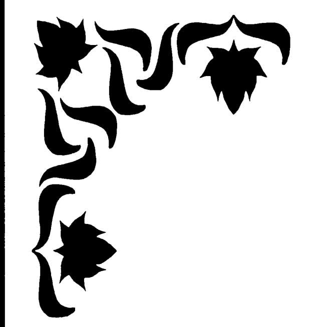
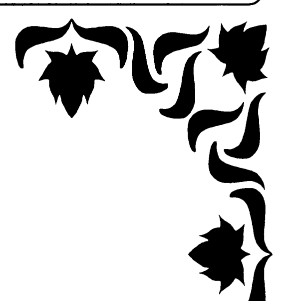
---

(١) سورة البقرة، الآية: [١٧٨].
(٢) الإصر هو العهد الثقيل، معجم مقاييس اللغة، جـ١، ص: [١١١].
(٣) جمع غل، وهو طوق من حديد يُجعل في العنق . والمراد ما شق عليهم من المحرمات، المصباح المنير، ص: [٤٥١]، وانظر: تأويل مشكل القرآن، ص: [١٤٨].
(٤) سورة الأعراف، الآية: [١٥٧].
(٥) سورة البقرة، الآية: [٢٨٦].
(٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان أنه ﷺ لم يُكلَّف إلا ما يُطاق، جـ١، ص: [١١٦].
(٧) مذكرة أصول الفقه للشنقيطي، ص: [١٦٢].
(٨) مذكرة أصول الفقه، ص: [١٦٢].
(٩) مجموع الفتاوى، جـ١٩، ص: [٧].
(١٠) انظر: روضة الناظر، جـ١، ص: [٤٠١-٤٠٢].

ثامناً: الدراسات السابقة

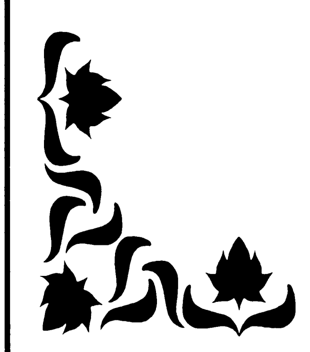
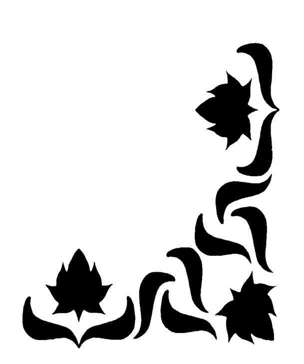
لقد كُتِب في هذا الموضوع عدة مؤلفات، منها ما اختصت بالحديث عن النساء في القرآن فقط، مثل كتاب ((قصص النساء في القرآن الكريم)) لمؤلفه جابر الشال، وكتاب ((نساء نزل فيهن قرآن)) لعبدالعزيز الشناوي، وكتاب ((النساء في القرآن الكريم)) لمؤلفه عبدالمنعم عبدالراضي الهاشمي، ومنها ماتحدث عن النساء في القرآن والسنة، مثل كتاب ((حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة)) لمؤلفه محمد صديق حسن خان، ومنها ما اشتمل الحديث فيها على الرجال والنساء في القرآن الكريم مثل كتاب ((رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا)) لمؤلفه د. عبدالرحمن عميرة، وكتاب ((نظرات في أحسن القصص)) لمؤلفه د. محمد السيد الوكيل، ورسالة الدكتور عماد زهير حافظ في مرحلة الماجستير بعنوان ((القصص القرآني بين الآباء والأبناء)) إلى غير ذلك من الكتب التى حوت في طياتها ذكر قصص النساء الواردة في القرآن الكريم، مثل ((قصص الأنبياء)) للحافظ ابن كثير، و ((تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن)) لمؤلفه الشيخ عبدالرحمن السعدي، وجُلُّ هذه الكتب عُنيت بالجانب التاريخي، والبعض منها قد عُني فيه مؤلفه باستنباط الدروس والعبر مع تفاوت بعضها عن بعض في هذا الجانب، ولعلي أن أكون في رسالتي هذه قد وُفقت إلى المزيد من استنباط الدروس والعبر إلى جانب الأحكام المستفادة من تلك القصص.

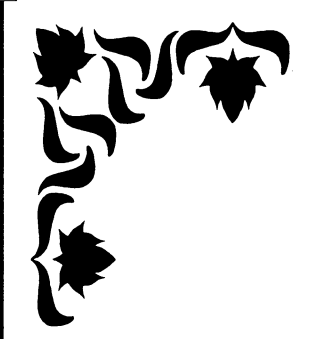
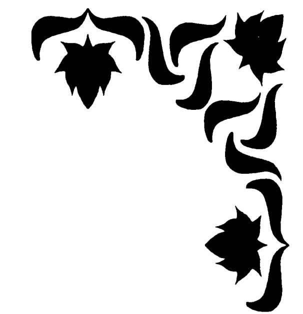


الباب الأول

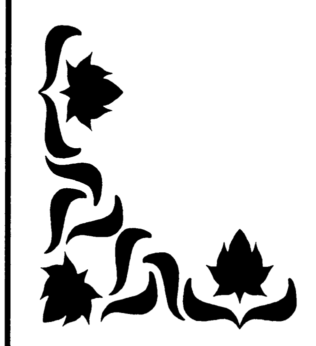
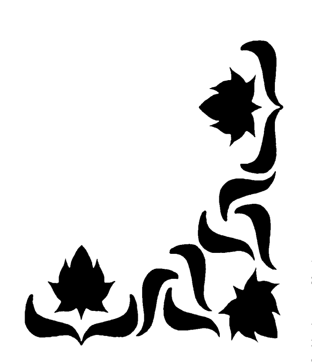
قصص
القريبات من النساء

الفصل الأول

قصص
الأمهات



المبحث الأول:

قصة أم يوسف عليه السلام

المدخل إلى القصة

قد يفقد القريب قريبه والحبيب حبيبه ولا يجد له أثراً ولا يسمع عنه خبراً مع أنه على قيد الحياة ولكن قد حيل بينهما، ثم إن الله تعالى قد يشاء اجتماعهما مرةً أخرى

قال الشاعر ((مجنون بني عامر))[1]: -

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وقد قص لنا القرآن الكريم حالة من تلك الحالات وهي لُقيا نبي الله يوسف بوالديه عليهم السلام بعد طول غيبة وعظيم كربة.

وقد وردت هذه القصة في موضع واحد من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[2].

---

(١) انظر: ديوانه، ص: [٢٢٧].

(٢) سورة يوسف، الآية: [٩٩-١٠٠].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ ﴾ : ضمهما إليه(١).

﴿ ءَامِنِينَ ﴾ : أي مما كنتم فيه في باديتكم من الجدب والقحط(٢).

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ ﴾ : الرفع هو النقل إلى العلو، ومعناه أجلسهما(٣).

﴿ ٱلۡعَرۡشِ ﴾ : سرير الحكم(٤).

﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ ﴾ : خرَّ سقط سقوطاً يسمع منه خرير، والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو(٥)، والمراد به في الآية أنهم وضعوا جباههم على الأرض تكريماً له(٦).

﴿ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ ﴾ : أي ما آلت إليه رؤياي التى كنت رأيتها(٧).

﴿ ٱلۡبَدۡوِ ﴾ : البدو مصدر من قول القائل: بدا فلان، إذا صار بالبادية يبدو بدواً، والبدو ضد الحضر(٨) سمي بدواً لأن سكانه بادون أي ظاهرون لكل وارد(٩).

---

(١) تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٥]، وتفسير البغوي، جـ٢، ص: [٤٥٠]، وتفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٣٤٧]، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، جـ٣، ص: [١٢٨].

(٢) تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٨]، وتفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣٣٥].

(٣) تفسير البغوي، جـ٢، ص: [٤٥٠]، وتفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣٣٥].

(٤) انظر: تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٧]، وتفسير البغوي، جـ٢، ص: [٤٥٠]، وتفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٣٤٨].

(٥) المفردات في غريب القرآن، ص: [١٤٤].

(٦) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، ص: [١٩]، وتفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٣٤٨]، وفتح القدير، جـ٣، ص: [٥٩].

(٧) تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٩].

(٨) انظر: القاموس المحيط، جـ٤، ص: [٣٠٤]، وتفسير البغوي، جـ٢، ص: [٢٥١].

(٩) التحرير والتنوير لابن عاشور، جـ١٣، ص: [٢٥٨]، وانظر: الصحاح للجوهري، جـ٦، ص: [٢٢٧٨].

التعريف بالمرأة

لم يثبت اسم أم يوسف عليه السلام وإنما ورد في الأخبار المروية عن بني إسرائيل أن اسمها راحيل وقيل: إن المرأة التى كانت مع يعقوب عليه السلام في دخوله إلى مصر هي خالة يوسف عليه السلام وإن اسمها ليًا وإن أمه قد ماتت(١)، والصحيح أن التي كانت مع يعقوب عليه السلام هي أم يوسف كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ ﴾(٢) فإن المراد بالأبوين الوالدان(٣).

عرض القصة

ذكر الله تعالى لنا خبر مقدم والدي يوسف وإخوته على يوسف عليه السلام بعد فراق طويل بسبب ما جرى بين يوسف وإخوته، وقد طوى القرآن الكريم ذكر سفرهم من بلادهم إلى دخولهم على يوسف عليه السلام (٤)، وتقدير الكلام: فرحل يعقوب عليه السلام بأهله وساروا حتى أتوا يوسف عليه السلام (٥) فلما دخلوا عليه ضم إليه أبويه واجتمع بهما خصوصاً وحدهما دون إخوته(٦)، وقال لوالديه وإخوته: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين أي اسكنوها واستقروا بها(٧) آمنين على أنفسكم وأنعامكم من الجوع والهلاك فإن سني القحط كانت لا تزال باقية(٨) .

---

(١) تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٧]، وتفسير البغوي، جـ٢، ص: [٤٥٠]، وتفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣٣٥]، والتعريف والإعلام للسهيلي، ص: [٨٢]، وتفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٣٤٧].

(٢) سورة يوسف ، الآية : [٩٩] .

(٣) تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٧]، وتفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣٣٥].

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور، جـ١٣، ص: [٥٥].

(٥) روح المعاني للألوسي، جـ١٣، ص: [٥٧].

(٦) قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٢٦٣].

(٧) انظر: المرجع السابق، وتفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٣٤٧]، وروح المعاني للألوسي، جـ١٣، ص: [٥٦].

(٨) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٢٦٣]، وانظر: تفسير المراغي، جـ١٣، ص: [٤٢].

وكما حظي والدا يوسف عليه السلام بإيواء ابنهما البار يوسف عليه السلام كذلك أجلسهما عنده على سرير الحكم إكراماً لهما ، فقابله الوالدان والإخوة بالتحية وسجدوا له، وهذا السجود على سبيل التشريف لا على سبيل العبادة(1)، وتحققت بذلك رؤيا يوسف عليه السلام حيث رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له. ثم إن والديه وإخوته وأهليهم قد استقروا بعد ذلك بمصر وانتقلوا من سكنى البادية بما فيها من العناء والتعب إلى سكنى الحاضرة وما فيها من النعمة والاجتماع(2) وهذه النعمة التى نالت والدي يوسف وإخوته عليه السلام حصلت لهم بسبب إنعام الله تعالى على يوسف عليه السلام والتمكين له في الأرض.

الإسرائيليات

وردت في القصة أخبار عن بني إسرائيل أجملها فيما يأتي:

روى الطبري عن ابن إسحاق أن منزل يعقوب وولده بالعربات من أرض فلسطين ثغور الشام(3) وقيل: بالأولاج(4) من ناحية الشِعب، وكان صاحب بادية وإبلٍ وشاء(5).

وروى الطبري عن السدي أن يوسف خرج يستقبل والديه ومن معهما وقال لهم: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين(6).

---

(1) انظر: تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٩]، والدر المنثور، جـ٤، ص: [٥٨٨]، وأحكام القرآن لابن العربي، جـ٣، ص: [١١٠٦].
(2) انظر: تفسير المراغي، جـ١٣، ص: [٤٤].
(3) انظر: معجم البلدان للحموي، جـ٤، ص: [٩٦-٩٨]، ولعلها ما يُعرف الآن بوادي عربة وهي منطقة صحراوية بجنوب فلسطين.
(4) جمع وَلَجة محركةً، وهي منعطف الوادي. انظر: القاموس المحيط، جـ١، ص: [٢١٩].
(5) تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٧١].
(6) انظر: تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٦]، وانظر: تفسير البغوي جـ٢، ص: [٤٥٠]، وتفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣٣٤].

وروى الطبري عن ابن عباس وابن إسحاق أيضاً أن أمه وأباه وإخوانه خرّوا ساجدين ليوسف(١).

وذكر القرطبي عن الحسن أن الله تعالى أحيا له أمهتحقيقاً للرؤيا حتى سجدت له(٢).

وذكر ابن كثير عن الحسن أن مدة الفراق بين يوسف وأهله ثمانون سنة، وعنه أيضاً أنها ثلاث وثمانون سنة، وعن قتادة أنها خمس وثلاثون سنة، وعن ابن إسحاق أنها ثماني عشرة سنة، وعنه أيضاً أنها أربعون سنة، فيما نقله عن أهل الكتاب(٣).

نقد الإسرائيليات

من هذه الروايات ما هو منكر، ومنها ما هو ثابت، ومنها ما هو مسكوت عنه : فأمَّا ما روي من أن منزل يعقوب وولده بالعربات .. الخ ففي سنده محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف(٤).

وأمَّا ما روي عن السدي من خروج يوسف عليه السلام لاستقبال والديه ففي سنده سفيان بن وكيع بن الجراح كان صدوقاً إلا أنه ابتلي بوراقه، فأدخل عليه ما ليس من حديثه، فَنُصح فلم يقبل ، فسقط حديثه(٥) وأيضاً

---

(١) انظر: تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٨]، وهو مسلسل بالضعفاء عن ابن عباس من طريق عطية العوفي.
(٢) انظر: تفسير القرطبي، جـ٩، ص: [٢٦٣].
(٣) قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٢٦٢].
(٤) انظر: تقريب التهذيب ، ص: [٨٣٩]، رقم: [٥٨٧١].
(٥) انظر: التقريب، جـ٢، ص: [٣٠٨]، رقم: [٦٦].

ظاهر القرآن إنما يدل على أن والديه وإخوته دخلوا عليه في مكان حكمه حيث ذكر الله ما جرى عند استقباله لهم من رفع أبويه على العرش وسجود والديه وإخوته له.

وأمَّا ما روي من سجودهم له فهو حق قد دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾(١).

وأمَّا ما روي من أن الله تعالى أحيا أمه لتسجد له تحقيقاً للرؤيا فقد سبق ترجيح القول بحياة أمه آنذاك(٢).

وأمَّا ما روي في مدة الفراق بين يوسف وأهله فقد رجح ابن كثير رحمه الله تعالى أنها ثماني عشرة سنة حيث قال: " وظاهر السياق يرشد إلى تحديد المدة تقريباً، فإن المرأة راودته وهو شاب ابن سبع عشرة سنة، فيما قاله غير واحد، فامتنع فكان في السجن بضع سنين وهي سبع عن عكرمة وغيره، ثم أُخرج، فكانت سنوات الخصب السبع، ثم لما أمحل الناس في السبع البواقي جاء إخوته يمتارون في السنة الأولى وحدهم وفي الثانية ومعهم أخوه بنيامين وفي الثالثة تعرَّف إليهم، وأمرهم بإحضار أهلهم أجمعين فجاؤوا كلهم "(٣).

الدروس والعبر

١) إن الفرج مع اشتداد الكرب؛ فإنه لمّا تراكمت الشدائد المتنوعة وضاق والدا يوسف عليهما السلام ذرعاً بحملها فَرَّجها فارج الهم كاشف

---

(١) سورة يوسف ، الآية : [١٠٠] .

(٢) انظر: ص: [٢١].

(٣) قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٢٦٢،٢٦٣].

الغم مجيب دعوة المضطرين. وهذه عوائده الجميلة خصوصاً لأوليائه وأصفيائه[1]، أخذاً من قوله: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾[2].

٢) قد يُهيئُ الله تعالى للأحياء أن يتلاقوا ولو طال الفراق وتباعدوا في الآفاق، كما هيأ الله تعالى لأبوي يوسف عليه السلام اللقاء بابنهما عليه السلام، أخذاً من الدليل السابق.

٣) إن منزلة الوالدين في البرِّ أعلى من منزلة الإخوان أخذاً من إيواء يوسف عليه السلام لوالديه خصوصاً ورفعهما على العرش[3].

٤) إن الساجد محترِم لمن سجد له والمسجود له معظَّم محترَم، فدل على أن يوسف يصير معظماً محترماً عند أبويه وإخوته[4] ولا يعد قبوله السجود من أبويه عقوقاً؛ لأنه لا غضاضة عليهما منه إذ هو عادتهم[5].

٥) تكريم الأمة الإسلامية بإعطائها السلام تحية أهل الجنة بدلاً من التحية بالسجود: قال قتادة[6] رحمه الله: " ﴿ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾[7] كانت تحية من قبلكم كان بها يحيِّي بعضهم بعضا ، فأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة كرامة من الله تبارك وتعالى عجلها لهم ونعمة منه "[8].

---

(١) تيسير اللطيف المنان للسعدي بتصرف يسير، ص: [١٦٢].
(٢) سورة يوسف ، الآية : [٩٩] .
(٣) انظر: القصص القرآني بين الآباء والأبناء للدكتور عماد حافظ، ص: [٢٢٢].
(٤) انظر: تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٥٥].
(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور، جـ١٣، ص: [٥٦].
(٦) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي الضرير الأكمه المفسِّر ثقة كان لا يسمع شيئاً إلاّ حفظه، توفي سنة ١١٨هـ. انظر تقريب التهذيب، ص: [٤٥٣]، وطبقات المفسِّرين للداودي، جـ٢، ص: [٤٨،٤٧].
(٧) سورة يوسف ، الآية : [١٠٠] .
(٨) تفسير الطبري، جـ١٣، ص: [٦٨].

والسجود منسوخ في شريعتنا [1] ففي الحديث أنه: ((لمّا قدم معاذ رضي الله عنه من الشام سجد للنبي ﷺ قال : **ما هذا يا معاذ؟** قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم[2] وبطارقتهم[3] فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك ، فقال رسول الله ﷺ: ((فلا تفعلوا فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قتبٍ[4] لم تمنعه))[5].

٦) إن الوالدين للأبناء بمنزلة الشمس والقمر في النور والنفع. ويؤخذ هذا من وجه المناسبة بين رؤيا يوسف وتعبيرها حيث إنه رأى الشمس والقمر والكواكب الأحد عشر ساجدين له. إن هذه زينة للسماء وفيها منافعها فكذلك الأبوان نور ونفع لأبنائهما؛ ولأن أباه وأمه أصل وإخوته فرع فلذلك كانت الشمس أمَّه أو أباه والقمر الآخر منهما والكواكب إخوته[6].

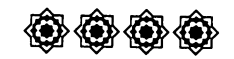
٧) إن نعمة الله على العبد نعمة على من يتعلق به ويتصل من أهل بيته وأقاربه وأصحابه ، ولا ريب أن الأم من أولى من ينتفع به ؛ ولهذا لمّا تمت النعمة على يوسف عليه السلام حصل لآل يعقوب من العز والتمكين

---

(١) تفسير البغوي، جـ٢، ص: [٢٥٠]، وتفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣٣٥].
(٢) أي علماء النصارى ورؤساءهم. النهاية، جـ٢، ص: [٣٧٩].
(٣) الحُذّاق في الحرب وأمورها، وهي كلمة رومية. النهاية بتصرف، جـ١، ص: [١٣٥].
(٤) رحلٌ صغير على قدر السنام ، والمراد في هذا الحث لهن على مطاوعة أزواجهن. الصحاح، جـ١، ص: [١٩٨]، النهاية في غريب الحديث والأثر، جـ٤، ص: [١١].
(٥) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح باب حق الزوج على الزوجة، جـ١، ص: [٥٩٥]، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجة، جـ١، ص: [٣١٢]، مسند أحمد، جـ٤، ص: [٣٨١].
(٦) تيسير اللطيف المنان للسعدي بتصرف، ص: [١٥٥].

والسرور وزوال المكروه وحصول المحبوب ما ذكر الله في الآيتين[1].

8) إن الانتقال من البادية إلى المدينة ارتقاء في الحضارة ونعمة[2] أخذاً من قول يوسف عليه السلام: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾[3].



(1) المرجع السابق، ص: [156].
(2) التحرير والتنوير لابن عاشور، جـ13، ص: [58].
(3) سورة يوسف ، الآية : [100] .



المبحث الثاني:

قصة أم موسى عليها السلام

المدخل إلى القصة

لا شك أن قول الله تعالى حق ووعده صدق قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾[2] والمؤمن مصدق بوعد الله ﷻ ولو لم يتصوره عقله ولم يتخيله فكره، فهو موقن أن قدرة الله ﷻ لا تقيدها القوانين، فهو خالقها، ويعلم أن الله على كل شيء قدير، فها هي الصدقة مثلاً في ظاهرها نقص للمال ولكن النبي ﷺ يقول: ((ما نقصت صدقة من مال))[3] والمؤمن يرتفع بإيمانه إلى التصديق بذلك ولا يدع للعقل مجالاً في قياس ذلك بمقياسه القاصر، والقرآن الكريم يقص لنا خبر امرأةٍ مؤمنة لم تردها العاطفة عن أمر الله فتفعل أمراً في ظاهره سفهٌ وجنون ولكنه في الحقيقة فعل من آمن ولم يظن بالله الظنون، فبادرت مستجيبة لأمر الله وبلشرت موقنة بوعد الله ﷻ.

وقد وردت قصتها في موضعين من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: [١١٥].
(٢) سورة لقمان، الآية: [٣٣].
(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، جـ٤، ص: [٢٠٠١].

بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ... وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ... وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ... فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [2].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ فُؤَادُ ﴾: الفؤاد القلب يقال له: فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد أي التوقد[3].

﴿ فَٰرِغًا ﴾: الفراغ ضد الشغل[4]، والمراد بقوله فارغاً أي خالياً من العقل[5].

﴿ لَتُبْدِى بِهِۦ ﴾: بدا الشيء بدواً وبَداءً أي ظهر ظهوراً بيِّناً[6]، ومعنى لتبدي به أي لتظهر أمره[7].

---

(1) سورة طه، الآية: [٣٧-٤٠].
(2) سورة القصص، الآية: [٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣] .
(3) انظر: المفردات للراغب بتصرف يسير، ص: [٣٨٦].
(4) انظر: المفردات، ص: [٣٧٧].
(5) تفسير القاسمي، جـ١٣، ص: [٤٦٩٧]، وانظر: الكشاف، جـ٣، ص: [١٦٧].
(6) المفردات، ص: [٤٠].
(7) تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٥٦].

﴿ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ : الربط على القلب إلهام الصبر وتشديده وتقويته[1].

﴿ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ : المصدقين لوعد الله حين قال لها: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ ﴾[2][3].

﴿ قُصِّيهِ ﴾ : اتبعي أثره[4].

﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ : قرّت عين فلان أي بردت وصحّت فهو من القُرِّ بمعنى البرد، وقيل معناه : أعطاه الله ما تسكن به عينه فهو من القرار[5] والمراد بالآية تطيب نفسها ولا تغتم[6].

﴿ وَأَوْحَيْنَآ ﴾ : أي ألهمنا[7].

﴿ مَا يُوحَىٰٓ ﴾ : فسره قوله: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ ﴾ أبهمه أولاً تهويلاً له وتفخيماً لشأنه ثم فسره[8].

﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ ﴾ : أي ألقيه واطرحيه[9].

﴿ فِى ٱلتَّابُوتِ ﴾ : الصندوق[10].

﴿ ٱلْيَمِّ ﴾ : البحر ، والمراد به النيل[11].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، جـ٤، ص: [١٣٤]، وانظر: تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٢٣٧].
(٢) سورة القصص، الآية: [٧] .
(٣) تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٣٧].
(٤) تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٣٨]، وانظر: المفردات، ص: [٤٠٤].
(٥) المفردات بتصرف، ص: [٣٩٨].
(٦) الكشاف، جـ٢، ص: [٥٠٧].
(٧) انظر: المفردات للراغب، ص: [٥١٥].
(٨) تفسير البحر المحيط، جـ٦، ص: [٢٤٠]، وتفسير النسفي، جـ٢، ص: [٣٥٦]، وتفسير أبي السعود، جـ٦، ص: [١٢].
(٩) تفسير النسفي، جـ٢، ص: [٣٥٦]، وإصلاح الوجوه والنظائر، ص: [٣٧٤]، والمفردات للراغب، ص: [٣٩٧]، وتفسير الجلالين، ص: [٤١٥].
(١٠) تفسير الجلالين، ص: [٥٤].
(١١) المفردات للراغب، ص: [٥٥٢]، وتفسير الطبري، جـ٦، ص: [١٦١].

﴿ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ : بالشاطئ[1].

﴿ فَرَجَعْنَٰكَ ﴾ : الرجع إلى الشيء والرد إليه بمعنى، والرد عن الشيء يقتضي كراهة المردود وكان لفظ الرجع ألطف فخصَّ سورة طه به، وخصَّ سورة القصص بقوله: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ ﴾ تصديقاً لقوله: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ ﴾[2].

التعريف بالمرأة

لم يثبت اسم أم موسى وإنما ذكر أهل التاريخ أن اسمها يوحانذ[3] وقيل: يحيب[4] وقيل: يوخايذ[5] وقيل: باخته[6] وقيل: لوحا بنت هاند بن لاوى بن يعقوب[7] وقيل غير ذلك[8] وليس في معرفة اسمها مزيد فائدة ولهذا سُكت عنه.

وقد أجمع العلماء على أن أم موسى لم تكن نبية[9] واختلفوا في وحي الله لها هل كان إلهاماً أو إعلاماً؟ فنهب الجمهور إلى أن وحي الله تعالى إليها كان إلهاماً كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾[10][11].

---

(١) المفردات للراغب، ص: [٢٢٧]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [٢١٧].
(٢) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي، جـ١، ص: [٣١٤]، والبرهان في توجيه متشابه القرآن، ص: [١٢٦].
(٣) الكامل لابن الأثير، جـ١، ص: [٩٥].
(٤) تاريخ الطبري، جـ١، ص: [٢٣١].
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.
(٧) تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٥٠].
(٨) راجع قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٢٩٩]، والتعريف والإعلام للسهيلي، ص: [١٣٠].
(٩) تفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [١٠٥]، وتفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٥٠].
(١٠) سورة النحل ، الآية : [٦٨] .
(١١) تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٥٠]، وروح المعاني للألوسي، جـ١٦، ص: [١٨٧]، وتفسير البحر المحيط، جـ٦، ص: [٢٤٠]، و جـ٧، ص: [١٠٥]، وفتح القدير، جـ٤، ص: [١٥٩]، والكشاف، جـ٢، ص: [٥٣٦].

وقال بعضهم: كان بالإراءة مناماً[1]، وذهب البعض إلى أنه كان بإرسال الملك إليها كما بُعث إلى مريم[2].

قال الألوسي: "والظاهر أن الإيحاء إليها كان بإرسال ملك[3]".

وقال القرطبي: " وإنما إرسال الملك إليها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى، وغير ذلك مما روي من تكليم الملائكة للناس من غير نبوة[4]".

وقيل: كان على لسان نبي في وقتها كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾[5][6] وهذا الوجه ضعيف، فقد نقل الطبري عن السلف تفسيرهم للوحي في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾[7] أنه بمعنى الإلهام[8].

والذي يترجح عندي قول القرطبي والألوسي من أنَّ الوحي إليها كان بإرسال المَلَك لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[9] وقوله: ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾[10] فهذه الأمور تكون بمخاطبة المَلَك كما كان مع مريم والله أعلم

---

(١) المصادر السابقة نفسها.
(٢) المصادر السابقة نفسها.
(٣) روح المعاني، جـ٢، ص: [٤٥].
(٤) تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٥٠].
(٥) سورة المائدة، الآية: [١١١].
(٦) تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٥٠]، وتفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [١٠٥]، والكشاف، جـ٢، ص: [٥٣٦].
(٧) سورة المائدة، الآية: [١١١].
(٨) تفسير الطبري، جـ٧، ص: [١٢٨].
(٩) سورة القصص، الآية: [٧].
(١٠) سورة القصص، الآية: [١٣].

عرض القصة

لمّا أراد الله تعالى أن ينقذ بني إسرائيل من ذلك الطغيان الذي عاشوا فيه حيث قال ﷻ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[١] هيأ لذلك الأمر أسباباً ومقدمات كان أولها إيحاء الله تعالى إلى أم موسى عليه السلام [٢] وذلك بعد ما وضعته عليه السلام فأوحى الله إليها أن ترضعه، فإذا خافت عليه وضعته في صندوق ثم ألقته في البحر. وهذا التدبير من لدنه سبحانه، فهو الحكيم الخبير إذ لو كان في أي مكان بمصر فإنه يوشك أن يتوصل إليه من قبل جنود فرعون[٣].

وقال الجنيد[٤]: " إذا خفت حفظه بواسطة فسلميه إلينا بإلقائه في البحر ، واقطعي عنك شفقتك وتدبيرك "[٥] وطمأنها الله ﷻ بقوله: ﴿ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ﴾ أي: لا تخافي عليه من فرعون وجنوده أن يقتلوه، ولاتحزني على فراقه(٦) ، ووعدها ﷻ وبشرها بإرجاع ولدها إليها وأنه سيجعله رسولاً من المرسلين[٧].

---

(١) سورة القصص، الآية: [٥].
(٢) انظر: تفسير الفخر الرازي، جـ٢٤، ص: [٢٢٧].
(٣) مع قصص السابقين في القرآن لصلاح الخالدي، ص: [٦٨].
(٤) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد، كان خزازاً نقل عنه أنه قال: « ما أخرج الله إلى الأرض علماً وجعل للخلق إليه سبيلاً إلا وقد جعل لي فيه حظاً ونصيباً » كان عابداً توفي سنة ٢٩٨هـ. انظر: صفة الصفوة، جـ٢، ص: [٤١٦-٤٢٤].
(٥) تفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [١٠٥].
(٦) انظر: تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٣٠].
(٧) انظر: المصدر السابق، جـ٢٠، ص: [٣١].

فاستجابت لأمر الله ﷻ وأيقنت بوعده ﷻ وأقدمت على ذلك الأمر الذي أوحى الله إليها به. فلما خافت على ابنها بادرت إلى وضعه في تابوت وألقته في اليم، فالتقطه آل فرعون، ولما علمت بذلك طاش عقلها وكادت تظهر ما أخفته عن آل فرعون من أن ذلك الرضيع هو ابنها، ولكن الله تبارك وتعالى ثبتها فذكرت وعد الله تعالى لها بحفظ ابنها وإرجاعه إليها، فاطمأنت لوعد الله ﷻ[1].

ولما سكن روعها أنشأت تبحث عنه فأرسلت أُخته لتتبع أثره وتقصي خبره، فلما كان من أخته ما كان[2] رد الله تعالى موسى عليه السلام إلى أمه كما وعدها[3] كي تقر عينها بعودته وسلامته، ولاتحزن على فراقه، ولتعلم بالمشاهدة أن وعد الله حق[4] بقوله: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[5][6].

الإسرائيليات

وردت في القصة أخبار عن بني إسرائيل أجملُها كما يلي:

---

(١) انظر: تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٣٧]، وانظر: تفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [٢٣٣]، وانظر: تفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [١٠٦]، وانظر: تفسير القاسمي، جـ١٣، ص: [٤٦٩٧].

(٢) سيأتي ذكر قصتها ص: [٢٣٣].

(٣) انظر: روح المعاني للألوسي، جـ٢٠، ص: [٥٠]، وانظر: تفسير أبي السعود، جـ٦، ص: [١٦].

(٤) انظر: تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٤١]، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي، جـ٦، ص: [٢٠٦]، وحُسن الأسوة لمحمد صديق حسن خان البخاري، ص: [٣٧].

(٥) سورة القصص، الآية: [٧].

(٦) انظر: أضواء البيان، جـ٤، ص: [٤٠٩].

ذكر ابن كثير أن أم موسى لما حملت به عليه السلام لم يظهر عليها علامات الحمل كغيرها، ولم تفطن لها القابلات، ولكن لما وضعته ذكراً ضاقت به ذرعاً، وخافت عليه خوفاً شديداً، وأحبته حباً زائداً، فلما ضاقت به ذرعاً أُلهمت بما ذكره الله تعالى، وقد كانت دارها على حافة النيل، فاتخذت تابوتاً ومهدت فيه مهداً، وجعلت ترضع ولدها، فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه جعلته في ذلك التابوت، وسيرته في البحر، وربطته بحبل عندها، فلما كان ذات يوم ذهلت أن تربطه فذهب مع الماء(١).

وذكر اليعقوبي(٢) أنه لما جاء أم موسى المخاض قالت لها القابلة: إني أكتم عليك، فلمّا ولدت قالت للحرس: إنما خرج منها دم وأوحى الله إلى أم موسى أن اعملي تابوتاً ثم ضعيه فيه وأخرجيه ليلاً فاطرحيه في نيل مصر، ففعلت ذلك، وضربته الريح فطرحته إلى الساحل(٣).

وروى ابن جرير عن ابن جريج أنها أُمرت أن تلقيه في اليم بعد ميلاده بأربعة أشهر(٤) وقيل: ثلاث(٥) وقيل: ثمان(٦).

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [٢٣٢]، و جـ٥، ص: [٢٧٧-٢٧٨]، وانظر: تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٣٥].

(٢) هو أحمد بن إسحاق اليعقوبي مؤرخ جغرافي مشهور توفي بعد سنة ٢٩٢هـ. انظر: معجم الأدباء، جـ٥، ص: [١٥٣،١٥٤]، والأعلام، جـ١، ص: [٩٥]، ومعجم المؤلفين، جـ١، ص: [١٦١].

(٣) تاريخ اليعقوبي، جـ١، ص: [٣٣].

(٤) انظر: تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٣٠]، وإسناده ضعيف ففيه الحسين بن داود المصيصي ضعيف مع إمامته ومعرفته، لكونه كان يُلقّن حجاج بن محمد شيخه. انظر: التقريب، جـ١، ص: [٣٣٥]، رقم: [٥٤٣].

(٥) تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٣٤].

(٦) المصدر السابق، جـ٣، ص: [٤٣٤].

وروى ابن جرير عن أبي بكر بن عبدالله[1] أنها كانت ترضعه في بستان تأتيه كل يوم فترضعه وتأتيه كل ليلة فترضعه.

وذكر البغوي عن ابن عباس أنه لما جاء جنود فرعون لفّت موسى في خرقة فوضعته في التنور[2] وهو مسجور، وطلش عقلها فلم تعقل ما تصنع فدخل عليها الجنود، فإذا التنور مسجور[3] ورأوا أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن، فقالوا لها: ما أدخل عليك القابلة؟ قالت: هي مصافية لي فدخلت علي زائرة، فخرجوا من عندها فرجع إليها عقلها فقالت لأخت موسى: فأين الصبي؟ قالت: لا أدري فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت إليه، وقد جعل الله ﷻ النار عليه برداً وسلاماً فاحتملته[4].

نقد الاسرائيليات

من هذه الإسرائيليات ما هو ثابت، ومنها ما هو منكر مردود، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأمَّا ما روي من أنها خافت على ابنها فمصداقه قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾[5].

---

(١) تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٣٠].
(٢) الذي يُخبز فيه. مختار الصحاح، ص: [٧٩].
(٣) سجر التنور أي أحماه. مختار الصحاح، ص: [٢٨٧].
(٤) انظر: تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٣٥]، ولم أقف على إسناده ، ولا يُتصور وروده عن ابن عباس لمخالفته لنص القرآن.
(٥) سورة القصص ، الآية : [٧] .

وأمَّا ما ذكر من إلهام الله تعالى لها فقد سبق الترجيح بأنه أوحي إليها بإرسال الملَك[1]، فيصدقه قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[2] .

وأمَّا ما روي من أنها كانت إذا خافت عليه وضعته في التابوت وربطت التابوت بحبل وألقته في اليم فمردود لأنه مخالف لقوله ﷻ: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾[3] ، فظاهر هذا أنها أُمرت بإلقائه والتخلي عنه وإيكال أمره إلى الله ﷻ الذي وعدها بإرجاعه إليها.

وأمَّا الخلاف في زمن إلقائه وحصول الخوف عليه: هل كان بعد ولادته بأربعة أشهر أو ثلاث أو ثمان؟ فلا دليل يعين أي ذلك كان والمهم أنها امتثلت ما أمرها الله به[4].

وأمَّا ما ذكر من أنها لما خافت عليه وضعته في التنور وهو موقد وأن النار كانت برداً وسلاماً عليه فلا يصح سنداً ولا متناً لأنه خلافُ ما أمرها الله ﷻ به من إلقائه في اليم عند خوفها عليه.

ثم إنه لو كان صحيحاً لذكره الله ﷻ في جملة ما امتنَّ الله به على موسى عليه السلام لأنه يكون حينئذٍ معجزةً لموسى عليه السلام .

---

(١) انظر: ص: [٥١].
(٢) سورة القصص ، الآية : [٧] .
(٣) سورة طه ، الآية : [٣٩] .
(٤) انظر: تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٣٠].

وأمَّا ما ذكر من أنها لم يتغير لها لون عندما دخل عليها جنود فرعون فبعيد؛ لأن الله تعالى ذكر حالها عند فراق ابنها بقوله: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ ﴾[1].

وأمَّا ما روي أنها كانت ترضعه في بستان فغير صحيح؛ لأنه ضعيف[2] السند خلاف ما أمرها الله به حيث إن الله تعالى أمرها إذا خافت عليه فلتلقه في اليم.

وأمَّا ما سوى ذلك من الروايات فلا أعلم ما يثبته أو ينفيه فالظاهر أنه لا بأس من ذكره، والله تعالى أعلم.

الأحكام المستفادة من القصة

1) وجوب الأخذ بالأسباب أخذاً من قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[4].

2) لا بأس بالخوف الطبيعي؛ فإنه لا ينافي الإيمان أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾[5][6].

---

(1) سورة القصص، الآية: [10].
(2) ففيه الحسين بن داود المصيصي ضعيف كما سبق ص: [54].
(3) سورة طه، الآية: [39].
(4) سورة الشعراء، الآية: [63].
(5) سورة القصص، الآية: [10].
(6) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [130].

الدروس والعبر

١) إنَّ ألطاف الله ومعيته لأوليائه لا تتصورها العقول، أخذاً مما حصل من الألطاف الربانية بأم موسى وابنها[١].

٢) إن عاطفة الأمومة أقوى العواطف البشرية أخذاً من بيان الله لحال أم موسى عند فراقه[٢].

٣) عناية الله بأوليائه حيث ربط على قلب أم موسى فصبرت ولم تبده لهم وتقول: هو ولدي؛ ليمضي وعد الله كما أخبرها[٣].

قال الشاعر[٤]:

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمان

٤) إن من أعظم نعم الله على العبد تثبيت الله له عند المقلقات والمخاوف[٥] أخذاً من تثبيت الله ﷻ لأم موسى، وكما ثبَّت الله تعالى رسوله ﷺ وصاحبه في الغار قال تعالى: ﴿ ... إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[٦]، وقال تعالى في تثبيت المؤمنين يوم حنين: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى

---

(١) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٣٠-١٣٦]، وأيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٣٨٤].
(٢) انظر: أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٣٨٤].
(٣) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٣٨٤].
(٤) ابن مكنسة الاسكندري في وفيات الأعيان، جـ٣، ص: [١٦١].
(٥) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٣١].
(٦) سورة التوبة، الآية: [٤٠].

ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

٥) زيادة الإيمان والثواب في الصبر والثبات عند المخاوف والمقلقات[2] أخذاً من قوله: ﴿ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

٦) إن الإيمان يزيد وينقص[4] أخذاً من قوله عن أم موسى: ﴿ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[6].

٧) إن من ثمرات الصبر عند المخاوف صواب القول وثبات الفكر والرأي[7] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ ﴾[8] فإنها لم تظهر أنه ابنها وشرعت في البحث عنه.

---

(١) سورة التوبة، الآية: [٢٦،٢٥].
(٢) انظر: تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٣١]، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٤، ص: [٩].
(٣) سورة القصص، الآية: [١٠].
(٤) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٣١]، وانظر: كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص: [١٦٤- ١٦٦].
(٥) سورة الأنفال، الآية: [٢].
(٦) سورة التوبة، الآية: [١٢٤].
(٧) انظر: تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٣١].
(٨) سورة القصص، الآية: [١٠].

8) إن العبد وإن عرف أنّ القضاء والقدر حق، وأن وعد الله نافذ لا بد منه - ينبغي له ألا يهمل فعل الأسباب التي تنفع؛ فإن الأسباب والسعي فيها من قدر الله؛ فإن الله قد وعد أم موسى أن يرده عليها، ومع ذلك لما التقطه آل فرعون سعت بالأسباب وأرسلت أخته لتقصه[1].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " إن كان السبب مأموراً به ذُمَّ على تركه، وإن قام بالسبب وترك التوكل ذُمَّ على تركه أيضاً فإنه واجب باتفاق الأمة ونص القرآن، والواجب القيام بهما والجمع بينهما[2] "

وقال: " فإن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المراد ودفع المكروه بل هو أقوى الأسباب على الإطلاق[3] "

وقال: " والذي يحقق التوكل القيام بالأسباب المأمور بها، فمن عطلها لم يصح توكله. كما أن القيام بالأسباب المفضية إلى حصول الخير يحقق رجاءه، فمن لم يقم بها كان رجاؤه تمنياً، كما أن من عطلها يكون توكله عجزاً وعجزه توكلاً[4] ".



(1) المرجع السابق.
(2) الفوائد لابن القيم، ص: [113].
(3) المصدر السابق.
(4) الفوائد لابن القيم، ص: [113].

المبحث الثالث:

قصة أم الغلام الكافر

المدخل إلى القصة

ورد في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام قصة المرأة المؤمنة وزوجها المؤمن وما حلَّ بولدهما من قتل الخضر عليه السلام له بسبب كفره.

وقد ورد ذلك في موضع واحد من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾[1].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ أَبَوَاهُ ﴾ : المراد أبوه وأمه؛ ثني تغليباً من باب القمرين في القمر والشمس[2].

﴿ فَخَشِينَآ ﴾ : الخشية خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه[3]، والمراد بقوله فخشينا أي فعلمنا[4].

---

(١) سورة الكهف، الآية: [٨٠-٨١].

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ٦، ص: [١٥٥].

(٣) المفردات للراغب، ص: [١٤٩].

(٤) انظر: تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٣].

﴿ يُرْهِقَهُمَا ﴾: رهق: رَهِقه الأمر غشيه بقهر[1]. والمراد يحملهما على دينه[2].

﴿ رَبُّهُمَا ﴾ : الرب من أسماء الله تعالى، وإضافة الربوبية إليهما فيه ما لا يخفى من الدلالة على إرادة وصول الخير إليهما[3].

﴿ زَكَوٰةً ﴾ : الزكاة بمعنى النماء والطهارة[4] والمراد صلاحاً وتقوى[5].

﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ : والرحم مصدر رَحِمْتُ يقال: رَحِمته رَحْمة ورُحْما والمعنى: أقرب من المقتول أن يرحم والديه فيبرهما[6].

التعريف بالمرأة

لم يثبت اسمها بالقرآن الكريم ولا في السنة وإنما ذكر المؤرخون أن اسمها رحما وقيل سهوى[7] وليس في معرفته مزيد فائدة، ولو كان هناك داعٍ لبيانه لما أغفله القرآن أو السنة.

عرض القصة

ابتلى الله تعالى هذين الزوجين المؤمنين بولدٍ كافر ظالم، كما بيَّن ذلك ابن عباس رضي الله عنهما في قراءته للآية حيث قرأها:

---

(١) المفردات للراغب، ص: [٢٠٤]، وانظر: تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٢].
(٢) تذكرة الأريب لابن الجوزي، جـ١، ص: [٣٢٢]، وانظر: معاني القرآن للزجاج، جـ٣، ص: [٣٠٥].
(٣) تفسير أبي السعود بتصرف، جـ٥، ص: [٢٣٨].
(٤) معجم مقاييس اللغة، جـ٣، ص: [١٧]، وانظر: المصباح المنير، ص: [٢٥٤].
(٥) تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٤]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [١٧٦].
(٦) تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٤].
(٧) التعريف والإعلام للسهيلي، ص: [١٠٥]، وفتح الباري، جـ٨، ص: [٢٧٤].

((وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ كَافِراً))[1]، وكما بيَّنه النبي ﷺ : ((وأما الغلام فطبع يوم طبع كافراً))[2]، وكذلك ابتلى الله تعالى هذين الأبوين بقتل ابنهما قال تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴾[3] ويبين لنا القرآن الكريم سبب قتله على يد الخضر عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾[4] وقال ﷺ: ((وكان أبواه قد عطفا عليه فلو أنه أدرك أرهقهما طغياناً وكفراً))[5] فكان قتله خيراً لوالديه من بقائه؛ لأنه لو بقي لحمل والديه على الكفر لحبهما له فيضلا ويرتدا، أو أنه لو بقي لطغى عليهما بعقوقه وسوء معاملته[6]، فأراد الخضر عليه السلام بقتله أن يبدلهما الله ولداً صالحاً باراً بوالديه، فيكون لهما خيراً من ذلك المقتول، كما نصت على ذلك الآية.

الإسرائيليات

ورد في القصة أخبار عن بني إسرائيل أجملها فيما يأتي:

عن الربيع بن أنس أن الغلام كان ظالماً يقف على الطريق فلا يمر به أحدٌ إلاَّ قتله أو غصبه فيدعو المظلوم عليه وعلى والديه، فعصم الله والديه بقتله من أن يدعو عليهما أحد[7].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام، جـ٦، ص: [٤٩٩]، وهي قراءة تفسيرية .
(٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل الخضر عليه السلام، جـ٤، ص: [١٨٥٢].
(٣) سورة الكهف، الآية: [٧٤].
(٤) سورة الكهف، الآية: [٨٠].
(٥) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل الخضر عليه السلام، جـ٤، ص: [١٨٥٢].
(٦) انظر: تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٣]، وتفسير البحر المحيط، جـ٦، ص: [١٥٥].
(٧) انظر: الدر المنثور، جـ٥، ص: [٤٣٠-٤٣١]، وزاد المسير، جـ٥، ص: [١٧٩].

وعن عطاء بن السائب أن والدي الغلام كانا يذبان عنه من يطلبه من المظلومين ويقسمان على براءته[1].

وروى الطبري عن ابن جريج أن أم الغلام كانت عند قتله حُبلى بغلام مسلم[2]. وعن ابن عباس أن أم الغلام أنجبت جارية ولدت عدة أنبياء[3] وقيل: إن الجارية ولدت سبعين نبياً[4].

نقد الإسرائيليات

من هذه الروايات ما هو منكر، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأمَّا ما روي من ذب الوالدين عن ولدهما مع كونه ظالماً والحلف على براءته فلا يليق بهذين الأبوين الموصوفين بالإيمان؛ إذ إن المؤمن لا يرضى بالظلم ولو كان واقعاً من أقرب الناس إليه كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[5].

وأمَّا ما ذكر أن قتل الغلام كان صيانةً للوالدين من أن يدعو عليهما أحد من أولئك المظلومين فهذا غير صحيح؛ لأن الله تعالى يستجيب دعاء المظلوم إذا دعا على من ظلمه، والظلم إنما حصل من قبل الولد، ولا تبعة على الوالدين في ذلك إذا انحرف الولد عن الطريق المستقيم بعد ما ربياه

(١) زاد المسير، جـ٥، ص: [١٧٩].
(٢) تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٤]، وانظر: فتح الباري، جـ٨، ص: [٢٧٥].
(٣) فتح الباري، جـ٨، ص: [٢٧٥].
(٤) المصدر السابق .
(٥) سورة النساء، الآية: [١٣٥].

عليه، قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾(1) وقال: ﴿ ... وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ... ﴾(2) ثم إن الله تعالى بيَّن سبب قتل الغلام في قوله: ﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴾.

وأمَّا ما سوى ذلك من الروايات فلا حرج في ذكرها والله أعلم.

الأحكام المستفادة من القصة

1) إذا تعارضت مفسدتان ارتكب الأخف(3) فكان قتل الولد مفسدة، وضلال الوالدين مع بقائه أشد فساداً فكان قتل الولد هو الأولى.

2) إن من حق الولد على الوالدين بذل النصح له، أخذاً من وصف الأبوين بالإيمان، وقد ذكر الله تعالى من صفات المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ... ﴾(4)، وقوله ﷺ: ((كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته))(5).

3) لا تبعة على الوالدين في فساد الولد مع نصحهما له، حيث لم يوجه إليهما لوماً؛ فدلَّ ذلك على القيام بواجبهما نحو ولدهما.

---

(1) سورة المائدة، الآية: [105].
(2) سورة الإسراء، الآية: [15].
(3) الإكليل، ص: [171]، وتيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [148].
(4) سورة التوبة، الآية: [71].
(5) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، انظر: الصحيح مع الفتح، جـ2، ص: [441].

٤) التحذير من مخالطة الكفار ولو كانوا من الأقرباء، وقال ﷺ: ((من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله))[١].

الدروس والعبر

١) إن صلاح الوالدين سبب في صلاح الأبناء[٢]. ويؤخذ هذا من وصف الوالدين بالإيمان وإرادة الخضر عليه السلام أن يبدلهما الله خيراً من ولدهما الكافر.

٢) تهوين مصيبة فقد الولد، فقد يكون بقاؤه شراً كما هو حال هذا الغلام، قال قتادة رحمه الله: " قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله؛ فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب[٣] وقد قال تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾[٤] وقال ﷺ: ((لا يقضي الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيراً له))[٥].

٣) إن الإيمان أغلى ما يملكه الإنسان فقد قُتِل الابن حفاظاً على صلاح دين أبويه[٦].

٤) عناية الله تعالى بالمؤمنين كما عُني بهذين الأبوين.

---

(١) سنن أبي داود كتاب الجهاد باب في الإقامة بأرض الشرك، جـ٣، ص: [٩٣]، صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ح: [٢٤٢٠].

(٢) انظر: أيسر التفاسير للجزائري، جـ٢، ص: [٦٦٩].

(٣) تفسير ابن كثير، جـ٥، ص: [١٨١]، وتفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٤]، وانظر: تفسير السعدي، جـ٣، ص: [١٧٤].

(٤) سورة البقرة، الآية: [٢١٦].

(٥) مسند الإمام أحمد، جـ٣، ص: [١١٧-١٨٤]، وصححه ابن كثير في تفسيره، جـ٥، ص: [١٨١].

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٣، ص: [١٧٤].

٥) قد يُبتلى الرجل الصالح والمرأة الصالحة بولدٍ فاسد كما ابتُلي هذان الأبوان.

٦) قد يضل الوالدان بسبب ضلال الولد فيفتتنان به كما قال تعالى: ﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴾(١) وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾(٢).

٧) خطورة مخالطة الكفار ولا سيما إذا كان الكافر قريباً كالولد؛ فإن التأثر به أشد، ولهذا سلَّمَ الله تعالى الوالدين المؤمنين من مخالطة ولدهما الكافر على يد الخضر عليه السلام (٣).



(١) سورة الكهف، الآية: [٨٠].
(٢) سورة التغابن، الآية: [١٤ ، ١٥].
(٣) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ٦، ص: [١٥٥].

المبحث الرابع:

قصة امرأة عمران

المدخل إلى القصة

إنَّ الله تعالى يصطفي من خلقه ما يشاء ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾[1] ولقد اصطفى الله ﷻ من عباده أُناساً هم خيرة الخلق كما قال سبحانه: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2] ولما أخبر الله تعالى أنه اصطفى هؤلاء من بين خلقه ذكر لنا طرفاً من أخبارهم ومثلاً من سيرهم، حيث كانوا مَثلاً يُقتدى وقدوة تقتفى لما بلغوا من عظيم العبودية لله ﷻ[3] ومن أولئك المصطفين امرأة عمران.

وقد وردت قصتها في موضع واحدٍ من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[4].

---

(١) سورة القصص، الآية: [٦٨].

(٢) سورة آل عمران، الآية: [٣٣ ، ٣٤].

(٣) انظر: تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٣٤].

(٤) سورة آل عمران، الآية: [٣٥ ، ٣٦].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ نَذَرْتُ لَكَ ﴾ : النذر النحب وهو ما ينذره الإنسان فيجعله على نفسه نحباً واجباً عند حدوث أمرٍ من الأمور(١)، ومعنى لك: أي لعبادتك . وقُدم الجار والمجرور لكمال العناية(٢).

﴿ مُحَرَّرًا ﴾ : أي عتيقاً خالصاً لله خادماً للكنيسة(٣).

﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ﴾ : التقبل أخذ الشيء على الرضا به، وأصله المقابلة بالجزاء وتقبل هنا بمعنى اقبل(٤).

﴿ أُعِيذُهَا بِكَ ﴾ : أي أجيرها وأمنعها(٥).

﴿ ٱلرَّجِيمِ ﴾ : أي اللعين الطريد(٦).

التعريف بالمرأة

امرأة عمران هي أُم مريم بنت عمران وقيل: اسمها حنة بنت فاقوذ بن قتيل. ولا دليل على صحة الاسم فيما أعلم. وزوجها عمران كما صرح بذلك القرآن قيل هو ابن باشهم بن آمون وقيل ابن ماثان(٧).

وقد كان أهل هذا البيت من خيرة الناس إذ كانوا ممّن اصطفاهم الله تعالى على العالمين كما قال سبحانه: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا

---

(١) لسان العرب، جـ٥، ص: [٢٠٠]، وانظر: المفردات للراغب، ص: [٤٨٧]، وسبل السلام للصنعاني، جـ٤، ص: [١٩٥].
(٢) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٣٥]، وفتح القدير، جـ١، ص: [٣٣٤].
(٣) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٣٥].
(٤) تفسير البحر المحيط، جـ٢، ص: [٤٣٧].
(٥) تفسير الخازن، جـ١، ص: [٣٤٠].
(٦) المصدر السابق.
(٧) تفسير ابن جرير، جـ٣، ص: [٢٣٥].

وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ۝ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] فهم خيار من خيار[2].

عرض القصة

هذا طرف من قصة امرأة من آل عمران عُمر قلبها بالطاعة والإيمان هي امرأة عمران وأم مريم عليها السلام توجهت إلى ربها ﷻ بأعز ما تملك وهو جنينها الذي في بطنها، حيث نذرت أنْ تحرره لله ﷻ وتجعله خادماً لِمعبدهم[3]، وقد صدَّرت نذرها بنداء الله ﷻ بوصف الربوبية[4] وتضرعت إلى الله تعالى بهذه القربة التي يحبها الله سبحانه لما فيها من تعظيم بيته وملازمة طاعته، وسألت الله تعالى أنْ يتقبل نذرها بأن يجعله مؤسساً على الإيمان والإخلاص مثمراً للخير والثواب[5]، وقد توجهت بهذا النذر برغبة شديدة إلى الله تعالى بتوكيد قولها بـ ((إنَّ))[6]، وقد توسلت في طلبها أن يتقبل الله نذرها باسْمَي الله تعالى السميع العليم ليتفضل الله تعالى عليها بإحسانه لعلمه بصحة نيتها واخلاصها؛ فقد كانت موقنة بالله تعالى وصفاته حيث أكدت ذلك بقولها: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[7] ولما

---

(١) سورة آل عمران، الآية: [٣٣ ، ٣٤].
(٢) انظر: تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٣٤]، والتفسير الواضح لمحمود حجازي، جـ٣، ص: [٥٥].
(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ١، ص: [٢٤١]، وانظر: في ظلال القرآن، جـ١، ص: [٣٩٢].
(٤) تفسير البحر المحيط، جـ٢، ص: [٤٣٦].
(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ١، ص: [٢٤١].
(٦) تفسير أبي السعود، جـ٢، ص: [٢٦].
(٧) المصدر السابق، جـ٢، ص: [٢٨].

ولدت امرأة عمران كان ما ولدته أنثى[1] فقالت معتذرة لربها: رب إني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى، لأنه إنما كان يحرر الغلمان دون الإناث[2].

وقد نقل الفخر الرازي قولين في المراد بقولها : وليس الذكر كالأنثى:

القول الأول: أن المراد به تفضيل الولد الذكر على الأنثى وذلك من وجوه:

أحدها: أنه يجوز بشرعهم تحرير الذكور دون الإناث.

ثانيها: أن الذكر يصلح أن يستمر على خدمة موضع العبادة ولا يصلح ذلك في الأنثى لما يعرض لها من الحيض ونحوه.

ثالثها: أن الذكر يصلح لقوته وشدته للخدمة دون الأنثى، فإنها ضعيفة لا تقوى على الخدمة.

رابعها: أن الذكر لا يلحقه عيب في الخدمة والاختلاط بالناس، وليس كذلك الأنثى.

خامسها: أن الذكر لا يلحقه من التهمة عند الاختلاط ما يلحق بالأنثى . فهذه الوجوه تقتضي تفضيل الذكر على الأنثى في هذا المعنى.

والقول الثاني: أن المقصود من هذا الكلام ترجيح هذه الأنثى على الذكر كأنها قالت: الذكر مطلوبي وهذه الأنثى موهوبة الله تعالى، وليس الذكر الذي يكون مطلوبي كالأنثى التي

---

(١) تفسير البغوي، جـ١، ص: [٢٩٥].

(٢) انظر: تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٣٧]، وتفسير الفخر الرازي، جـ٨، ص: [٢٨].

هي موهوبة الله تعالى. وهذا الكلام بدا على أن تلك المرأة كانت مستغرقة في معرفة جلال الله عالمة بأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريده العبد لِنفسه[١].

وأمَّا قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ فقد اختلف فيه القُرَّاء فقرأ ابن عامر وشعبة ويعقوب بإسكان العين وضم التاء فيكون من كلام مريم - وقرأ الباقون بفتح العين وسكون التاء فيكون من كلام البارئ ﷻ[٢].

قال أبو حيان في تفسير القراءة الأولى: " وكأنها خاطبت نفسها بقولها : والله أعلم . ولم تأت على لفظ الرب إذ لو أتت على لفظه لقالت: وأنت أعلم بما وضعت، ولكن خاطبت نفسها على سبيل التسلية عن الذكر وأنَّ علم الله وسابق قدرته وحكمته يحمل ذلك على عدم التحسر والتحزن على ما فات من المقصد؛ إذ مراده ينبغي أن يكون المراد ، وليس الذكر الذي طلبته ورجوته كالأنثى التي علمها وأرادها وقضى بها ولعل هذه الأنثى تكون خيراً من الذكر إذ أرادها الله سلت بذلك نفسها[٣]، وفسر القراءة الثانية على أنه إخبار من الله بأنه أعلم بالذي وضعته أي بحاله وما يؤول إليه أمر هذه الأنثى؛ فإن قولها: وضعتها أنثى يدل على أنها لم تعلم من حالها إلاّ على هذا القدر من كون هذه النسمة جاءت أنثى لا تصلح للتحرير ، فأخبر تعالى أنه أعلم بهذه الموضوعة[٤]. ثم ذكر تعالى أن امرأة عمران سمَّت ابنتها مريم ومعناه (العابدة) ، أرادت بهذه التسمية التفاؤل لها

---

(١) تفسير الفخر الرازي، جـ٨، ص: [٢٩].
(٢) النشر في القراءات العشر، جـ٢، ص: [٢٣٩]، وإتحاف فضلاء البشر، ص: [١٧٣].
(٣) تفسير البحر المحيط، جـ٢، ص: [٤٣٩].
(٤) المصدر السابق.

بالخير ، والتقرب إلى الله تعالى ، والتضرع إليه ، وأن يكون فعلها مطابقاً لاسمها[١] كما أنها أعاذتها من الشيطان الرجيم فما تود لوليدتها خيراً من أن تكون في حياطة الله لها من الشيطان الرجيم[٢] وقد قصدت ديمومة الاستعاذة والتكرار كما يفيده الفعل المضارع في قولها: وإني أعيذها[٣] وقد منَّ الله تعالى على امرأة عمران بتخصيص مريم بقبولها في النذر دون غيرها من الإناث[٤] كما قال سبحانه: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾[٥] واستجاب دعاءها في إعاذتها كما بيَّن هذا حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما من بنى آدم مولود إلاّ يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان، غير مريم وابنها)). ثم يقول أبو هريرة: ﴿ ... وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[٦].

قال القرطبي: " أفاد هذا الحديث أن الله تعالى استجاب دعاء أم مريم فإنَّ الشيطان ينخس جميع ولد آدم حتى الأنبياء والأولياء إلاّ مريم وابنها[٧] ".

---

(١) المصدر السابق.
(٢) في ظلال القرآن، جـ١، ص: [٣٩٣].
(٣) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ٢، ص: [٤٤٠].
(٤) الأنموذج الجليل في الأسئلة والأجوبة من غرائب آي التنزيل لمحمد بن أبي بكر الرازي، ص: [٤٦].
(٥) سورة آل عمران، الآية: [٣٧].
(٦) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (واذكر في الكتاب مريم...الآية)، جـ٦، ص: [٥٤١].
(٧) تفسير القرطبي، جـ٤، ص: [٦٨]، قال ابن حجر : ولا مخالفة لما ثبت من عصمة الأنبياء بل ظاهر الخبر أن إبليس ممكن من مس كل مولود عند ولادته لكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلاً . واستثني من المخلصين مريم وابنها فإنه ذهب يمس على عادته فحيل بينه وبين ذلك، فهذا وجه الاختصاص ، ولا يلزم منه تسلطه على غيرهما من المخلصين. فتح الباري، جـ٨، ص: [٦٠].

وقد يشكل على ظاهر الآية أن إعاذة أم مريم كانت بعد الوضع فلا يصح حملها على الإعاذة من المس الذي يكون حين الولادة وأُجيب بأن المس ليس إلاّ بالانفصال وهو الوضع ومعه الإعاذة ، غايته أنه عبر عنه بالمضارع كما أشرنا إليه لقصد الاستمرار [1]، فرضي الله عنها وأرضاها.

الإسرائيليات

ورد في القصة أخبار عن بني إسرائيل أُجملها فيما يأتي:

روي عن ابن عباس أنها كانت قد جلست عن الولد والمحيض، فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة إذ نظرت إلى طير يطعم فرخاً له، فتحركت نفسها للولد، فدعت الله أن يهب لها ولداً، فحاضت من ساعتها، فلما طهرت أتاها زوجها، فلما أيقنت بالولد قالت: لئن نجاني الله ووضعت ما في بطني لأجعلنه محرراً [2].

وروي عنه أيضاً أنها قالت لزوجها: ليس جنس من جنس الأنبياء إلاّ وفيهم محرر غيرنا، وإني جعلت ما في بطني نذيرة فقال لها زوجها: أرأيت إن كان الذي في بطنك أنثى والأنثى عورة - فكيف تصنعين؟ فاغتمت لذلك فقالت عند ذلك: ﴿ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [3].

---

(1) روح المعاني للألوسي، جـ٣، ص: [١٣٨].

(2) الدر المنثور، جـ٢، ص: [١٨٠]، والبداية والنهاية لابن كثير، جـ٢، ص: [٥٦]، وتفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٣٥].

(3) الدر المنثور، جـ٢، ص: [١٨٠ ، ١٨١].

وذكر القرطبيُّ أنّ امرأة عمران لَفَّتْ مريم ابنتها في خرقتها، وأرسلت بها إلى الكنيسة فوفَّت بنذرها وتبرأت منها[1]، وقيل: إنها ربتها حتى ترعرعت وحينئذٍ أرسلتها[2].

نقد الإسرائيليات

من هذه الإسرائيليات ما هو ثابت، ومنها ما هو مردود، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأمَّا ماروي من نذرها بتحرير ولدها فقد دلّ عليه القرآن في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾.

وأمَّا ماروي أنها ربتها حتى ترعرعت ثم أرسلتها فيدل عليه قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾[3]، فهذه الآية تبيِّن أن مريم آنذاك كانت مميزةً عاقلة فهي إذاً ليست كما قيل إنها كانت صغيرةً في سن الرضاعة.

وأمَّا ماروي من أن امرأة عمران لَفَّتْ مريم في خرقتها وهي صغيرة وأرسلت بها إلى الكنيسة وتبرأت منها فهذا غير صحيح؛ لما بينته في المسألة السابقة من الدليل على أنها أرسلتها وهي كبيرة.

---

(١) تفسير القرطبي، جـ٤، ص: [٦٧].
(٢) المصدر السابق.
(٣) سورة آل عمران، الآية: [٣٧].

وأمَّا ما سوى ذلك من الأخبار فلا أعلم ما يثبته أو ينفيه فهو من المسكوت عنه ولابأس في ذكره والله تعالى أعلم

الأحكام المستفادة من القصة

١) إن للأُم ضرباً من الولاية على الولد في تأديبه وتعليمه وإمساكه وتربيته، ولو لم يكن لامرأة عمران شيء من ذلك ما نذرت الذي نذرته[١].

٢) للأُم تسمية ولدها، وتكون تسمية صحيحة وإنْ لم يسمه الأب لقول امرأة عمران: ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ وأثبت الله تعالى لولدها هذا الاسم[٢].

٣) جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ إلى قولها: ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾[٣].

وقد ثبت في السنة أحاديث تدل على ذلك، منها قوله عليه الصلاة والسلام: ((ولد لي الليلة ولد سميته باسم أَبي إبراهيم))[٤].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: وُلِدَ لي غلام فأتيت به رسول الله ﷺ فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة ودعا له بالبركة[٥].

---

(١) أحكام القرآن بتصرف، جـ٢، ص: [١١].

(٢) المصدر السابق، وانظر: تحفة المودود بأحكام المولود، ص: [٧٩].

(٣) تفسير ابن كثير، جـ١، ص: [٢٧].

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب رحمته r الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، جـ٤، ص: [١٨٠٧].

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ، باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه وتحنيكه، جـ٩، ص: [٥٠٠]، وصحيح مسلم ، كتاب الآداب ، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، جـ٣، ص: [١٦٩٠].

الدروس والعبر

١) ينبغي للعبد أن يطلب الولد الصالح كما طلبت ذلك امرأة عمران في دعائها وكما دعا به زكريا عليه السلام حيث قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾[1] وإبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2] وقال تعالى في صفات عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[3] ولا ينبغي أن يكون طلب الولد لمجرد الاستئناس والاستنصار والاستعانة بأمر المعاش بهم[4] وقد جاء الحث على طلب الولد الصالح فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاّ من ثلاثة إلاّ من صدقةٍ جارية، أو علم ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له))[5].

٢) التوسل إلى الله تعالى بوصف الربوبية لما في ذلك من اظهار الافتقار إلى الرب ﷻ[6] أخذاً من توسل امرأة عمران بوصف الربوبية.

٣) ينبغي للعبد أن لا يكتفي بالعمل، بل يسأل الله تعالى القبول أخذاً من قول امرأة عمران: ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ﴾ وكذلك قال إبراهيم عليه السلام وهو يرفع البيت: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[7].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: [٣٨].
(٢) سورة الصافات، الآية: [١٠٠].
(٣) سورة الفرقان، الآية: [٧٤].
(٤) تفسير القاسمي، جـ٤، ص: [٨٣٣].
(٥) صحيح مسلم ، كتاب الوصية ، باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد وفاته، جـ٣، ص: [١٢٥٥].
(٦) انظر: تفسير أبي السعود، جـ٢، ص: [٢٦].
(٧) سورة البقرة، الآية: [١٢٧].

٤) أنَّ الأولى بالعبد أَنْ يسأل ربه قبول العمل أثناء القيام به أخذاً من سؤال امرأة عمران القبول أثناء دعائها وكذلك كان سؤال إبراهيم عليه السلام قبول العمل أثناء بنائه للكعبة.

٥) اختيار أسماء الله تعالى وصفاته المناسبة للمقام للتوسل بها[1] أخذاً من قول امرأة عمران: ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ وكذلك دعاء أولي الألباب في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[2] وفي دعاء عيسى عليه السلام ما قال الله تعالى عنه: ﴿ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[3].

٦) إحاطة الله تعالى بالحوادث أخذاً من قوله: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾.

٧) بيان فضل الذكر على الأنثى في باب النهوض بالأعمال والواجبات[4] أخذاً من قوله: ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ وفي هذا رد على المنادين بالمساواة بين الذكر والأنثى.

٨) اختيار الاسم الحسن للمولود أخذاً من قولها: ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ وقد عرفنا من قبل أن معنى مريم أي عابدة[5]. ومما روي عن أبي الدرداء

---

(١) انظر: كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص: [٩٢،٩٣]، وانظر: تفسير أبي السعود، جـ٢، ص: [٢٦].
(٢) سورة آل عمران، الآية: [٨].
(٣) سورة المائدة، الآية: [١١٤].
(٤) أيسر التفاسير للجزائري، جـ١، ص: [٢٥٨].
(٥) انظر : ص ٧٣ .

قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنكم تُدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم))[1].

قال ابن القيم رحمه الله : " وبالجملة فالأخلاق والأعمال والأفعال القبيحة تستدعي أسماء تناسبها، وأضدادها تستدعي أسماءً تناسبها، وكما أن ذلك ثابت في أسماء الأوصاف، فهو كذلك في أسماء الأعلام.

وما سُمي، رسول الله ﷺ محمداً وأحمد إلا لكثرة خصال الحمد فيه، ولهذا كان لواء الحمد بيده، وأمته الحمَّادون، وهوأعظم الخلق حمداً لربه تعالى؛ ولهذا أَمر رسول الله عليه الصلاة والسلام بتحسين الأسماء فقال: ((حسِّنوا أسماءكم)) ، فإن صاحب الاسم غير الحسن قد يستحي من اسمه، وقد يحمله اسمه على فعل ما يناسبه وترك ما يضاده، ولهذا ترى أكثر السفل أسماؤهم تناسبهم، وأكثر العلية أسماؤهم تناسبهم[2].

٩) تحصين الأولاد من الشيطان بتعويذهم بالله رب العالمين أخذاً من قوله: ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعوّذ الحسَنَ والحسين

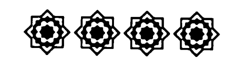
---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في تغيير الأسماء، جـ٤، ص: [٢٨٧]، قال ابن حجر رجاله ثقات إلاّ أنّ في سنده إنقطاعاً بين عبدالله بن أبي زكريا راويه عن أبي الدرداء وأبي الدرداء فإنه لم يدركه. فتح الباري، جـ١٠، ص: [٥٩٣].

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود، ص: [٨٦].

ويقول: ((إِنّ أباكما كان يعوّذ بهما إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة))[1].

١٠) استجابة الله تعالى لدعاء أوليائه، كما استجاب لامرأة عمران ورزقها الولد وأعاذ بنتها وولدها من الشيطان الرجيم[2].



---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث أبي ذر : أي مسجد وضع في الأرض، جـ٦، ص: [٤٧٠].

(٢) أيسر التفاسير للجزائري بتصرف، جـ١، ص: [٢٥٨].



المبحث الخامس:

قصة مريم البتول

المدخل إلى القصة

إنَّ للعفة وحفظ الفروج شأناً عظيماً فقد أمر الله تعالى بذلك في قوله سبحانه: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ﴾(١) وقال: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾(٢) فوجه الخطاب إلى الرجال والنساء.

وامتدح الله تعالى الحافظين فروجهم والحافظات في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ - إلى قوله - وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٣)، لِما في حفظ الفرج من سلامة القلب وطهارة النفس؛ حيث قال تعالى معلّلاً للأمر بذلك: ﴿ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾(٤) وقد ضرب الله تعالى للمؤمنين والمؤمنات مثلاً في امرأة حفظت فرجها وصانت عرضها وأخلصت لربها.

وقد جاء ذلك في عدة مواضع من كتاب الله العزيز:

---

(١) سورة النور، الآية: [٣٠].
(٢) سورة النور، الآية: [٣١].
(٣) سورة الأحزاب، الآية: [٣٥].
(٤) سورة النور، الآية: [٣٠].

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ .. وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ .. قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا .. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ

(١) سورة آل عمران، الآيات: [٣٦ ، ٣٧ ، ٤٢ - ٤٥ ، ٤٧].

إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ

---

(١) سورة النساء، الآية: [١٥٦ ، ١٧١].

(٢) سورة المائدة، الآية: [٧٥].

لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾(1).

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(2).

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾(3).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾(4).

معاني مفردات آيات القصة.

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا ﴾ : أي قَبِلَ الله مريم من أُمِّها، وقيل: التقبُّل بمعنى التكفُّل في التربية والقيام بشأنها(5).

---

(1) سورة مريم، الآيات: [16-29].
(2) سورة الأنبياء، الآية: [91].
(3) سورة المؤمنون، الآية: [50].
(4) سورة التحريم، الآية: [12].
(5) انظر: تفسير البغوي، جـ1، ص: [296].

﴿ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴾ : المحراب الغرفة، والمحراب صدر المجلس ومنه محراب المسجد(١) وهو مقدم كل مجلس ومصلى، وهو سيد المجالس وأشرفها وأكرمها، وكذلك هو من المساجد[٢].

﴿ ٱصۡطَفَىٰكِ ﴾ : اختارك[٣] واجتباك لطاعته وما خصَّك به من كرامته[٤].

﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ : طهر دينك من الريب والأدناس التي في أديان نساء بني آدم[٥].

﴿ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ : اختارك على نساء العالمين في زمانك بطاعتك إياه ففضلك عليهنَّ[٦].

﴿ ٱقۡنُتِي ﴾ : القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع[٧].

﴿ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ ﴾ : المس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس، وكنى به عن النكاح[٨].

﴿ بَغِيّٗا ﴾ : بغت المرأة بغيا إذا فجرت، وذلك لتجاوزها إلى ما ليس لها[٩]، والمراد زانية[١٠].

﴿ سَرِيّٗا ﴾ : أي نهراً يسري[١١].

---

(١) مختار الصحاح، ص: [١٢٨].
(٢) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٤٦]، وتفسير البغوي، جـ١، ص: [٢٩٧]، ومعاني القرآن للزجاج، جـ١، ص: [٤٠٣].
(٣) معاني القرآن للزجاج، جـ١، ص: [٤١٠].
(٤) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٦٢].
(٥) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٦٢].
(٦) تفسير الطبري.
(٧) المفردات للراغب، ص: [٤١٣].
(٨) المصدر السابق، ص: [٤٦٧].
(٩) المفردات للراغب، ص: [٤٦٧].
(١٠) تفسير الجلالين، ص: [٤٠٥].
(١١) المصدر السابق.

﴿ أَقْلَـٰمَهُمْ ﴾ : سهامهم التي استهم بها[١].

﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ ﴾ : المراد بها كلمة كن[٢].

﴿ بُهْتَـٰنًا ﴾ : البهتان هو الكذب الذي يحير من شدته وعظمه[٣].

﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ : أي كثيرة الصدق مؤمنة به مصدقة له، وهذا أعلى مقاماتها، والصديقية : هي العلم النافع المثمر لليقين والعمل الصالح[٤].

﴿ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ ﴾ : أي اعتزلت وهو في بطنها. والباء في ((به)) للحال أي مصحوبة به[٥].

﴿ نَسِيًا ﴾ : النسي: هو الذي من حقه أن يُطرح ويُنسى[٦].

﴿ وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ ﴾ : آويناهما: جعلنا مأواهما أي منزلهما[٧].

﴿ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ﴾ : المكان المرتفع من الأرض[٨].

﴿ ذَاتِ قَرَارٍ ﴾ : مستوية منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها[٩].

﴿ وَمَعِينٍ ﴾ : الماء الجاري الظاهر الذي تراه العيون[١٠].

---

(١) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٦٧].
(٢) تفسير البغوي، جـ١، ص: [٥٠٢]، وتفسير ابن كثير، جـ٢، ص: [٤٣١].
(٣) معاني القرآن للزجاج، جـ٢، ص: [١٢٨].
(٤) تفسير البغوي، جـ٢، ص: [٥٤]، وتفسير ابن كثير، جـ٣، ص: [١٥٠]، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ١، ص: [٥٠٧].
(٥) تفسير البحر المحيط، جـ٦، ص: [١٨١].
(٦) الكشاف، جـ٢، ص: [٥٠٦].
(٧) تفسير النسفي، جـ٢، ص: [٤٧٣].
(٨) تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٣١٠]، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٣، ص: [٣٦٠].
(٩) معاني القرآن للزجاج، جـ٤، ص: [١٥].
(١٠) تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٣١٠].

التعريف بالمرأة

جاء التصريح باسمها في الكتاب والسنة كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾[1] فهي مريم بنت عمران من سلالة داود عليه السلام وكانت من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل، ونشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة فكانت إحدى العابدات الناسكات المشهورات بالعبادة العظيمة والتبتل الدؤوب[2].

ذكر أبو حيان أن معنى مريم العابدة[3].

وذكر ابن حجر أن معنى مريم الخادم بالسريانية[4].

وقد جاء في السنة ما يدل على علوّ منزلتها ورفعة قدرها قال ﷺ : ((**كمل[5] من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون ... الحديث**))[6].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((**ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً مِنْ نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه**)) ثم قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[7].

---

(١) سورة التحريم، الآية: [١٢].

(٢) تفسير ابن كثير، جـ٥، ص: [٢١٣].

(٣) تفسير البحر المحيط، جـ٢، ص: [٤٣٩].

(٤) فتح الباري، جـ٦، ص: [٥٤١].

(٥) الكمال بمعنى التناهي والتمام ، وكمال كل شيء بحسبه ، والكمال المطلق إنما هو لله تعالى خاصة ، ولا شك أن أكمل نوع الإنسان الأنبياء ثم يليهم الأولياء من الصديقين والشهداء والصالحين. تفسير القرطبي، جـ٤، ص: [٨٣].

(٦) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، جـ٧، ص: [١٣٣]، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل خديجة أم المؤمنين، جـ٤، ص: [١٨٨٦].

(٧) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل عيسى عليه السلام، جـ٤، ص: [١٨٣٨].

قال القرطبي: قال علماؤنا: " فأفاد هذا الحديث أن الله تعالى استجاب دعاء أم مريم، فإن الشيطان ينخس جميع ولد آدم حتى الأنبياء والأولياء إلا مريم وابنها "(١).

وقال - أيضاً - : " اختلف الناس في نبوة مريم فقيل: كانت نبية بهذا الإرسال والمحاورة للمَلَك ، وقيل: لم تكن نبية وإنما كلَّمها مثال بشر، ورؤيتها للمَلَك كما رؤي جبريل عليه السلام في صفة دحية الكلبي(٢) حين سؤاله عن الإيمان والإسلام ، والأول أظهر "(٣).

وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم ﴾(٤): " يخبر تعالى أنه إنما أرسل رسله من الرجال لا من النساء، وهذا قول جمهور العلماء كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة أن الله تعالى لم يُوحِ إلى امرأة من بنات بني آدم وحي تشريع " إلى أن قال رحمه الله: " والذي عليه أهل السنة والجماعة وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عنهم: أنه ليس في النساء نبية وإنما فيهن صديقات كما قال تعالى مخبراً عن أشرفهن مريم بنت عمران حيث قال: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ فوصفها في أشرف مقاماتها بالصديقة، فلو

---

(١) تفسير القرطبي، جـ٤، ص: [٦٨].
(٢) دحية بن خليفة بن فروة الكلبي، صحابي مشهور أول مشاهده الخندق كان جميلاً وكان جبريل ينزل على صورته. انظر: الإصابة، جـ١، ص: [٤٦٣].
(٣) تفسير القرطبي، جـ١١، ص: [٩٠].
(٤) سورة يوسف، الآية: [١٠٩].

كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام ، فهي صديقة بنص القرآن "[1] ويتبين من كلام ابن كثير رجحان قوله لقوة الدليل والله أعلم.

عرض القصة

قصَّ لنا القرآن الكريم خبر مريم من حين ولادتها؛ وذلك أن أمها نذرت أن تحرر ما في بطنها ودعت الله تعالى أن يتقبله منها فولدت أنثى وسمتها مريم وقد عوذتها بالله كما تقدم بيان ذلك في قصة أم مريم والتي هي امرأة عمران، فاستجاب الله ذلك الدعاء واستقبل الله مريم من أول أمرها فكانت في رعاية الله منذ ولدت، وأنشأها سبحانه نشأة حسنة في خَلقها وخُلقها وفي عبودية الله وطاعته[2] ويَسَّر لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده لتقتبس منهم العلم والخير، وذلك بأن جعلها في كفالة زكريا عليه السلام [3]، حيث فاز بكفالتها بالقرعة واستمرت معه حتى بلغت[4]، وقد كانت وهي في كفالة زكريا ملازمة لمحرابها مكثرة من الصلاة والتقرب إلى الله تعالى كما أفاده قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ ﴾ ، فهذا إشارة إلى ما كانت عليه من المداومة على العبادة[5] فكانت بذلك من أولياء الله عز وجل ونالت من الكرامات ما ذكره الله تعالى من الرزق العجيب الذي كان يسألها عنه زكريا عليه السلام فيقول: ﴿ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾ فتقول: ﴿ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ، كما ذكر القرآن ما جرى من خطاب الملائكة لها وقد نادتها

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣٤٥ ، ٣٤٦].
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، جـ٢، ص: [٢٨]، وتفسير البحر المحيط، جـ٢، ص: [٤٤١].
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، جـ٢، ص: [٢٨].
(٤) انظر: تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٤١].
(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ١، ص: [٢٤٢].

الملائكة باسمها تأنيساً لها وتوطئة لما يُلقونه إليها[1] فأخبروها بأن الله اصطفاها وطهرها من الأكدار والوسواس[2] واصطفاها على نساء العالمين أي عالمي زمانها أو نساء العالمين جميعاً؛ وذلك لكونها ولدت بلا زوج أو لكونها محررة ولم تحرر أنثى قط[3] كما أمرتها الملائكة بكثرة العبادة والخشوع والركوع والسجود وذلك لتتهيأ للمحنة العظيمة[4]، وهي ما بشَّرتها به الملائكة من أنها ستلد ولداً ذكراً وأن اسمه المسيح عيسى ابن مريم، فنسبت الملائكة الولد إليها لتعلمها أن ذلك الولد سيكون من غير زوجٍ، ولهذا تعجبت فقالت: ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[5]، فهي لم تتزوج لاشتغالها بالعبادة والخدمة لدينها[6] ثم ذكر الله تعالى ما جرى - حين انفردت بنفسها شرقي المسجد الأقصى واتخذت حجاباً أي ستراً يسترها من أهلها ومن الناس - من إرسال جبريل عليه السلام إليها في صورة بشر سوي الخلقة فاستعاذت بالله منه حيث قالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا فخاطبها المَلَك قائلاً: إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا، قالت: أنى يكون لي غلام أي كيف يكون لي غلام أو يوجد لي ولد ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا، أي ولست ذات زوجٍ وما أنا ممن يفعل الفاحشة؟ فأجابها ال-مَلَك على تعجبها قائلاً: كذلك قال ربك أي وعد أنه سيخلق منك غلاماً

---

(١) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ٢، ص: [٤٥٥].
(٢) تفسير ابن كثير، جـ٢، ص: [٣٢].
(٣) انظر: تفسير البغوي، جـ١، ص: [٣٠٠]، وتفسير الطبري، جـ٤، ص: [٨٢].
(٤) تفسير ابن كثير، جـ٢، ص: [٣٢].
(٥) فتح القدير، جـ١، ص: [٣٤١]، والكشاف، جـ١، ص: [٤٣٠].
(٦) تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٦٠]، والأنموذج الجليل في الأسئلة والأجوبة من غرائب آي التنزيل لمحمد بن أبي بكر الرازي، جـ١، ص: [٤٩].

من غير بعلٍ أو زنى، وهو أمر يسير فإن الله على ما يشاء قدير، فنفخ جبريل نفخة سلكت في فرجها فحملت بعيسى عليه السلام فانفردت بعيداً عن الناس خشية أن يتكلموا فيها. فألجأها الطلق إلى جذع النخلة وحين ذلك قالت: يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً، تمنت الموت وتَمَنَّت لو أنها لم تُخلق لما علمت من مآلها واتهام الناس لها، فحملت بسبب ذلك هماً عظيماً، فناداها مِن تحتها أو مَن تحتها على قراءتين: الأولى لنافع وحفص والكسائي وحمزة وخلف، والثانية للباقين[١]، والذي ناداها إما جبريل أو عيسى على قولين للمفسرين، فقال لها: لاتحزني قد جعل ربك تحتك سريا، أي نهرا، وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً، ويُحتمل أنها نخلة غير مثمرة لأن ميلاده كان في زمن الشتاء وليس ذاك وقت ثمر، وقد يُفهم ذلك من قوله تعالى على سبيل الامتنان: ﴿ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾[٢] فكلي واشربي وقري عيناً وطيبي نفساً بهذا المولود[٣]، ثم أوصاها قائلاً: إن رأيت أحداً من البشر يسألك عن أمرك وسبب ولادتك فقولي بلسان الحال: إني نذرت للرحمن صوماً أي صمتاً فلا أكلم اليوم أحداً من الناس[٤]، فأتت به قومها تحمله فأنكروا عليها وقالوا: يا مريم لقد جئت شيئاً فريا أي منكراً عظيماً[٥] وقالوا: يا أخت هارون قيل شبهوها بعابد من عُبَّاد زمانهم كانت تساميه في العبادة وكان اسمه هارون، وقيل: أرادوا بهارون أخا موسى شبهوها به في العبادة[٦] قالوا لها: ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغيا: أي أن هذا ليس من سجية أهلك وعادتهم فكيف وقعت في هذه

---

(١) إتحاف فضلاء البشر، ص: [٢٩٨].
(٢) قصص الأنبياء، ص: [٥٦٦-٥٧٠].
(٣) انظر: تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٧٤]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [١٩٣].
(٤) انظر: تفسير الطبري جـ١٦، ص: [٧٤]، وتفسير القرطبي، جـ١١، ص: [١٠١ ، ١٠٢].
(٥) قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٥٧١].
(٦) المرجع السابق.

الجريمة النكراء؟ فإن كلامهم هذا تعريض لها بالقذف وذلك كما ذكر الله في قوله: ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴾[1]، فأشارت إليه حينما قالوا لها ما قالوا لتظهر المعجزة وتظهر براءة مريم عليها السلام مما رُميت به من الفاحشة. قالوا متعجبين: كيف نكلم من كان في المهد صبيا؟ فأنطق الله عيسى عليه السلام بالحق فظهرت براءة هذه المرأة التي وصفها الله تعالى بالعفاف، ثم آواها الله تعالى وابنها إلى ربوة وهي مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر[2]. وإلى هذا الحد انتهى ذكر قصة مريم الطاهرة العفيفة الصدِّيقة والتي جعلها الله هي وابنها آية للعالمين؛ حيث وَلَدَت بلا زوج وَوُلِدَ عيسى بلا أب[3] فإن شأنها مع ابنها فيه حجة على من كان من الناس بينهم وعلى قدرة الله تعالى على إنشاء الأجساد من غير أصل[4] كما دلَّ القرآن على أنها وابنها كانا من البشر لقوله تعالى عنهما: ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ وهذا من شأن البشر.

الإسرائيليات

ورد في القصه إسرائيليات أجملها فيما يلي:

ذكر الطبري أنها حين بلغت انطلقت إلى المحراب وكانت كفالتها عند زكريا حينما فاز بالقرعة، فجعلها في بيته وهو في المحراب[5].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، جـ٦، ص: [١٢].

(٢) تفسير الطبري، جـ١٨، ص: [٢٧].

(٣) انظر: تفسير الطبري، جـ١٨، ص: [٢٥]، وانظر: تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٢٦٧]، وانظر: تفسير الفخر الرازي، جـ٢٣، ص: [١٠٤].

(٤) تفسير الطبري، جـ١٨، ص: [٢٥]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [٢٦٧]، وتفسير القرطبي، جـ١١، ص: [٣٣٨].

(٥) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٤٣،٢٤٤].

وروى الطبري عن ابن عباس وسعيد بن جبير أن زكريا جعلها معه في المحراب[1].

وذكر أيضاً أن زكريا كفل مريم بلا قرعة ولم ينازعه أحد فيها؛ وذلك أن خالتها كانت تحته[2].

وروى أيضاً عن شعيب الحياني أنهم إنما اقترعوا على مريم بعد بلوغها لأَجْلِ مؤنتها حيث رأوا أن زكريا عاجز عن مؤنتها[3].

وذكر أيضاً أن المراد بالرزق فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء[4].

وروى أيضاً عن ابن عباس وغيره أن المراد عنب في غير حينه[5].

ذكر السيوطي عن مجاهد: ﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ قال علماً[6].

وروى الطبري عن مجاهد قال لما قيل لها: يامريم اقنتي لربك، قامت حتى ورم كعباها[7].

وذكر أيضاً عن ابن إسحاق أن الملائكة خاطبت مريم شفاهاً[8].

---

(١) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٤٤].
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق، وإسناده ضعيف، ففيه الحسين بن داود المصيصي، ضعيف كما سبق. انظر: ص: [٤٤].
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) الدر المنثور: جـ٢، ص: [١٨٦].
(٧) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٦٥].
(٨) المصدر السابق، جـ٣، ص: [٢٦٤].

ونقل أيضاً عن ابن إسحاق قال: كانت مريم حبيساً في الكنيسة ومعها في الكنيسة غلام اسمه يوسف وقد كان أمه وأبوه جعلاه نذيراً حبيساً فكانا في الكنيسة جميعاً وكانت مريم إذا نفد ماؤها وماء يوسف أخذا قلتيهما فانطلقا إلى المفازة التي فيها ماء يستعذبان منه فيملآن قلتيهما، ثم يرجعان إلى الكنيسة، والملائكة في ذلك مُقبلة على مريم يا مريم إن الله اصطفاك وطهَّرك واصطفاك على نساء العالمين فإذا سمع ذلك زكريا قال: إنَّ لابنة عمران لشأناً[1].

وأورد السيوطي عن ابن عباس قال: لما بلغت مريم فإذا هي في بيتها منفصلة إذ دخل عليها رجل بغير إذن فخشيت أن يكون دخل عليها ليغتالها[2] فقالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً.

وأورد أيضاً عن ابن عباس وعن مرة[3] عن ابن مسعود رضي الله عنهما قالا: " خرجت مريم إلى جانب المحراب لحيض أصابها ، فلما طهرت إذا هي برجل معها فتمثل لها بشراً ففزعت وقالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ، فخرجت وعليها جلبابها ، فأخذ بكمها، فنفخ في جيب درعها - وكان مشقوقاً من قدامها - فدخلت النفخة صدرها فحملت ، فأتتها أختها امرأة زكريا ليلةً تزورها. فلما فتحت لها الباب التزمتها فقالت امرأة زكريا: يا مريم أشعرت أني حبلى؟ قالت مريم : أشعرت أيضاً أني

---

(١) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٦٤].
(٢) الدر المنثور، جـ٥، ص: [٤٩٤].
(٣) هو مرة بن شراحيل الهمداني بسكون الميم الكوفي، ويقال له: مرّة الطيب، ثقة عابد، مات سنة ست وسبعين. انظر: التقريب ، جـ٢، ص: [٢٣٨]، رقم: [١٠٠٧].

حبلى ؟ فقالت امرأة زكريا : فإني وجدت ما في بطني يسجد للذي في بطنك، فذلك قوله: ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[1] "[2].

وروى الطبري عن ابن جريج ووهب بن منبه أن الذي أُرسل إليها هو جبريل عليه السلام [3].

ونقل السيوطي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حين حملت وضعت[4]، وعن ابن عباس وعكرمة أنها حملت به ثمانية أشهر وقيل: تسع ساعات، وقيل غير ذلك[5].

وذكر السيوطي عن أبي عبيد الله : فأجاءها المخاض إلى جذع نخلة يابسة قد جيء به ليُبنى به بيت يُقال له بيت لحم[6] فحركته فإذا هو نخلة[7].

وذكر أيضاً عن مجاهد أن النخلة كانت عجوة[8].

وأورد أيضاً عن سعيد بن جبير أن الربوة هي بيت المقدس[9].

وروى الطبري عن أبي هريرة أن المراد بالربوة هي الرملة من فلسطين[1].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: [٣٩].

(٢) الدر المنثور، جـ٥، ص: [٤٩٥]، وقال ابن جرير جـ١، ص: [٣٥٤] عن هذا الإسناد: « ولست أعلمه صحيحاً إذ كنت بإسناده مرتاباً »، وذكر ابن حجر أن راويه السدي خلط روايات الجميع فلم تتميز روايات الثقة من الضعيف. انظر: الدر، جـ٨، ص: [٧٠١].

(٣) تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٦٠].

(٤) الدر المنثور، جـ٥، ص: [٤٩٧].

(٥) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٥٦٨].

(٦) هي قرية بالشام تلقاء بيت المقدس وهي التي وُلد فيها عيسى عليه السلام . معجم ما استعجم، جـ١، ص: [٢٨٩]، والروض المعطار في خبر الأقطار، ص: [١٢٣]، وهي مدينة معروفة في فلسطين.

(٧) الدر المنثور، جـ٥، ص: [٥٠٠ ، ٥٠١].

(٨) المصدر السابق، جـ٥، ص: [٥٠٤].

(٩) المصدر السابق، جـ٦، ص: [١٠٠].

ونقل السيوطي عن وهب بن منبه وابن زيد وعن ابن عباس والحسن أنها مصر[٢].

وذكر أيضاً عن مجاهد ﷺ قال: قالت مريم : كنت إذا خلوت حدثني عيسى وكلمني وهو في بطني، وإذا كنت مع الناس سبح في بطني وكبر وأنا أسمع[٣].

نقد الإسرائيليات

من هذه الروايات ما هو منكر، ومنها ما هو ثابت، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأمَّا ما روي من أن زكريا جعل مريم في بيته وهو في المحراب فهذا خلاف قوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ فإنه يفيد أنها كانت في المحراب معه.

وأمَّا ما روي من أن القرعة كانت بعد بلوغها وبعد كفالة زكريا لها وذلك أنه عجز عن مؤنتها فالصحيح والذي يدل عليه ظاهر السياق أن زكريا كفلها بالقرعة، ولم تكن قرعة أخرى بعدها في شأن مريم.

وأمَّا ما روي من أن المراد بالرزق هو العلم فهو بعيد؛ لأن الرزق هنا فيما يظهر هو غذاء البدن ونحو ذلك، والعلم غذاء القلب وهو شيء غير محسوس.

---

(١) تفسير الطبري، جـ١٨، ص: [٢٦].
(٢) الدر المنثور، جـ٦، ص: [١٠٠].
(٣) المصدر السابق، جـ٥، ص: [٤٩٧].

وأمَّا ما روي من الخلاف في مدة حملها فقد قال ابن القيم رحمه الله: " إنما عطف بالفاء مع أن بين مجيء المخاض والحمل مهلة؛ لأن المهلة التي بين حملها و مخاضها كانت مدة يسيرة، قيل: كانت يوماً وقيل: كانت ثلاث ساعات، وعليه أغلب المفسرين حتى يتميز حملها عن سائر النساء، ويكون ذلك كرامة لها، فعلى هذا يكون المراد بالآية بيان ذلك[1]".

وأمَّا ما روي من الخلاف في موضع الربوة فقد رجح ابن كثير رحمه الله أن المراد بها بيت المقدس.

وأمَّا ما روي من كفالة زكريا لها وفوزه بذلك بالقرعة وخطاب الملائكة لها شفاهاً وانفصالها عن أهلها ودخول الـمَلَك عليها واستعاذتها منه ونفخ جبريل عليه السلام في درعها وحملها من ذلك، فهذا كله ثابت في كتاب الله العزيز كما تقدم.

وأمَّا ما سوى ذلك من الروايات فلا أعلم ما يثبته أو ينفيه، والله تعالى أعلم.

الأحكام المستفادة من القصة

1) مشروعية الكفالة[2] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ وقال ﷺ: ((كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة[3] وأشار مالك بن أنس - رحمه الله - بالسبابة والوسطى)).

---

(1) بدائع التفسير لابن القيم، جـ3، ص: [136].
(2) الإكليل، ص: [69]، وتفسير القرطبي، جـ4، ص: [86].
(3) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ18، ص: [113].

٢) إن الخالة أحق بالحضانة بعد الجدة من سائر القرابات أخذاً من كفالة زكريا لمريم وزكريا زوج خالتها[١] وقال ﷺ: ((الخالة بمنزلة الأم))[٢].

٣) جواز طلب الاستفسار عما يكون مخالفاً للعادة لمعرفة سر ذلك أو علته أخذاً من قوله تعالى عن مريم: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾[٣].

٤) مشروعية القرعة[٤] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾.

٥) مشروعية التعوذ بالله من كل ما يخاف[٥] أخذاً من قولها: ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾.

٦) جواز تمني الموت خشية الفتنة في الدين[٦] أخذاً من قول مريم: ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا ﴾.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

((والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدَّين إلا البلاء))[٧].

---

(١) تفسير القرطبي، جـ٤، ص: [٨٦]، وأحكام القرآن لابن العربي، جـ١، ص: [٢٧٤]، والإكليل، ص: [٦٩]، وانظر: المغني لابن قدامة، جـ٨، ص: [٣٦٥].

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب كيف يكتب: هذا ما صالح فلان ابن فلان ... جـ٥، ص: [٣٥٨].

(٣) أيسر التفاسير للجزائري، جـ١، ص: [٢٦٤].

(٤) الإكليل، ص: [٦٩]، وتفسير القرطبي، جـ٤، ص: [٨٦].

(٥) أيسر التفاسير للجزائري، جـ١، ص: [٢٦٤].

(٦) انظر: تفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣٣٨]، وانظر: تفسير القرطبي، جـ١١، ص: [٩٢].

(٧) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب شدة الزمان، جـ٢، ص: [١٣٤٠]، حديث صحيح، وانظر: صحيح سنن ابن ماجه، جـ٢، ص: [٣٧٥].

٧) وجوب السعي وبذل الأسباب في طلب الرزق مع كونه محتوماً[١] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[٢].

٨) مشروعية النذر[٣] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمًا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيًّا ﴾، وقال ﷺ: ((**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**))[٤].

٩) إذا حلف الحالف على ألا يتكلم أو لا يكلم فلانا لا يحنث بالإشارة[٥] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ ﴾.

١٠) إنَّ ترك الكلام واستعمال الصمت قد كان قُربة، ولولا ذلك لما نذرته مريم عليها السلام ولما فعلته بعد النذر[٦] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمًا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيًّا ﴾، إلا أنَّ نذر الصمت في شريعتنا منهي عنه ولا يصح[٧] لما جاء عن ابن عباس قال: ((بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه، فقالوا أبو

---

(١) انظر تفسير القرطبي، جـ١١، ص: [٩٢].
(٢) سورة الملك، الآية: [١٥].
(٣) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٥٣ ، ١٥٤].
(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، جـ١١، ص: [٥٩٤].
(٥) الإكليل، ص: [١٧٤]، وتفسير القاسمي، جـ١١، ص: [٤١٣٨].
(٦) أحكام القرآن للجصاص، جـ٣، ص: [٢١٧].
(٧) تفسير البحر المحيط، جـ٦، ص: [١٨٥].

إسرائيل[1] نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي ﷺ: ((**مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه**))[2].

11) جواز التسمية بأسماء الأنبياء[3] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾ وهارون هذا مسمى باسم نبي الله عليه السلام.

12) وجوب السكوت عن السفيه[4] أخذاً من سكوت مريم لمّا اتهمها قومها بالفاحشة ولم تُجِبْ عليهم، وقال تعالى: ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[5].

الدروس والعبر

1) إنَّ للأولياء كرامات كما حصل لمريم في محرابها من الرزق[6].

2) إنَّ أهل القُرْب من الله تعالى هم أهل طاعته القانتون له[7] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ ﴾ ، وقوله: ﴿ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾.

3) إنَّ الصلاة هي سُلَّم العروج إلى الملكوت الأعلى[8] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾.

4) إنَّ من نعمة الله على العبد أن يكون في كفالة الصالحين الأخيار[9] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾.

---

(1) هو قشير أو يسير قرشي عامري أو أنصاري على قولين. الإصابة، جـ٣، ص: [٢٢٧]، جـ٤، ص: [٦].

(2) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، جـ١١، ص: [٥٩٤].

(3) تفسير القرطبي، جـ١١، ص: [١٠٠].

(4) انظر: الكشاف، جـ٢، ص: [٥٠٧]، وانظر: الفخر الرازي، جـ٢١، ص: [٢٠٨].

(5) سورة الأعراف، الآية: [١٩٩].

(6) أيسر التفاسير للجزائري، جـ١، ص: [٢٥٨].

(7) المرجع السابق، جـ١، ص: [٢٦٣].

(8) المرجع السابق.

(9) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٥٤].

٥) إنَّ الأسباب جميعها لا تستقل بالتأثير، وإنما تأثيرها بتقدير الله[١] أخذاً من قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾.

٦) تواضع المؤمن مع ربه وذلك بنسبة الرزق إلى الله دون افتخار[٢] أخذاً من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

٧) فضيلة العفة والحياء[٣] أخذاً من ثناء الله على مريم بقوله: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾.

٨) التقوى مانعة من فعل الأذى بالناس أو إدخال الضرر عليهم[٤] أخذاً من قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾.

٩) إنَّ المُعْتَبَر في استحقاق الكرامة عند الله هو العمل الصالح والاعتقاد الحق كإحصان مريم، وتصديقها بكلمات ربها وطاعتها المعدة إياها لقبول نفخ روح الله فيها[٥].

١٠) إنَّ احتياج النفساء إلى أكل الرطب أشد من احتياجها إلى شرب الماء لكثرة ما سال منها من الدماء[٦] أخذاً من قوله تعالى: ﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى﴾ حيث قَدَّمَ الأكل على الشرب.

١١) إنَّ الرطب أنفع غذاء للنفساء[٧] أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾. قال الربيع ابن خيثم[٨]:

---

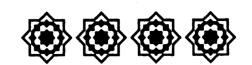
(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٣، ص: [١٩٧].
(٢) في ظلال القرآن، جـ١، ص: [٣٩٣].
(٣) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [١١].
(٤) المرجع السابق.
(٥) تفسير القاسمي، جـ١٦، ص: [٥٨٧٣]، ذكره القاسمي نقلاً عن القاشاني.
(٦) تفسير الفخر الرازي، جـ٢١، ص: [٢٠٧].
(٧) تفسير القاسمي، جـ١١، ص: [٤١٣٨].
(٨) الربيع بن خيثم يكنى أبا يزيد كوفي تابعي ثقة، من خيار أصحاب عبدالله بن مسعود. تاريخ الثقات، ص: [١٥٤].

ما للنفساء عندي خير من الرطب لهذه الآية ، ولو علم الله شيئاً هو أفضل من الرطب للنفساء لأطعمه مريم[١]، وعن عمرو ابن ميمون[٢]: " ليس للنفساء خير من الرطب أو التمر "[٣]، وعن شقيق بن سلمة[٤] قال: " لو علم الله أنَّ شيئاً للنفساء خير من الرطب لأمر مريم به "[٥].

١٢) إنَّ الفروع غالباً تكون زاكية إذا زكت الأصول وينكر عليها إذا جاءت خلاف ذلك[٦] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾.

١٣) إنَّ المشروع في دفع الأذى أن يكون بالأسهل فالأسهل[٧] أخذاً من قولها: ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ ﴾ فخوفته بالله تعالى أولاً.

١٤) إنَّ المؤمن لا يضره قذف القاذفين، واتهام الفاسقين أخذاً من ضرب المثل بمريم وهو أنها لم يضرها عند الله شيئاً قذف أعداء الله اليهود لها، ونسبتهم إياها وابنها إلى ما بَرَّأَها الله منه مع كونها الصِدِّيقة الكبرى المصطفاة على نساء العالمين[٨].



---

(١) تفسير القرطبي، جـ١١، ص: [٩٦].

(٢) عمرو بن ميمون تابعي روى عن جمع من الصحابة، توفي سنة ٧٤ أو ٧٥ أول خلافة عبدالملك. صفة الصفوة، جـ٣، ص: [٣٥].

(٣) فتح الباري، جـ٩، ص: [٤٧٨].

(٤) شقيق بن سلمة الأسدي يكنى أبا وائل الكوفي رجل ثقة مخضرم مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز وله مائة سنة. تقريب التهذيب، ص: [٢٦٨]، وتاريخ الثقات، ص: [٢٢١].

(٥) فتح الباري، جـ٩، ص: [٤٧٨].

(٦) تفسير البحر المحيط بتصرف يسير، جـ٦، ص: [١٨٦].

(٧) انظر : تفسير ابن كثير، جـ٥، ص: [٢١٤].

(٨) التفسير القيم لابن القيم، ص: [٤٩٧ ، ٤٩٨].

المبحث السادس:

قصة أم الكافر العاق

المدخل إلى القصة

كل والد ووالدة حريص على مصلحة أبنائه وهذا أمر طبيعي ولهذا كانت وصية الله للآباء بالأبناء أقل بكثير من وصيته سبحانه للأبناء بالآباء فمن وصايا الآباء بالأبناء قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[1]، وقوله ﷺ: ((**كلكم راعٍ ومسئول عن رعيته والإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسئول عن رعيته**))[2]. وإن أعظم الأمور التي تهم الوالدين المؤمنين في أبنائهما هو الإيمان والاستقامة، فالوالدان يوصيان الأبناء بذلك ، ويحرصان عليه أشد الحرص، كما أخبر الله تعالى عن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام في قوله سبحانه: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[3] ومما ذكر الله تعالى من أخبار الوالدين كذلك خبر والدي الكافر العاق.

---

(١) سورة التحريم، الآية: [٦].

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الوصايا، باب تأويل قوله تعالى: { من بعد وصية يوصى به أو دين }، جـ٥، ص: [٤٤٤].

(٣) سورة البقرة، الآية: [١٣٢].

وقد وردت قصتهما معه في موضع واحد من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[1].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾: أصل الأف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر وما يجري مجراهما[2] والمراد صوت يصدر عن المرء عند تضجره، واللام لبيان المؤفف له وهما الوالدان[3] ومعنى أُف أي قذراً لكما ونتناً[4].

﴿ خَلَتِ ﴾: أي مضت[5].

﴿ ٱلْقُرُونُ ﴾: جمع قرن والمراد به هنا القوم المقترنون في زمن واحد[6].

﴿ يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ ﴾: يطلبان الغوث أي النصر(٧) والمعنى يدعوان له بالهدى[8].

﴿ وَيْلَكَ ﴾: الويل هو الثبور والهلاك. وليس المراد به الدعاء عليه بل الحث له على الإيمان[9].

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: [١٧].
(٢) المفردات، ص: [١٩].
(٣) تفسير أبي السعود، جـ٨، ص: [٨٣].
(٤) تفسير الطبري، جـ٢٦، ص: [١٩].
(٥) تفسير الطبري، جـ٢٦، ص: [١٩]، والتسهيل لابن جزي، جـ٤، ص: [٤٣].
(٦) المفردات للراغب، ص: [٤٠١].
(٧) المصدر السابق، ص: [٣٦٧].
(٨) تذكرة الأريب لابن الجوزي، جـ٢، ص: [١٥٧]، وانظر: تفسير الطبري، جـ٢٦، ص: [١٩].
(٩) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ٨، ص: [٦٢]، وفتح القدير، جـ٥، ص: [٢٠]، وتفسير أبي السعود، جـ٨، ص: [٨٤].

التعريف بالمرأة

لم يثبت في تعيين أم الكافر العاق خبر صحيح، والظاهر أن الآية نزلت في شخص كافر معيَّن ووالديه المؤمنين(1).

ويدل على هذا ما رواه البخاري بسنده قال : كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه فقال له عبدالرحمن بن أبي بكر شيئاً فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ ﴾ فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري(2)، وفي رواية فقالت عائشة: كذب والله ما نزلت فيه، وفي رواية : والله ما أُنزلت إلا في فلان ابن فلان الفلاني، وفي رواية : لو شئت أن أسميه لسميته(3)، فدلَّ قول عائشة رضي الله عنها على أنَّ الآية نزلت في شخصٍ معيَّن ووالديه ولم تُفصح عن اسمه، ولم أقف على بيان ذلك والله تعالى أعلم.

عرض القصة

في هذه الآية الكريمة يذكر الله تعالى لنا قصة الوالدين المؤمنين مع ابنهما الكافر العاق وقد كانا يدعوانه إلى الإيمان ويحثانه عليه ويذكّرانه بالله ﷻ في قولهما له: ﴿ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ ويسألان الله ﷻ له الهداية ، ومع هذا النصح والإحسان يقابله الابن بالكفر

---

(1) تفسير الطبري، جـ٢٦، ص: [١٩]، وتفسير البغوي، جـ٤، ص: [١٦٨].
(2) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب (والذي قال لوالديه أُفٍ لكما ... الآية)، جـ٨، ص: [٤٣٩].
(3) فتح الباري، جـ٨، ص: [٤٤٠].

والعقوق(1) والطغيان ويتلفظ ببذيء الكلام يقول لهما: كلمة أُف التي هي بعيدة كل البعد عن المعروف(2)، فهي وإن كانت سهلة النطق قليلة الحروف لكنها عند الله ﷻ عظيمة لا تليق بأصحاب الفطرة السليمة، والأخلاق المستقيمة، والوفاء لأولي الفضل. ثم يكذبهما ويخطئهما في حقيقة البعث بقوله: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾(3) فاستحقَّ بذلك من الله ﷻ العذاب الأليم، فإن الجزاء من جنس العمل.

الأحكام المستفادة من القصة

1) حرمة عقوق الوالدين وأنه من الكبائر(4)، ويؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ ثم قال: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾(5) أي العذاب(6)، وكما في قوله ﷻ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾(7).

2) وجوب التأدب في خطاب الوالدين أخذاً من مفهوم الوعيد السابق وكما في قوله تعالى: ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾.

---

(1) عقَّ الولد أباه عقوقاً من باب قَعَد إذا عصاه وترك الإحسان إليه فهو عاق. المصباح المنير، ص: [422].
(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ5، ص: [13].
(3) انظر: في ظلال القرآن، جـ6، ص: [3263].
(4) أيسر التفاسير للجزائري، جـ4، ص: [233].
(5) سورة الأحقاف، الآية: [18].
(6) انظر: تفسير الطبري، جـ26، ص: [20].
(7) سورة الإسراء، الآية: [23].

٣) كُفْر من أنكر البعث أخذاً من قوله تعالى عن الابن: ﴿ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى ﴾ وقول الوالدين له: ﴿ وَيْلَكَ ءَامِنْ ﴾.

٤) وجوب الإيمان بالبعث أخذاً من قول الوالدين لابنهما الذي كفر بالبعث:﴿ وَيْلَكَ ءَامِنْ ﴾.

الدروس والعبر

١) إن التأفف للوالدين من خصال الكفر أخذاً من قول الله تعالى عن الابن الكافر: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾.

٢) تحذير الأولاد ممَّا يضرهم ولا سيما الكفر بالله ﷻ، أخذاً من قول الوالدين: ﴿ وَيْلَكَ ءَامِنْ ﴾.

٣) إنَّ على العبد أن يستغيث بالله ﷻ وحده عند الشدائد أخذاً من قوله تعالى في دعوة الوالدين ولدهما إلى الإيمان وصد الولد عنهما وهما يستغيثان الله؛ فإنَّ الهداية والتوفيق بيد الله ﷻ.

٤) حرص الوالدين على الأولاد وسعيهما في نفعهم وإن كانوا عاقين[1]، أخذاً من قوله تعالى عن الوالدين مع ابنهما العاق: ﴿ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ ﴾.

٥) أهمية الدعوة إلى الإيمان بالبعث وأنه هو الدافع إلى العمل أخذاً من قوله تعالى عن الولد: ﴿ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى ﴾، ودعوة الوالدين له : ويلك آمن. ولهذا نجد في القرآن كثيراً

---

(١) انظر: أيسر التفاسير للجزائري، جـ٤، ص: [٢٣٣]، وانظر: التفسير الواضح لمحمود حجازي، جـ٢٦، ص: [١١].

ما يقترن الإيمان بالله بالإيمان باليوم الآخر خصوصاً من بين سائر أركان الإيمان.

٦) إنَّ الله تعالى يُعامل عباده بنِيَّاتهم، فقد يتلفظ المرء بكلمة لا يقصد معناها ككلمة ويلك فإن المراد منها يُعلم بالمناسبة، فقد لا يُراد حقيقة معناها وإنما يُراد بها أمر آخر كما هو في قول الوالدين: ﴿ وَيْلَكَ ءَامِنْ ﴾ وقد تقدم معناه. ومثله كلمة تربت يداك[١]، ثكلتك أمك[٢] ... إلخ.

٧) إنَّ المحروم لا ينفعه نصح ناصح ولا حرص حريص[٣] أخذاً من قوله تعالى عن الوالدين: ﴿ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ ورد الابن بقوله: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [٤].

٨) سوء عاقبة الكِبْر[٥] فلما تكبر الولد ولم يقبل الحق الذي دعاه إليه والداه حقّت عليه كلمة العذاب. وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ ...إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٦] وقال ﷺ: ((**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر،**

---

(١) أي لصقت بالتراب من الفقر، وهذه الكلمة جارية على ألسنة العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب ولا وقوع الأمر به. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ١، ص: [١٨٤].

(٢) أي فقدتك. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ١، ص: [٢١٧].

(٣) انظر: التفسير الواضح لمحمود حجازي، جـ٢٦، ص: [١١].

(٤) سورة القصص، الآية: [٥٦].

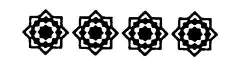
(٥) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٤، ص: [٢٣٣].

(٦) سورة غافر، الآية: [٦٠].

قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنةً قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكِبر بطر الحق[1] وغمط[2] الناس))[3].

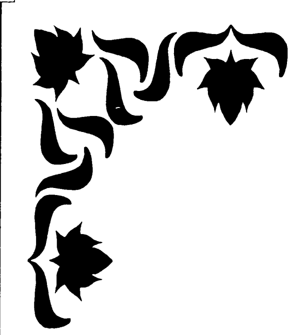
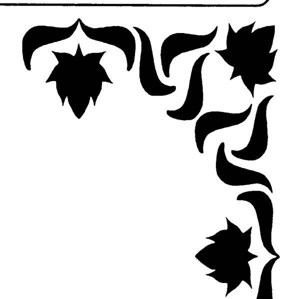
9) لا يلزم أن يُعطى الداعي مسألته بعينها فإن الله لم يَهْدِ الابن باستغاثة الوالدين الله ﷻ وقد قال ﷺ: ((**ما من مسلمٍ يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**))[4].

10) صدق وعد الله ﷻ أخذاً من قوله: ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾.



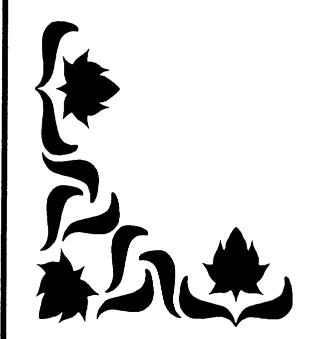
---

(1) أي عدم قبوله. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ1، ص: [135].
(2) أي احتقار واستهانة. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ3، ص: [387].
(3) صحيح مسلم، كتاب الأيمان والنذور، باب تحريم الكبْر وبيانه، جـ1، ص: [93].
(4) مسند الإمام أحمد، جـ3، ص: [18]، والمستدرك، جـ1، ص: [493]، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

الفصل الثاني

قصص
الــزوجــــات






المبحث الأول :

قصة حواء

المدخل إلى القصة

خلق الله تبارك وتعالى البشر على صور مختلفة، فمنهم من خُلق من ذكر وأنثى كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾(١) ومنهم من خُلق من أنثى فكان له أم وليس له أب وهو عيسى ﷺ كما قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ .. قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢).

ومن الناس من خُلق من ذكر فقط وهي حواء ولم يكن لها أب ولا أم قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾(٣)، ومنهم من خُلق من غير ذكر ولا أنثى ولم يكن له أب ولا أم كذلك وهو آدم ﷺ فقد خُلق من تراب كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾(٤)، وسأتناول في هذه الصفحات ذكر قصة حواء

---

(١) سورة الحجرات، الآية: [١٣].
(٢) سورة آل عمران، الآية: [٤٥ ، ٤٧].
(٣) سورة النساء، الآية: [١].
(٤) سورة آل عمران، الآية: [٥٩].

وقد وردت قصتها في عدة مواضع من كتاب الله العزيز:

قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ - قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن

(١) سورة البقرة، الآية: [٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨].
(٢) سورة النساء، الآية: [١].

تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ـ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ـ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ـ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[(٣)].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: [١٩-٢٤ ، ٢٧].
(٢) سورة الأعراف، الآية: [١٨٩].
(٣) سورة طه، الآية: [١١٧-١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ رَغَدًا ﴾ : واسعاً هنيئاً[1].

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ : أوقعهما في الزلة ، وعلى قراءة فأزالهما أي صرفهما ونحّاهما[2] وهي قراءة حمزة[3].

﴿ مُسْتَقَرٌّ ﴾ : أي موضع استقرار[4].

﴿ وَمَتَاعٌ ﴾ : المتاع انتفاع ممتد الوقت[5].

﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ : المراد إلى يوم القيامة[6].

﴿ وَبَثَّ ﴾ : بث: يعني نشر[7].

﴿ فَوَسْوَسَ ﴾ : أصل الوسواس صوت الحلي والهمس الخفي[8] والمراد به حديث يلقيه الشيطان في قلب الإنسان[9].

﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ : ليأوي إليها لقضاء الحاجة منها[10].

﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ : تدثرها وقضى حاجته منها بالجماع[11].

﴿ فَمَرَّتْ بِهِۦ ﴾ : أي استمرت بالحمل[12].

---

(١) تفسير الطبري بتصرف، جـ١، ص: [٢٣٠]، وتفسير البغوي بتصرف، جـ١، ص: [٦٣].
(٢) إتحاف فضلاء البشر، ص: [١٣٤]، والنشر في القراءات العشر، جـ٢، ص: [٢١١].
(٣) إتحاف فضلاء البشر، ص: [١٣٤].
(٤) فتح القدير، جـ١، ص: [٦٨].
(٥) المفردات للراغب، ص: [٤٦١].
(٦) تفسير ابن كثير، جـ١، ص: [١١٤]، وانظر: تفسير البغوي، جـ١، ص: [٦٥].
(٧) تفسير الطبري، جـ٤، ص: [٢٢٥].
(٨) المفردات للراغب، ص: [٥٢٢].
(٩) تفسير البغوي، جـ٢، ص: [١٥٢].
(١٠) تفسير الطبري، جـ٩، ص: [١٤٣].
(١١) المصدر السابق، وتفسير الجلالين، ص: [٢٣١].
(١٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ص: [١٧٥]، وتفسير المشكل من غريب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي، ص: [٨٩].

﴿ أَثْقَلَت ﴾ : صار حملها ثقيلاً[1].

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ : فخدعهما بغرور، يقال: ما زال فلان يدلي فلاناً بغرور بمعنى ما زال يخدعه بغرور ويكلمه بزخرف من القول باطل[2].

﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا ﴾ : أي ليظهر لهما[3].

﴿ مَا وُۥرِيَ ﴾ : وُوري: أي سُتر[4].

﴿ سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ : أي عوراتهما[5].

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ ﴾ : قاسمهما: حلف لهما[6].

﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ : أي أقبلا وجعلا يشدّان عليهما من ورق الجنة ليواريا سوءاتهما[7].

التعريف بالمرأة

هي حواء أم البشر وقد جاء ذكر اسمها صريحاً في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((لولا بنو إسرائيل لم يخنز[8] اللحم[9]،

---

(1) انظر: تفسير الطبري، جـ٩، ص: [١٤٤].
(2) تفسير الطبري، جـ٨، ص: [١٤٢].
(3) تفسير البغوي، جـ٢، ص: [١٥٢]، وزاد المسير، جـ٣، ص: [١٧٩].
(4) انظر: المفردات للراغب، ص: [٥٢٠]، وتفسير البغوي، جـ٢، ص: [١٥٢].
(5) تفسير البغوي، جـ٢، ص: [١٥٢].
(6) تفسير الطبري، جـ٨، ص: [١٤١].
(7) المصدر السابق، جـ٨، ص: [١٤٢]، وتفسير البغوي، جـ٢، ص: [١٥٣].
(8) يخنز: أي ينتن، إذ تغير ريحه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ٢، ص: [٨٣].
(9) الفتح، جـ٦، ص: [٤٢٤]، قيل: إن بني إسرائيل ادخروا لحم السلوى وكانوا نُهوا عن ذلك فعوقبوا بذلك . وقيل : معناه لولا أن بني إسرائيل سنّوا ادّخار اللحم حتى أنتن لما ادخر فلم ينتن . وقيل : المعنى لولا أن كتبت الفساد على الطعام لخزنته الأغنياء عن الفقراء. انظر: فتح الباري، جـ٦، ص: [٤٢٤].

ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها))[1] وقد خلقت من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه**[2]**، فاستوصوا بالنساء**))[3] وكان خلقها من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم فاستيقظ فرآها فأحبته فأنس إليها[4] قيل: سميت حواء لأنها خلقت من شيء حي وهو آدم عليه السلام [5] وقيل: سميت حواء لأنها أم لجميع الناس[6].

عرض القصة

يذكر لنا القرآن الكريم قصة حواء التي هي الأم الأولى للبشر حيث خلقها الله تعالى من آدم عليه السلام كما تقدم بيانه، وَزَوَّجَهُ إياها فتناسلت منها البشرية، والأخبار التي وردت في القرآن الكريم عنها كان جُلها عن أحداث وقعت في السماء، فقد خُلِقَتْ قَبل دخول آدم عليه السلام الجنة كما يفيده سياق الآيات حيث ذكر الله تعالى خَلْق آدم وسجود الملائكة له ثم قال: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[7] فدخلت مع زوجها عليه السلام

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، جـ٦، ص: [٤١٨]، قال ابن حجر فيه اشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك. الفتح، جـ٦، ص: [٤٢٤].

(٢) قيل فيه إشارة إلى أنَّ أعوج ما في المرأة لسانها. فتح الباري، جـ٦، ص: [٤٢٥].

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، جـ٦، ص: [٤١٨]، وصحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، جـ٢، ص: [١٠٩١].

(٤) تفسير ابن كثير، جـ٢، ص: [١٧٩].

(٥) تاريخ الطبري، جـ١، ص: [٦٩]، والكامل لابن الأثير، جـ١، ص: [٢٠]، وتفسير القرطبي، جـ١، ص: [٣٠١]، وقصص الأنبياء لابن كثير، ص: [١٨]، وتفسير الفخر الرازي، جـ٩، ص: [١٦٧]، وروح المعاني للألوسي، جـ١، ص: [٢٣٤].

(٦) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، جـ١، ص: [٤٠].

(٧) انظر: تفسير ابن كثير، جـ١، ص: [١١٢]، وقصص الأنبياء لابن كثير، ص: [١٨].

الجنة، ومتعهما الله تعالى بها، وأذن لهما في الأكل منها رغداً حيث شاءا لا تضييق عليهما في ذلك، وابتلاهما بنهيهما عن الأكل من شجرة خاصة[1] وحذرهما من الشيطان ليتقيا شره وينتبها من خطره، وأنهما لو أطاعاه لأُخرجا من الجنة، وكانا من الظالمين[2].

ومع هذا التحذير تمكن الشيطان من فتنتهما فأوقعهما في الزلل، ونحّاهما عن الجنة ونعيمها، وقد كان إزلال الشيطان لحواء وزوجها مشافهةً على قول الجمهور لقوله تعالى:﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾ وقال الشيطان لحواء وزوجها: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة أن تأكلا منها إلا لئلا تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين الباقين الذين لا يموتون، كما قال: هل أدلك على شجرة الخلد ومُلك لا يبلى[3]، فانخدعا بذلك القسم[4] فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما فجعلا يسترانها بورق الجنة، وعاتبهما الله ﷻ على خطيئتهما بقوله: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ فتابا إلى الله ﷻ بقولهما: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ فتاب الله عليهما بقوله: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ وحواء تابعة له[5]، وبعدما وقعا في تلك الخطيئة أمرهما الله تعالى بالهبوط إلى الأرض، وأُخرجا من الجنة إذ لم تكن دار إقامة لهما إبتداءً؛ فإنَّ الله أمرهما بالسكنى، والسكنى تكون

---

(١) تفسير أبي السعود، جـ١، ص: [٩٠]، والكشاف، جـ١، ص: [٢٧٣].
(٢) تفسير الطبري بتصرف، جـ١، ص: [٢٣٤] وجـ١٦، ص: [٢٢٢]، وتفسير البغوي، جـ١، ص: [١٦٣] و جـ٢، ص: [٢٣٣].
(٣) تفسير الطبري، جـ٨، ص: [١٤٠]، وتفسير البغوي، جـ٢، ص: [١٥٣].
(٤) انظر: تفسير أبي السعود، جـ٣، ص: [٢٢١].
(٥) انظر: بدائع التفسير، جـ١، ص: [٣١٢].

إلى مدة ثم تنقطع(١)، ثم إنَّ الله تعالى أهبطهما إلى الأرض ليتحقق الابتلاء لأن الله جعل الأرض دار ابتلاء، والجنة والنار داري جزاء(٢). وقد نبَّه الله تعالى حواء وزوجها على استمرار عداوة الشيطان لهما في الأرض(٣) وذلك في قوله تعالى: ﴿ .. بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ .. ﴾، وبعد هبوط حواء وزوجها إلى الأرض بدأت رحلة الحياة الدنيوية بين آدم وزوجه التي جعلها الله سكناً له، وبدأ التناسل منهما بحملها منه. وقد ذكر الله تعالى ما كان من الزوجين الكريمين عند ثقل الحمل من توجههما إلى الله تعالى بالدعاء بأن يؤتيهما ولداً صالحاً حيث قالا: ﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ فانتشرت بعد ذلك ذرية آدم عليه السلام.

الإسرائيليات

ورد في القصة أخبار عن بني إسرائيل أُجملها فيما يأتي:

روى الطبري عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن ناسٍ من الصحابة: كان آدم يمشي في الجنة وَحِشاً ليس له زوج يسكن إليها فنام نومة فاستيقظ، فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها من أنت؟ فقالت: امرأة قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن إليَّ(٤).

وروى السيوطي عن إبراهيم النخعي قال: لما خلق الله آدم وخلق له زوجته، بعث إليه ملكاً، وأمره بالجماع، ففعل(٥).

---

(١) انظر: تفسير القرطبي، جـ١، ص: [٢٩٩].
(٢) انظر: المصدر السابق، جـ١، ص: [٣٢١].
(٣) انظر: تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [٢٢٤].
(٤) تفسير الطبري، جـ١، ص: [٢٢٩،٢٣٠]، وانظر: الدر المنثور، جـ١، ص: [١٢٧]، وانظر الكلام عن إسناده، ص: [٦٣].
(٥) الدر المنثور، جـ١، ص: [١٢٩]، وهو حديث مرسل.

وروى أيضاً[1] عن أشعث الحداني[2] قال: كانت حواء من نساء الجنة، وكان الولد يُرى في بطنها إذا حملت ذكراً أم أنثى من صفائها[3].

وروى أيضاً عن أبي مالك في قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ قال: هي النخلة.

وروى أيضاً عن يزيد بن عبدالله بن قسيط قال: هي الأترج[4]، وعن مجاهد: أنها التينة[5]، وعن عطية: أنها السنبلة، وعن ابن عباس: أنها البر[6]، وعن أبي العالية قال: كانت شجرةً مَنْ أكل منها أحدث ، ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث[7].

وروى الطبري عن وهب بن منبه: أن الشجرة كانت غصونها متشعبةً بعضها في بعض ، وكان له ثمر تأكله الملائكة لخلدهم[8]، عن ابن زيد: أنه لـمَّا زيَّنت حواء لآدم الأكل من الشجرة وأكلا منها بدت لهما سوءاتهما فقال الله: فإن لها عليَّ أن أُدميها في كل شهر مرة كما أدميت هذه الشجرة، وأن أجعلها سفيهة، فقد كنت خلقتها حليمة، وأن أجعلها تحمل كرهاً وتضع كرهاً، فقد كنت جعلتها تحمل يسراً وتضع يسراً[9]، وعن ابن عباس وابن مسعود بنحوه[10].

---

(١) في الدر المنثور، جـ١، ص: [١٣٠]، ونسبه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ، ورجال ابن أبي حاتم ثقات.
(٢) هو أشعث بن عبدالله بن جابر الحُدَّاني الأزدي بصري يكنى أبا عبدالله، صدوق. انظر: التقريب، ص: [١٤٩]، رقم: [٥٣١].
(٣) المصدر السابق، جـ١، ص: [١٢٨]، وهو حديث مرسل.
(٤) المصدر السابق، جـ١، ص: [١٣٠].
(٥) المصدر السابق، جـ١، ص: [١٢٩].
(٦) تفسير الطبري، جـ١، ص: [٢٣١].
(٧) الدر المنثور، جـ١، ص: [١٣٠].
(٨) تفسير الطبري، جـ١، ص: [٢٣٥].
(٩) تفسير الطبري، جـ١، ص: [٢٣٧].
(١٠) المصدر السابق، جـ١، ص: [٢٣٦].

وروى أيضاً عن سعيد بن المسيب: أنه ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل، ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر قادته إليها فأكل(١).

وذكر البغوي أنه كان لباسهما ثياباً من نور(٢)، وعن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما أن لباسهما كان الظفر(٣).

وروى السيوطي عن الحسن: أن لبثهما في الجنة كان ساعة من نهار بقدر مائة وثلاثين سنة من أيام الدنيا(٤). وعن سعيد بن جبير: أنها مقدار ما بين الظهر والعصر، وعن موسى بن عقبة: أن مكثهما كان ربع النهار ساعتين ونصف، وذلك مائتان وخمسون سنة(٥).

وروى الطبري عن وهب بن منبه : أنه لما أراد الشيطان أن يستزلهما دخل في جوف الحية، فدخلت به الجنة ثم خرج من الحية وأكل من الشجرة، وزيَّن لحواء الأكل منها ثم زينت حواء لآدم فأكل(٦).

وروى السيوطي عن سعيد بن حدين الحضرمي : أن إبليس أتى إلى حواء في الجنة يصفر بقصبة ، فسمعته حواء حتى أطربها فقالت: أُنشدك بالله العظيم أن تقصر عني فإنك قد أهلكتني . ثم صَفَّرَ صفيراً أحزنها به حتى قطع فؤادها ثم كف عن ذلك ، وأخذت تحادثه ، ويظهر الولاء لها ولزوجها حتى أغواها بالأكل من الشجرة، ثم زينت لآدم الأكل من

---

(١) المصدر السابق، جـ١، ص: [٢٣٧].
(٢) انظر: تفسير البغوي، جـ١، ص: [٥٠]، وتفسير ابن كثير، جـ٣، ص: [٣٩٤].
(٣) تفسير الطبري، جـ١، ص: [٢٣٦].
(٤) الدر المنثور، جـ١، ص: [١٢٧].
(٥) المصدر السابق.
(٦) انظر: تفسير الطبري، جـ١، ص: [٢٣٥].

الشجرة فأكل ثم أكلت، ثم بعث الله ملائكة تدفعهم في رقابهم حتى أخرجوهم من الجنة[1]، وعن ابن عباس قال: أُهْبِط آدم بالهند وحواء بجدة، وعن ابن عمر قال: أُهْبِط آدم بالصفا وحواء بالمروة[2]. وعن سعيد بن جبير أن الشهوة ألقيت على آدم وحواء بعد هبوطهما إلى الأرض[3]،وعن أُبي بن كعب قال: لما حملت حواء وكان لا يعيش لها ولد أتاها الشيطان فقال: سمياه عبدالحارث يعيش لكما، فسمياه عبدالحارث ، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره[4].

نقد الإسرائيليات

من هذه الروايات ما هو منكر، ومنها ما هو ثابت، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأمَّا ما روي من أن حواء خُلقت في الجنة فهو خلاف ظاهر القرآن كما تقدَّم بيانه وهو أن خَلْقَها كان قبل دخول آدم الجنة.

وأمَّا ما روي من أن مباشرة آدم لحواء كانت في الجنة فالظاهر خلاف ذلك وهو أن المباشرة كانت بعد ما أُهبطا إلى الأرض، كما أشارت إليه آية الأعراف التي فيها خبر حمل حواء.

---

(١) انظر: الدر المنثور، جـ٣، ص: [٤٢٩،٤٣٠].
(٢) المصدر السابق، جـ١، ص: [١٣٥].
(٣) انظر: المصدر السابق، جـ٣، ص: [٦٢٤]، ونسبه لعبد بن حميد وأبي الشيخ، ولم أقف على إسنادهما.
(٤) المصدر السابق، جـ٣، ص: [٦٢٣].

وأمَّا ما روي من أن حواء سقت آدم الخمر حتى سكر فأكل من الشجرة فباطل، إذ ليس في الجنة مسكر بدليل قوله تعالى في إخباره عن الجنة: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾[1].

وأمَّا ما روي من دخول الشيطان في جوف الحية ثم دخلت الجنة فما الذي جاء بالحية في السماء والمعروف أنها من دواب الأرض.

وأمَّا ما روي من تصفير الشيطان في الجنة وطرب حواء بذلك، ثم فعل ذلك مرة أخرى وأحزنها بذلك الصوت فكلام ساقط بعيد من الصحة، وما روي كذلك من دفع الملائكة لآدم وحواء حتى أخرجتهما فلا دليل عليه.

وأمَّا ما روي من أن حواء كانت تحمل وهي في الجنة ويرى ما في بطنها فالظاهر أن الحمل كان في الأرض.

وأمَّا ما روي من الخلاف في تعيين الشجرة التي أكل منها فلا دليل يؤيد أي قول من تلك الأقوال أنه الصواب[2].

وأمَّا ما قيل من أن تلك الشجرة مَنْ أكل منها أحدث فقد أكلا منها ولم يُحدثا وإنما بدت سوءاتهما.

وأمَّا ما روي من أن تلك الشجرة تأكل منها الملائكة فإن الملائكة لا تأكل بدليل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ

---

(١) سورة الصافات، الآية: [٤٧].

(٢) تفسير الطبري، جـ١، ص: [٢٣٣]، وتفسير البغوي، جـ٢، ص: [١٥٤]، وتفسير القرطبي، جـ١، ص: [٣٠٥].

وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾[1]

وكذلك قصة إبراهيم عليه السلام مع ضيفه من الملائكة في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ﴾[2].

وأمَّا ما روي من الخلاف في مدة مكثهما في الجنة فلا دليل على أي قول من تلك الأقوال، والظاهر أنها كانت مدة قصيرة كما يفيده سياق الآيات.

وأمَّا ما روي من الخلاف في تعيين مكان إهباطهما فلا دليل يؤيد أيُ ذلك أولى بالصواب.

وأمَّا ما روي من تسمية ولدهما عبدالحارث لوحي الشيطان لهما بذلك فهو باطل لأن آدم عليه السلام نبي كريم معصوم عن الكبائر.

وقد أبطل علماء الإسلام هذا الخبر، حيث قال ابن العربي: " وذلك مذكور في ضعيف الحديث في الترمذي وغيره، وفي الإسرائليات كثير ليس له ثبات، ولا يعوِّل عليها من له قلب؛ فإنَّ آدم وحواء وإن كان غرهما بالله الغرور، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، وما كانا بعد ذلك ليقبلا له نصحاً ولا يسمعا له قولاً[3] ".

وقال ابن كثير: " أما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته[4]، ولهذا قال الله: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: [٧].
(٢) سورة هود، الآية: [٧٠].
(٣) أحكام القرآن لابن العربي، جـ٢، ص: [٨٢٠].
(٤) تفسير ابن كثير، جـ٣، ص: [٥٣١].

وأمَّا ما روي من أن حواء زيَّنَتْ لآدم الأكل من الشجرة فقد دلَّ على ذلك الحديث المتقدم وفيه : لولا حواء لم تخن أنثى زوجها . قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: " فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك"[٢].

الأحكام المستفادة من القصة

١) وجوب الأخذ بسد الذرائع أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ لأنه تعالى لما أراد النهي عن الأكل منها نهى عنه بلفظ يقتضي الأكل وما يدعو إليه وهو القرب[٣] وكما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾[٤].

٢) وجوب ستر العورة[٥] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾ وقال ﷺ: ((**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة**))[٦].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: [١٩٠].
(٢) فتح الباري، جـ٦، ص: [٤٢٤].
(٣) تفسير ابن عطية، جـ١، ص: [١٨٤]، وانظر: الإكليل، ص: [٢٨].
(٤) سورة الإسراء، الآية: [٣٢].
(٥) الإكليل، ص: [١٢٧].
(٦) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب تحريم النظر إلى العورات، جـ١، ص: [٢٦٦].

٣) إن النفقة التي تجب للمرأة على زوجها هذه الأربعة: الطعام والشراب والكسوة والمسكن، فإنْ تفضّل بعد ذلك فهو مأجور، فأما هذه الأربعة فلابد لها منها؛ لأنَّ بها إقامة الحياة[١]، أخذاً من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ وقال تعالى: ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ ﴾[٢] وقال عليه الصلاة والسلام: ((**ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**))[٣].

٤) التحذير من الذنوب وإن صغرت[٤] أخذاً من قوله: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[٥].

٥) جواز الدعاء لطلب أمور الدنيا[٦] أخذاً من قوله تعالى ﴿ دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ وقال تعالى عن نبيه سليمان عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[٧].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي، جـ١١، ص: [٢٥٣].
(٢) سورة الطلاق، الآية: [١].
(٣) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ ، جـ٢، ص: [٨٩٠].
(٤) تفسير أبي السعود بتصرف، جـ٣، ص: [٢٢١]، وانظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٣، ص: [٤٤٦].
(٥) سورة الزلزلة، الآية: [٨].
(٦) تفسير القاسمي، جـ٧، ص: [٢٩٢٣].
(٧) سورة ص، الآية: [٣٥].

الدروس والعبر

١) مراعاة كل من الزوجين حق صاحبه والقيام به لكون الزوجات مخلوقات من الأزواج فبينهم وبينهن أقرب نسب وأشد اتصال وأوثق علاقة[١] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾.

٢) إنَّ الرجل هو المسؤول عن الكسب والمعاش وأما المرأة فتكون في خدرها حيث قرن الله تعالى بين حواء وزوجها في الخروج وخصّ زوجها بالشقاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾، وهذا الذي ارتآه ابن القيم في معنى الآية[٢].

٣) إنَّ الإرادة هي مما يميز الإنسان عن الحيوان أخذاً من امتحان الله تعالى لآدم وحواء بتحريم الأكل من تلك الشجرة، لما جعل الله فيهما من الإرادة[٣].

٤) قد يُخدع المؤمن إذا حُلف له بالله وأوهمه الحالف بأنه ناصح له(٤) أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾ فأكلا منها.

٥) إنَّ الحرص النابع عن الهوى من أخطر الأخلاق على العبد أخذاً من حرص آدم وزوجه حيث حملهما على تناول الشجرة، ولولا تدارك رحمة الله لهما لهلكا[٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ١، ص: [٣١٠].
(٢) بدائع التفسير، جـ٣، ص: [١٧٠].
(٣) في ظلال القرآن بتصرف، جـ١، ص: [٥٨].
(٤) انظر: تفسير البغوي، جـ٢، ص: [١٥٣]، وتفسير ابن كثير، جـ٣، ص: [٣٩٣]، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٢، ص: [١٠٠،١٠١].
(٥) تيسير اللطيف المنان للسعدي بتصرف، ص: [١٠٦].

٦) ضعف المرأة وقلة عزمها؛ فقد أكلت قبل آدم فسهلت عليه المعصية[١] أخذاً من قوله ﷺ: ((**لولا حواء لم تخن أنثى زوجها**)) وذلك في بيان معنى قوله تعالى: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا ﴾.

٧) تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم بما وقع من أمهم الكبرى[٢] من إغرائها لآدم عليه السلام بالأكل من الشجرة، أخذاً من قوله ﷺ: ((لولا حواء لم تخن أنثى زوجها)).

٨) إنَّ كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع[٣] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ﴾ وقوله ﷺ: ((اللّه أحقُّ أن يُستحيى منه مِنَ الناس))[٤].

٩) إن العُري فطرة حيوانية ولا يميل الإنسان إليه، وإنَّ رؤية العُري جمالاً انتكاس في الذوق البشري قطعاً[٥] ويؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ ﴾.

١٠) التحذير من زوال النعمة[٦] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٨٢،٨٣]، وانظر: قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٢٥]، وفتح الباري، جـ٦، ص: [٤٢٤].

(٢) فتح الباري، جـ٦، ص: [٤٢٤].

(٣) تفسير أبي السعود، جـ٣، ص: [٢٢٠]، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي، جـ٣، ص: [١٨٠]، وتفسير الفخر الرازي، جـ١٤، ص: [٥٠].

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الغسل، باب من اغتسل عُرياناً وحده في الخلوة، جـ١، ص: [٤٥٨].

(٥) في ظلال القرآن بتصرف يسير، جـ٣، ص: [١٢٧٥ ، ١٢٧٦].

(٦) أحكام القرآن للكيا الهرّاسي، جـ٣، ص: [١٣٤].

١١) لا ينبغي للمؤمن التساهل بصغائر الذنوب لأن آدم وحواء لما أكلا من الشجرة قالا: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾.

١٢) شؤم المعصية وآثارها في تحويل النعمة إلى نقمة[١]، أخذاً من قوله تعالى: ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾.

١٣) عداوة الشيطان للإنسان ووجوب معرفة ذلك لاتقاء وسوسته[٢]، أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.

١٤) ينبغي للعبد إذا وقع في ذنب أن يبادر إلى التوبة والاعتراف ويقول ما قاله الأبوان من قلب خالص وإنابة صادقة، فما قصَّ الله علينا صفة توبتهما إلا لنقتدي بهما.

قال ابن القيم رحمه الله: " فإنه إذا اعترف بنقصه خصَّ نفسه بما حصل لها من عدم العلم والصبر بالنسيان الذي أوجب فوات حظه من الجنة، ثم قال: ﴿ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾.

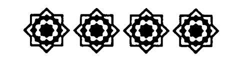
فإنَّه سبحانه إن لم يغفر السيئات الوجودية فيمنع أثرها وعقابها ويق العبد من ذلك وإلاَّ ضرته آثارها ولا بد، كآثار الطعام المسموم إن لم يتداركه المداوي بشرب الترياق ونحوه وإلاَّ ضرَّه ولا بد "[٣].

١٥) إنَّ مَنْ أشبه آدم وحواء بالاعتراف وسؤال المغفرة والندم والإقلاع - إذا صدرت منه الذنوب - اجتباه ربه وهداه، ومَنْ أشبه

(١) أيسر التفاسير للجزائري، جـ١، ص: [٣٩].
(٢) المرجع السابق.
(٣) بدائع التفسير، جـ٢، ص: [٢٠٢].

إبليس - إذا صدر منه الذنب لا يزال يزداد من المعاصي فإنه لا يزداد من الله إلا بُعداً[١] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾[٢].

١٦) إنَّ مدة هذه الحياة مؤقتة عارضة ليست مسكناً حقيقياً، وإنما هي معبر يتزود منه للدار الآخرة[٣] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ ﴾ .



(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي بتصرف، جـ٢، ص: [١٠٢].
(٢) سورة طه، الآية: [١٢٢].
(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي بتصرف يسير، جـ١، ص: [٥٣].



المبحث الثاني:

قصة امرأة نوح عليه السلام

المدخل إلى القصة

لا ريب أن مصاحبة أهل الإيمان والتقوى تزيد المرء شرفاً وتربي فيه حب الخير والاقتداء بأولئك البررة من الناس، فإن النبي ﷺ يقول: ((الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل))(١).

ولكنّ بعض الناس يكون شقياً محروماً فلا ينتفع بصحبة الأخيار ومرافقة الأبرار فيتبع هواه والشيطان، والقرآن الكريم يقص لنا خبر امرأة هي من هذا الصنف من الناس ألا وهي امرأة نوح عليه السلام.

وقد جاء ذلك في ثلاثة مواضع من كتاب الله العزيز:

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ

---

(١) مسند الإمام أحمد، جـ٣، ص: [٣٠٣،٢٢٤]، وسنن الترمذي كتاب الزهد باب: [٤٥]، جـ٤، ص: [٥٨٩]، وقال الترمذي : حديث حسن غريب، وسنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس، جـ٤، ص: [٢٥٩].

(٢) سورة هود، الآية: [٤٠].

وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾[2].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ أَمْرُنَا ﴾ : أي قضاؤنا في قومك بعذابهم وهلاكهم[3].

﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ : الفور شدة الغليان، ويقال ذلك في النار إذا هاجت وفي القدر وفي الغضب نحو ﴿ وَهِىَ تَفُورُ ﴾[4] ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾[5] والتنور هو الذي يوقد فيه. ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ أي فار بالماء، والمراد بالتنور وجه الأرض، أي صارت الأرض عيوناً تفور[6] . وجعل الله تلك العلامة لنوح ليركب حينئذٍ في السفينة[7].

﴿ سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾ : أي سبق عليه من الله القول بأنه شقي، وأنه هالك مع الكافرين، والمراد زوجته وابنه[8] كما بيَّن ذلك في آية التحريم التي

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: [٢٧].
(٢) سورة التحريم، الآية: [١٠].
(٣) تفسير الطبري، جـ١٨، ص: [١٧].
(٤) سورة الملك، الآية: [٧].
(٥) المفردات للراغب، ص: [٣٨٧].
(٦) تفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٢٥٤].
(٧) التسهيل لابن جزي، جـ٢، ص: [١٠٥]، وتفسير الطبري، جـ١٢، ص: [٤٠].
(٨) أضواء البيان، جـ٣، ص: [٢٦].

معنا في القصة وقوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾(١).

﴿ ٱلْفُلْكَ ﴾: المراد به السفينة(٢).

﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾: أي بمرأى منا و منظر(٣).

﴿ وَوَحْيِنَا ﴾: أي في تعليمنا إياك صنعتها(٤).

﴿ فَٱسْلُكْ ﴾: اسلك: أي أدخل واحمل(٥).

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾: ضرب المثل في أمثال هذه المواقع عبارة عن إيراد حالة غريبة ليعرف بها حالة أخرى مشاكلة لها في الغرابة أي: جعل الله مثلاً لحال هؤلاء الكفرة حالاً ومآلاً على أن مثلاً مفعول ثانٍ لضرب واللام متعلقة به(٦).

﴿ عَبْدَيْنِ ﴾: كنّى الله تعالى عن العَلَمَيْنِ بقوله عبدين من عبادنا تشريفاً لهما بإضافتهما إليه تعالى ولقصد بيان وصفهما بالصلاح الذي يمتاز به من اصطفاه الله تعالى(٧).

﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾: الخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر، والمراد الخيانة في الدين، ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور؛ لأنه سمج في الطباع نقيصة عند كل أحد(٨).

---

(١) سورة هود، الآية: [٤٢ ، ٤٣].
(٢) المفردات للراغب، ص: [٣٨٥]، وتفسير الطبري، جـ١٨، ص: [١٧].
(٣) تفسير الطبري، جـ١٨، ص: [١٧].
(٤) المصدر السابق، وروح المعاني للألوسي، جـ١٨، ص: [٢٦].
(٥) تفسير الطبري، جـ١٨، ص: [١٧].
(٦) تفسير أبي السعود، جـ٨، ص: [٢٦٩]، وروح المعاني للألوسي، جـ٢٨، ص: [١٦٢].
(٧) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ٨، ص: [٢٩٤].
(٨) المفردات للراغب، ص: [١٦٣]، والكشاف، جـ٤، ص: [١٣١].

التعريف بالمرأة

لم يثبت اسمها في القرآن ولا في السنة، وإنما ذكر المؤرخون أن اسمها واعلة وقيل: اسمها والعة[1]. ولا حاجة للوقوف على اسمها؛ إذ لو كان فيه فائدة لبينه الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وذكر ابن كثير رحمه الله: أنها أم ولد نوح حام وسام ويافث ويام[2].

عرض القصة

كانت امرأة نوح عليه السلام تعيش في بيتٍ كريم طاهر مع نبي من أنبياء الله تعالى، وكان حرياً بها أن تكون متأسية به عليه الصلاة والسلام ومن أول الناس الذين يتبعونه في دعوته إلى الله عز وجل لقربها منه عليه السلام كما كانت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها مع رسول الله محمد ﷺ. ولكن هذه المرأة خانت زوجها فكفرت وعاندت، وكانت تتهم زوجها نوحاً عليه السلام بالجنون، وإذا آمن به أحد من قومه أخبرت بذلك الجبابرة[3] وهذا هو المراد بخيانتها لزوجها.

ولقد استمرت على كفرها وطغيانها ولم تستجب لدعوة زوجها نوح عليه السلام فلما جاء قضاء الله عز وجل بإهلاك الكافرين من قوم نوح عليه السلام لم ينفعها كونها زوجة نبي من أنبياء الله لمّا كفرت بربها فغرقت في الطوفان وهلكت مع الهالكين، وفي الآخرة يقال لها : ادخلي النار مع الداخلين، فخسرت بذلك الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

---

(١) تفسير البغوي، جـ٢، ص: [٣٨٤]، جـ٤، ص: [٣٦٨]، جـ٣، ص: [٣٠٧].
(٢) البداية والنهاية لابن كثير، جـ١، ص: [١١٢].
(٣) تفسير الطبري، جـ٢٨، ص: [١٦٩]، وتفسير البغوي، جـ٤، ص: [٣٦٨].

مسألة في معنى خيانة أزواج الأنبياء

لقد حفظ الله تعالى لأنبيائه ورسله أعراضهم وصان نساءهم من فاحشة الزنى، وإن الذي أخبر الله تعالى عنه من خيانة بعض أزواج الأنبياء إنما كان خيانة في الدين لا خيانة في الفراش. قال ابن عباس رضي الله عنهما فيها وفي امرأة لوط عليه السلام: " ما زنتا، أمَّا امرأة نوح فكانت تُخبر أنه مجنون، وكانت امرأة لوط تدل على الضيف "[1].

وقال الضحاك رحمه الله: " ما بغت امرأة نبي قط "[2].

وقال عكرمة ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ : " في الدين "[3].

وقال الشنقيطي رحمه الله: " وقد يستأنس لقول ابن عباس هذا بتحريم التزوج من نساء النبي ﷺ بعده، والتعليل له بأن ذلك يؤذيه كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾[4].

فإذا كان سؤالهن بدون حجاب يؤذيه، والزواج بهن من بعده عند الله عظيم، فكيف إذا كان غير السؤال وبغير الزواج؟ إن مكانة الأنبياء عند الله أعظم من ذلك"[5].

---

(١) تفسير الطبري، جـ٢٨، ص: [١٦٩،١٧٠]، من طريق سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، عن سليمان بن قيس، عن ابن عباس، ورجاله ثقات.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: [٥٣].

(٥) أضواء البيان، جـ٨، ص: [٣٨١].

الأحكام المستفادة من القصة

١) قوامة الرجل على المرأة لقوله تعالى: ﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ فالتحتية تفيد الدون.

٢) تحريم الخيانة، فقد كان سبب عذاب امرأة نوح هو خيانتها لزوجها.

٣) وجوب مقت الكفار والبراءة منهم مهما كانت صلتهم كما يؤخذ من قوله: ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾ فنُهي نوح عليه السلام أن يحمل زوجته وولده لكفرهما، وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[1].

٤) وجوب الاستجابة لرسل الله تعالى أخذاً من هلاك امرأة نوح لعدم استجابتها له عليه السلام.

٥) إن المرأة من الأهل أخذاً من قوله: ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾[2] وكانت امرأته منهم كما تقدم

٦) من مات كافراً دخل النار حتماً أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾.

٧) المساواة بين المرأة والرجل في التكاليف إلاّ ما خصه الشرع منها والمساواة بينهما في الجزاء في الدنيا والآخرة أخذاً من محاسبة الله تعالى لامرأة نوح لكفرها.

---

(١) سورة المجادلة، الآية: [٢٢].

(٢) الإكليل بتصرف، ص: [١٥١].

٨) صحة نكاح الكافرة ويؤخذ من قوله تعالى: ﴿ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ ﴾ إلا أن القرآن استثنى الكتابية في هذا الحكم دون باقي المشركات في قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ـ إلى قوله ـ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ـ ﴾(١).

الدروس والعبر

١) لا يكفي كون المرأة زوجة في استئمان الزوج لها، فقد خانت امرأة نوح زوجها(٢) وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾(٣).

٢) تهويل الأذى لعباد الله الصالحين وعناية ربهم بهم ومدافعته عنهم(٤)، فلما عادت امرأة نوح زوجها عليه السلام انتصر الله له منها.

٣) قطع طمع كل من يركب المعصية وخالف أمر الله ورجا أن ينفعه صلاح غيره(٥) أخذاً من قوله تعالى: ﴿ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾.

٤) لا ينفع المرء قرابته من الصالحين(٦) إذا لم يكن صالحاً كما قال تعالى: ﴿ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾.

---

(١) سورة المائدة، الآية: [٥].
(٢) انظر: تفسير الفخر الرازي، جـ٣٠، ص: [٥٠].
(٣) سورة التغابن، الآية: [١٤].
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور، جـ٢٨، ص: [٣٧٥].
(٥) انظر: التفسير القيم لابن القيم، ص: [٤٩٦]، وزاد المسير لابن الجوزي، جـ٨، ص: [٣١٥]، وتفسير البغوي، جـ٤، ص: [٣٦٨].
(٦) انظر: التفسير القيم لابن القيم، ص: [٤٩٦]، وتفسير القرطبي، جـ١٨، ص: [٢٠٢]، وحسن الأسوة لمحمد صديق خان، ص: [٢٤٢].

٥) إن الإيمان سبب النجاة في الدنيا والآخرة كما نجى الله نوحاً ومن تبعه من قومه.

٦) عظم قبح خيانة الزوجة لزوجها، فإن القرآن الكريم اعتبر كفر امرأة نوح عليه السلام خيانة له، مع أن ابنه كان كافراً ولم يوصف بأنه خائن لأبيه.

٧) انتفاع المؤمن بمخالطته ومعاشرته لمن هو أكمل منه، ويفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ فمعناه انهما لو كانتا مؤمنتين لنفعهما كونهما زوجتين لنبيين من أنبياء الله تعالى، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾[1].

٨) هوان أهل الضلال على الله أخذاً من هلاك امرأة نوح عليه السلام مع كونها امرأة نبي من أنبياء الله عز وجل[2].



(١) سورة الطور، الآية: [٢١].

(٢) انظر: أيسر التفاسير للجزائري، جـ٢، ص: [٥١٠].

المبحث الثالث:

قصة امرأة لوط عليه السلام

المدخل إلى القصة

قد تكون المرأة عدواً لزوجها، ولو كان الزوج من أتقى الأتقياء أو نبياً من الأنبياء قال تعالى: ﴿ ... إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ... ﴾[1] وهذا الوصف في بعض النساء كما دلّت عليه الآية، وقد ذكر لنا القرآن الكريم امرأةً من هذا الصنف من النساء كانت بئس الصاحب لزوجها أعانت على زوجها الأشرار وقامت بعداء زوجها بإصرار حتى انتقم منها العزيز الجبار ألا وهي امرأة لوط عليه السلام.

وقد وردت قصتها في ثمانية مواضع من كتاب الله العزيز:

قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾[3].

---

(١) سورة التغابن، الآية: [١٤].

(٢) سورة الأعراف، الآية: [٨٣].

(٣) سورة هود، الآية: [٨١].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ... فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾[5].

---

(١) سورة الحجر، الآيات: [٥٧-٦٠]، والآية: [٦٥].
(٢) سورة الشعراء، الآية: [١٧٠ ، ١٧١].
(٣) سورة النمل، الآية: [٥٧].
(٤) سورة العنكبوت، الآية: [٣٢ ، ٣٣].
(٥) سورة الصافات، الآية: [١٣٤ ، ١٣٥].

وقوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾[1].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ : يقال أغبر يغبر غُبوراً وغبرا[2] أي مكث بعد مضي من معه[3] وهي من الأضداد[4].

وقوله: ﴿ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ : يقول من الباقين.

وقال من الغابرين، ولم يقل الغابرات؛ لأنه يريد أنها ممن بقي مع الرجال، فلما ضم ذِكْرُها إلى ذِكْرِ الرجال قيل من الغابرين[5].

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ : أسرى وسرى إذا سار بليل[6].

﴿ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ : القطع والقطعة بمعنى[7] أي ببقية من الليل[8].

﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ : ولا ينظر وراءه[9].

---

(١) سورة التحريم، الآية: [١٠].
(٢) تفسير الطبري بتصرف، جـ٨، ص: [٢٣٦]، وتفسير البغوي بتصرف، جـ٢، ص: [١٨٠].
(٣) المفردات للراغب، ص: [٣٥٧].
(٤) انظر: التسهيل لابن جزي، جـ٢، ص: [١٤٧].
(٥) تفسير الطبري، جـ٨، ص: [٢٣٦].
(٦) المصدر السابق، جـ١٢، ص: [٨٩].
(٧) تفسير غريب القرآن، ص: [٢٠٧].
(٨) تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [٨٩].
(٩) المصدر السابق، جـ١٢، ص: [٩٣].

التعريف بالمرأة

لم يثبت ذكر اسم امرأة لوط عليه السلام وإنما ذكر المؤرخون أن اسمها هيشفع[1]، وقيل واهلة[2]، وقيل والهة[3]. وليس في معرفة اسمها مزيد فائدة؛ فلقد سكت القرآن والسنة عن بيانه.

عرض القصة

قصَّ لنا القرآن الكريم حال تلك المرأة الظالمة لنفسها الكافرة بربها العدو لزوجها، وذلك أنها خانته في الدين فكفرت من بين أهله جميعاً، وكانت تدل قومه على أضيافه وكان يخفيهم عنهم[4] وقد كبر سنها وهي على هذا الحال[5] كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ فحلَّ بها ما حل بقومها من العذاب العاجل في الدنيا لمشاركتها قومها في الإثم وإعانتهم عليه[6] وقد أخبر الله تعالى نبيه لوطاً عليه السلام بأنه سيصيب امرأته ما يصيب قومه من العذاب[7].

وقد روي الاستثناء في سورة هود في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ بقراءتين إحداهما بالرفع لابن كثير وأَبي عمرو، وبالنصب للباقين[8] فعلى قراءة الرفع بدل من أحد، وعلى قراءة النصب مستثنى من بأهلك[9].

---

(١) المصدر السابق، جـ٢٣، ص: [٩٧].
(٢) تفسير البغوي، جـ٤، ص: [٣٦٨].
(٣) المصدر السابق.
(٤) انظر: تفسير الطبري، جـ٢٨، ص: [١٦٩]، وتفسير البغوي، جـ٤، ص: [٣٦٨].
(٥) تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [١٤٧].
(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٢، ص: [٣٨١]، وانظر: دعوة الرسل إلى الله تعالى للعدوي، ص: [٧٢].
(٧) انظر: تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [٨٩].
(٨) النشر في القراءات العشر، جـ٢، ص: [٢٩٠].
(٩) إتحاف فضلاء البشر، ص: [٢٥٩]، ومعاني القرآن للأخفش، جـ٢، ص: [٥٨١]، والدر المصون للسمين الحلبي، جـ٦، ص: [٣٦٥].

وأنقل هاهنا طرفاً من أقوال المفسرين في معنى الاستثناء في هذه الآية:

قال ابن جرير رحمه الله: " إلاَّ امرأتك بالنصب بتأويل فأسر بأهلك إلاَّ امرأتك وعلى أن لوطاً أُمر أنْ يسري بأهله سوى زوجته، فإنه نُهي أنْ يسري بها وأمر بتخلفها مع قومها، إلاَّ امرأتُك رفعاً بمعنى ولا يلتفت منكم أحدٌ إلاَّ امرأتك فإن لوطاً قد أخرجها معه وأنه نُهي لوط ومن أسرى معه أن يلتفت سوى زوجته وانها التفتت فهلكت بذلك "[1].

وقال أبو حيان رحمه الله: " وقيل الذي يظهر أنَّ الاستثناء على كلتا القراءتين منقطع لم يقصد به إخراجها من المأمور بالإسراء بهم ولا من المنهيين عن الالتفات، ولكن استؤنف الإخبار عنها، والمعنى: لكن امرأتك يجري لها كذا وكذا. ويؤيد هذا المعنى أن مثل هذه جاءت في سورة الحجر وليس فيها استثناء البتة، قال تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ فلم تقع العناية في ذلك إلاَّ بذكر من أنجاهم الله تعالى، فجاء شرح حال امرأته في سورة هود تبعاً لا مقصوداً بالإخراج مما تقدم "[2].

وقال الشنقيطي رحمه الله: " الظاهر أن وجه الجمع بين القراءتين المذكورتين أن السر في أمر لوط بأن يسري بأهله هو النجاة من العذاب الواقع ضحى بقوم لوط، وامرأة لوط مصيبها ذلك العذاب الذي أصاب قومها لا محالة ، فنتيجة إسراء لوط بأهله لم تدخل فيها امرأته على كلا

(١) تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [٨٩].
(٢) تفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٢٤٩].

القولين، وما لا فائدة فيه كالعدم، فيستوي معنى أنه تركها ولم يسر بها أصلاً وأنه أسرى بها فهلكت مع الهالكين "[١].

وقد رجَّح ابن كثير رحمه الله أنها بقيت مع قومها فلم تخرج وأنه لم يعلمها لوط عليه السلام بما سيحل بقومه، وفسر المراد بالغابرين أنه بمعنى الباقين ثم قال: " ومنهم من فسر ذلك: ﴿ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ الهالكين، وهو تفسير باللازم[٢] ثم إن الله تعالى أخبر عن مصيرها في الآخرة وهو أنه يقال لها: أُدخلي النار مع الداخلين، فكانت بذلك من الأشقياء المبعدين، وفُضح أمرها في العالمين حيث سطر خبرها في كتاب الله المبين المحفوظ من رب العالمين إلى يوم الدين ".

الإسرائيليات

ورد في القصة أخبار اسرائيلية أجملها فيما يأتي:

روي أنه لما جاء ضيف لوط عليه السلام لم يعلم بذلك إلا أهل بيته فخرجت امرأته فأخبرت قومها وقالت لهم: قد نزل بنا قوم ما رأينا أحسن وجوهاً منهم ولا أطيب رائحة، فجاءه قومه يهرعون إليه[٣].

وروي أنها كانت تدل قومه على أضيافه، فإذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار وإذا نزل بالنهار دخنت ليعلم قومه أنه نزل به ضيف[٤]، وقيل: إن

(١) أضواء البيان، جـ٣، ص: [٣٧].
(٢) تفسير ابن كثير، جـ٣، ص: [٤٤٢].
(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ١، ص: [٦٩]، والمنتظم لابن الجوزي، جـ١، ص: [٢٨٤]، وتاريخ الطبري، جـ١، ص: [١٧٩]، وقصص الأنبياء لابن كثير، ص: [١٩٨].
(٤) تفسير البغوي، جـ٤، ص: [٣٦٨].

امرأة لوط مكثت مع قومها ويقال إنها خرجت مع زوجها وبنتيها ولكنها لما سمعت الصيحة وسقوط البلدة التفتت إلى قومها وقالت: واقوماه[1].

وروي أنها تخلفت فمسخت حجراً[2].

وروي أنه لما حلَّت العقوبة بقوم لوط عليه السلام وسمعت امرأة لوط الهدة[3] قالت: واقوماه، فأدركها حجر فقتلها[4].

وروي أن الملائكة عندما أتت نهر سدوم[5] لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها - وكان له بنتان: اسم الكبرى ريثا واسم الصغرى رعزيا - فقالوا لها: يا جارية هل من منزل؟ قالت: نعم، فمكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم، فَرَقَتْ[6] عليهم من قومها، فأتت أباها فقالت: يا أبتاه أرادك فتيان على باب المدينة، ما رأيت وجوه قوم هي أحسن منهم، لا يأخذهم قومك فيفضحوك[7].

نقد الإسرائيليات

من هذه الإسرائيليات ما هو ثابت، ومنها ما هو مردود، ومنها ما هو مسكوت عنه:

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٢٠٢]، وانظر: الدر المنثور، جـ٤، ص: [٤٦٢].

(٢) تفسير الطبري، جـ٢٣، ص: [٩٧].

(٣) صوت وقع الحائط ونحوه. مختار الصحاح، ص: [٦٩١]

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ١، ص: [٦٩]، والمنتظم لابن الجوزي، جـ١، ص: [٢٨٥].

(٥) قرية عظيمة بالشام وهي كلها خراب لا أنيس بها، والحجارة الموسومة التى رُمي بها قوم لوط موجودة فيها يراها المارة سوداء برَّاقة وسميت القرية باسم قاضيها الذي يضرب به المثل فيقال: أجور من سدوم. انظر: الروض المعطار، ص: [٣٠٨]، ومعجم ما استعجم، جـ٣، ص: [٧٢٩].

(٦) أي خافت، انظر: مختار الصحاح، ص: [٥٠٠].

(٧) تاريخ الطبري، جـ١، ص: [١٧٩].

فأمَّا ما روي من أنها كانت تدل قومها على أضيافه فهذا من معنى خيانتها للوط عليه السلام كما تقدم.

وأمَّا ما روي من أنها خرجت مع لوط عليه السلام وما روي أنها تخلفت مع قومها فكلا القولين محتمل كما بينت ذلك سابقاً عند الكلام على الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾.

وأمَّا ما روي من أنها مسخت حجراً فيرده قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ والذي أصاب قومها ما قاله الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾[1] وليس في هذا ذكر للمسخ.

وأمَّا ما روي من أنه كان للوط عليه السلام بنتان فيستأنس له بقوله تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ وقوله: ﴿ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾ والبنات من الأهل، ويدل على أن الأبناء من الأهل قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام حيث قال: ﴿ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾[2].

وأمَّا ما سوى ذلك من الأخبار فلا أعلم ما يثبته ولا ما ينفيه فهو من قبيل المسكوت عنه والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة هود، الآية: [٨٢].
(٢) سورة هود، الآية: [٤٥].

الأحكام المستفادة من القصة

يستنبط من القصة أحكام منها ما سبق ذكره في قصة امرأة نوح ومنها ما يلي:

١) حرمة التعاون على الإثم والعدوان أخذاً من قوله: ﴿ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ وقد سبق بيان معنى خيانة امرأة لوط وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[١].

٢) شناعة عمل قوم لوط وأنه من الكبائر أخذاً من إهلاك الله تعالى لهم على تلك الصورة.

٣) حرمة إفشاء سر الزوج أخذاً من قوله: ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ وإنما كانت خيانتها أنها تفشي سر زوجها لوط عليه السلام.

٤) وجوب اتخاذ الحيطة والحذر من العدو أخذاً من قوله: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ وقوله: ﴿ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾[٢].

٥) إن من أعان على منكر فهو مشارك في الإثم داخل في العقوبة أخذاً من خيانة امرأة لوط ونزول العقاب بها مع الهالكين.

---

(١) سورة المائدة، الآية: [٢].
(٢) سورة النساء، الآية: [١٠٢].

الدروس والعبر

١) الطبع على القلب إذا تكاثرت المعاصي حتى يصير صاحب الذنب من الغافلين، كما قال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[١] هو الذنب بعد الذنب، وقال: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب. وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية فإذا زادت غلب الصدأ حتى يصير راناً، ثم يغلب حتى يصير طبعاً وقفلاً وختماً حتى يصير القلب في غشاوةٍ وغلاف[٢] أخذاً من حال امرأة لوط عليه السلام واستمرارها على ما هي عليه من الضلال.

٢) سنة الله تعالى في أهل العناد والمكابرة والإصرار بأن يحرمهم الله تعالى الهداية وذلك بتعطيل حواسهم حتى لا ينتفعوا بها فلا يؤمنوا ولا يهتدوا، كما حصل لامرأة لوط عليه السلام [٣].

٣) الحذر من الإصرار على الكفر والظلم والفساد الموجب للعذاب العظيم[٤] أخذاً من إخبار الله تعالى عن مصير امرأة لوط وأن ذلك كان بسبب كفرها.

٤) ان المعاصي حال الكبر أشنع منها حال الصغر أخذاً من قوله: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ فوصفها بكبر السن، فكان الأحرى بها أن تكون أشد بعداً عن المعاصي وقد قال ﷺ: ((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان

---

(١) سورة المطففين، الآية: [١٤].

(٢) بدائع التفسير لابن القيم، جـ٥، ص: [١٥٤]، وانظر: الجواب الكافي لابن القيم، ص: [٥٤]، وموارد الظمآن لعبدالعزيز السلمان، جـ١، ص: [٢٦،٢٧].

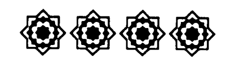
(٣) انظر: أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٣٦٥].

(٤) انظر: المرجع السابق، جـ٣، ص: [٤٤٨].

وملك كذاب وعائل[1] مستكبر))[2] وقال أيضاً: ((أعذر الله إلى امرئ أخَّر أجله حتى بلغه ستين سنة))[3].

٥) نفاذ قدر الله ﷻ في العبد أخذاً من قوله: ﴿ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾ وقد هلكت مع الهالكين.

وقال الطحاوي رحمه الله: " يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله ، وهو متعال عن الأضداد والأنداد ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره"[4].



(١) أي فقير. غريب الحديث لابن الجوزي، جـ٢، ص: [١٤٠].
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية، جـ١، ص: [١٠٢].
(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، جـ١١، ص: [٢٤٣].
(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ص: [١٠٨].



المبحث الرابع :

قصة امرأة إبراهيم عليه السلام

المدخل إلى القصة

منَّ الله تعالى على نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام بزوجتين مؤمنتين صالحتين صابرتين، صبرت إحداهما معه في بذل المعروف وإكرام الضيوف حتى كبر سنها وهي لا تزال على هذا الحال، وصبرت الأخرى عندما تركها عليه السلام هي وابنها إسماعيل بوادٍ غير ذي زرع. وقد قصَّ القرآن لنا خبر الأولى منهما وذلك في موضعين من كتاب الله العزيز:

قوله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ۝٧١ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٧٢ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ .. فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝٢٩ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2].

---

(١) سورة هود، الآية: [٧١-٧٣].
(٢) سورة الذاريات، الآية: [٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ فَضَحِكَتْ ﴾ : فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه، ذكر هذا المعنى ابن جرير رحمه الله وعلّل له بقوله : " وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب لأنه ذُكر عَقيب قولهم لإبراهيم: لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط "(١).

﴿ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ﴾ : نداء ندبة ومعناه يا عجباً ، وهذه الكلمة تقال عند ورود الأمر العظيم وهي تكثر على ألسنة النساء(٢).

﴿ بَعْلِى ﴾ : أصل البعل القائم بالأمر ، والمراد به هنا الزوج(٣).

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ ﴾ : أي عَدَل إليهم في خُفْية. ولا يكون الرواغ إلاَّ أن تُخفي ذهابك و مجيئك(٤).

﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ ﴾ : فأخذت، كقول القائل: أقبل يشتمني، أي أخذ في شتمي(٥).

﴿ فِى صَرَّةٍ ﴾ : في صيحة(٦).

﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ : أي لطمته أو ضربت بيدها جبهتها تعجباً(٧).

﴿ عَقِيمٌ ﴾ : أصل العقم اليُبس المانع من قبول الأثر، يقال: عُقِمَتْ مفاصله(٨). وداء عقام : لا يقبل البرء، والعقيم من النساء التي لا تقبل ماء الفحل(٩).

---

(١) تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [٧٤]، وانظر: فتح القدير، جـ٢، ص: [٥١٠].
(٢) انظر: تفسير البغوي، جـ٢، ص: [٣٩٣]، وتفسير البحر المحيط، جـ٢، ص: [٢٤٤]، وزاد المسير لابن الجوزي، جـ٥، ص: [٢٤٤].
(٣) تفسير أبي السعود بتصرف، جـ٤، ص: [٢٢٥]، وانظر: المفردات للراغب، ص: [٥٤].
(٤) تفسير غريب القرآن، ص: [٤٢١].
(٥) تفسير الطبري، جـ٢٦، ص: [٢٠٩].
(٦) المصدر السابق.
(٧) المصدر السابق.
(٨) مختار الصحاح، ص: [٤٤٨].
(٩) المفردات للراغب، ص: [٣٤٢].

التعريف بالمرأة

لقد ثبت اسم امرأة إبراهيم عليه السلام وصاحبة هذه القصة أنها سارة فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((لم يكنب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله: إني سقيم وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبارٍ ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك))[1] الحديث .

وقد ذكر المؤرخون أنها ابنة هارون بن ناحور بن ساروج بن راعو بن فالغ وهي ابنة عم إبراهيم[2].

عرض القصة

ذكر لنا القرآن الكريم طرفاً من أخبار سارة ويوماً من أيامها وذلك اليوم هو اليوم الذي دخلت فيه الملائكة على إبراهيم عليه السلام في صورة بشر فأكرمهم وسارع في تقديم الطعام لهم، فلما قدمه إليهم لم يأكلوه، فخاف منهم، فطمأنوه، وأخبروه أنهم إنما أرسلوا إلى قوم لوط ليدمروا عليهم ديارهم، ويفاجئوهم بالعذاب وهم غارقون في ضلالهم، وكانت سارة قائمة على خدمة الأضياف فلما سمعت خبرهم ضحكت واستبشرت غضباً لله تعالى على قوم لوط، فكافأها الله تعالى على ذلك بأن بشرتها الملائكة بإسحاق ولداً ويعقوب حفيداً[3] عليهم الصلاة

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل ابراهيم الخليل عليه السلام ، جـ٤، ص: [١٨٤٠]، ورواه البخاري موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه ، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴾ ، جـ٦، ص: [٤٤٧].

(٢) تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [٧١]، وتفسير البغوي، جـ٢، ص: [٣٩٢]، وتفسير القرطبي، جـ٩، ص: [٧٠].

(٣) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [١٦٧]، وتفسير الطبري، جـ١٢، ص: [٧٤]، وتفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٢٦٥] و جـ٧، ص: [٣٩٨]، وتفسير أبي السعود، جـ٤، ص: [٢٢٥].

والسلام، وقد ساق الله تعالى البشارة إليها بعدما بشر بها ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾[1] لأنَّ البشارة بالذرية الطيبة شاملة للوالدين كليهما[2] كما أن فيه إيذاناً بأن الولد الذي بُشر به إبراهيم عليه السلام يكون من سارة[3] وفي تبشيرها بيعقوب إشارة إلى أنها ستعيش إلى أن تراه[4].

ولما بشرتها الملائكة بالولد قالت: يا ويلتى متعجبة كعادة النساء في كونهن يتلفظن بهذه الكلمة إذا طرأ عليهن أمر عجيب، وقد بينت سبب تعجبها بقولها: ﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ فكيف تلد مع ما فيها وفي زوجها من الموانع التي جعلها الله تعالى موانع طبيعية؟ ولم يكن تعجبها بالنسبة إلى قدرة الله عز وجل بل مقصدها استعظام نعمة الله عز وجل عليها[5].

وقد أنكرت عليها الملائكة تعجبها لكونها تعيش في بيت النبوة وترى الآيات والمعجزات فكان جديراً بها ألا يصدر منها ذلك التعجب[6]. وأجابوها بأنها ستلد فإن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل العقيم ولوداً[7]، ثم

---

(١) سورة الصافات، الآية: [١١٢].
(٢) انظر: أضواء البيان، جـ٣، ص: [٢٩].
(٣) تفسير أبي السعود، جـ٤، ص: [٢٢٥]، وروح المعاني للألوسي، جـ١٢، ص: [٩٩].
(٤) تفسير البغوي، جـ٢، ص: [٣٩٣]، وتفسير القرطبي، جـ٩، ص: [٦٩]، ومعاني القرآن للزجاج، جـ٣، ص: [٦٢].
(٥) انظر: تفسير القرطبي، جـ٩، ص: [٦٩]، وتفسير أبي السعود، جـ٤، ص: [٢٢٦]، وتفسير الخازن، جـ٣، ص: [٢٤٣]، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٥، ص: [٩٦].
(٦) انظر: الكشاف، جـ٢، ص: [٢٨٢]، وتفسير أبي السعود، جـ٤، ص: [٢٢٦].
(٧) انظر: زاد المسير لابن الجوزي، جـ٨، ص: [٣٧].

مدحتها الملائكة بقولهم: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت، فقد تفضل الله عليهم بنعمٍ وبركاتٍ كثيرة ومن تلك البركات أن جعل كثرة الأنبياء في ذرية إبراهيم منها[1].

الإسرائيليات

ورد في القصة أخبار عن بني اسرائيل أُجملها فيما يأتي:

قيل: إنها كانت قائمة وراء الباب عند حضور الأضياف في بيت إبراهيم عليه السلام [2].

وروى السيوطي عن الضحاك أنها كانت قائمة تخدمهم[3].

وعن محمد بن إسحاق أنها كانت قائمة تصلي[4].

وروي أنها ضحكت تعجباً من البشارة بولادتها لكبرها وكبر زوجها[5].

وروى السيوطي عن قتادة أنها حاضت وهي بنت سبعين سنة، وعن ابن عباس أنَّ ذلك كان وهي بنت ثمان وتسعين سنة[6].

وروى أيضاً عن ضمرة بن حبيب أنها حاضت قبل أنتحمل بإسحاق، فكان من قولها للرسل حين بشروها : قد كنت شابة وكان إبراهيم شاباً فلم أحبل فحين كبرت وكبر أألد؟ قالوا: أتعجبين من ذلك يا سارة ؟ فإن الله قد صنع بكم ما هو أعظم من ذلك؛ إن الله قد جعل رحمته وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد[7].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [٧٧]، وتفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٢٤٥]، وتفسير الفخر الرازي، جـ١٨، ص: [٢٩]، وزاد المسير لابن الجوزي، جـ٤، ص: [١٣٣].

(٢) تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [٧١].

(٣) الدر المنثور، جـ٤، ص: [٤٤٩].

(٤) زاد المسير لابن الجوزي، جـ٤، ص: [١٢٩].

(٥) الدر المنثور، جـ٤، ص: [٤٤٩].

(٦) المصدر السابق، جـ٤، ص: [٤٥١ ، ٤٥٣].

(٧) الدر المنثور، جـ٤، ص: [٤٥٣،٤٥٢].

وروى أيضاً عن الضحاك أنه قال لها جبريل عليه السلام: يا سارة قالت: إن اسمي يسارة فكيف تسميني سارة؟ فقال لها جبريل عليه السلام: كنت يسارة لا تحملين فصرت سارة تحملين الولد وترضعينه[1].

نقد الإسرائيليات

من هذه الروايات ما هو ثابت، ومنها ما هو مردود، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأمَّا ما ذُكر من أنها كانت قائمة وراء الباب، أو أنها قائمة تصلي فإن النص القرآني لم يدل على شيء من ذلك وإنما الذي دل عليه النص هو ما ذكره ابن كثير رحمه الله كما سلف، وهو أنها كانت قائمة لخدمة الأضياف، وأن إبراهيم عليه السلام كان جالساً مع أضيافه. وهذا المعنى هو الأنسب، ولو أراد بالقيام الصلاة لذكر ما يدل عليها كما في قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾[4] ففي هذه الآيات ذكر الصلاة صراحة أو بعض أركانها.

وأمَّا القول بأنها كانت قائمة وراء الباب لتستمع لحديث إبراهيم عليه السلام مع أضيافه فهذا لم يدل عليه النص. ثم إنه ليس خليقاً بامرأة مؤمنة

---

(١) المصدر السابق، جـ٤، ص: [٤٥٢].
(٢) سورة آل عمران، الآية: [٣٩].
(٣) سورة الحج، الآية: [٢٦].
(٤) سورة الفرقان، الآية: [٦٤].

صالحة مثل سارة أن تفعل هذا؛ لأنه منافٍ للأخلاق الحميدة قال ﷺ: ((ولا تحسسوا ولا تجسسوا))[1].

وأمَّا ما ذُكر من حوارها مع الملائكة فقد دل القرآن الكريم على شيء من ذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ... وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

وأمَّا ما سوى ذلك فلا أعلم ما يثبته أو ينفيه فلا بأس في ذكره والله أعلم.

الأحكام المستفادة من القصة

1) مشروعية إكرام الضيف، وهو سنة من سنن إبراهيم الخليل عليه السلام[2] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ وقال ﷺ: ((ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه))[3].

---

(1) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل:الآية ٩٠] ، جـ١٠، ص: [٤٩٤]، وصحيح مسلم، كتاب البر، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، جـ٤، ص: [١٩٨٥].

(2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٥، ص: [٩٨]، وتيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٢٣]، وانظر: أيسر التفاسير للجزائري، جـ٢، ص: [٣٥٦].

(3) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، جـ١٠، ص: [٤٦٠]، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، جـ١، ص: [٦٨].

٢) استحباب القيام لخدمة الأضياف أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾[١].

٣) لا بأس بخدمة المرأة لضيوف البيت الكرماء الصلحاء عند الحاجة بالقيود الشرعية من عدم الخلوة وعدم التبرج وإذا أُمنت الفتنة[٢] ولم يكن ذلك مستنكراً في عادة الناس أخذاً من خدمة سارة لأولئك الضيوف .

وقد جاء في السنة قصة أم أسيد في حديث سهل بن سعد ﷺ قال: ((لمَّا عرَّس أبو أُسيد الساعدي دعا النبي ﷺ وأصحابه فما صنع لهم طعاماً ولا قربه إليهم إلاَّ امرأته أم أُسيد بلَّت تمرات في تور[٣] من حجارة من الليل، فلما فرغ النبي ﷺ من الطعام أماثته[٤] له فسقته تتحفه بذلك))[٥].

وقصة امرأة أبي الهيثم ابن التيهان: ((لمَّا قدم النبي ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما إلى بيتها وسألوا عن زوجها فقالت: هو قريب ذهب يستعذب الماء، ادخلوا فإنه يأتي الساعة إن شاء الله. فبسطت بساطاً تحت شجرة))[٦].

٤) جواز محادثة المرأة للرجال عند الحاجة أخذاً من محادثة سارة للأضياف[٧].

---

(١) الإكليل، ص: [١٥١].
(٢) انظر: فتح الباري، جـ٩، ص: [١٦٠]، وآداب الزفاف للألباني، ص: [١٠٤].
(٣) هو إناء من صفر أو حجارة. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ١، ص: [١٩٩].
(٤) أذابته. انظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري، جـ٣، ص: [٣٩٧].
(٥) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب النكاح، باب قيام المرأه على الرجال في العرس وخدمتهم بالنفس، جـ٩، ص: [١٥٩].
(٦) تفسير ابن كثير، جـ٨، ص: [٤٩٥]، والقصة مختصرة في صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه، جـ٣، ص: [١٦٠٩].
(٧) انظر: الإكليل، ص: [١٥١].

٥) إن التلفظ ببعض الكلمات التى لا يقصد معناها الظاهر مثل : يا ويلتى لا بأس به كما نطقت بها سارة، ومثل ذلك : تربت يداك[(١)]، ثكلتك أمك[(٢)]، مما ثبت أن رسول الله ﷺ قاله.

٦) جواز التعجب من الأشياء الخارجة عن العادة لكونها خارجة عن العادة لا بالنسبة إلى قدرة الله ﷻ كما تعجبت سارة من ولادتها وهي وزوجها على تلك الحال.

٧) إن ما صنعته سارة من ضرب الوجه نهي عنه بعد ذلك على لسان النبي ﷺ في قوله: ((**ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب**))[(٣)] وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه[(٤)].

قال النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: " أما الضرب في الوجه فمنهيٌّ عنه في كل الحيوان المحترم من الآدمي والحمير والخيل

---

(١) ترب الرجل إذا افتقر أي لصق بالتراب ، وأترب إذا استغنى . وهذه الكلمة جارية على ألسنة العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب ولا وقوع الأمر به كما يقولون : قاتله الله وقيل معناها : لله درك. وقيل: أراد به المثل ليرى المأمور بذلك الجد وأنه إن خالفه فقد أساء. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ١، ص: [١٨٤].

(٢) الثكل: فقد الولد، كأنه دعا عليه بالموت لسوء فعله أو قوله ، والموت يعم كل أحد ، فإذن الدعاء عليه كَلاَ دعاء ، أو أراد إذا كنت هكذا فالموت خير لك لئلا تزداد سوءاً ويجوز أن يكون من الألفاظ التى تجرى على ألسنة العرب ولا يراد بها الدعاء. المرجع السابق، جـ١، ص: [٢١٧].

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب، جـ٣، ص: [١٩٥]، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، جـ١، ص: [٩٩].

(٤) صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه، جـ٣، ص: [١٦٧٣].

والإبل والبغال والغنم وغيرها لكنه في الآدمي أشد لأنه مجمع المحاسن مع أنه لطيف لأنه يظهر فيه أثر الضرب وربما شانه وربما آذى بعض الحواس"(١).

٨) إن منتهى التحية قولُ: ورحمة الله وبركاته كما أخبر الله عن صالحي عباده(٢) أخذاً من قوله: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾.

٩) إن المرأة تُعد من أهل البيت أخذاً من قول الملائكة: أهل البيت، وهم يخاطبون سارة خلافاً لما يقوله الشيعة أن الزوجة ليست من أهل البيت(٣).

الدروس والعبر

١) الترغيب في أن يكون أهل الانسان ومن يتولى شؤون بيته حازمين مستعدين لكل ما يراد منهم من الشئون، والقيام بمهمات البيت؛ فإن إبراهيم في الحال بادر إلى أهله فوجد طعام ضيوفه حاضراً ومهيئاً(٤).

٢) إن الغضب لله تعالى حسنة يثاب العبد عليها كما استبشرت سارة لدنو عذاب قوم لوط .

٣) إن هبة الأولاد الصالحين نِعْمَةٌ من نِعَمِ الله تعالى، كما أنعم على إبراهيم وسارة عليهما السلام.

٤) إن من الناس من تولى الله تسميتهم تشريفاً لهم فقد سمى لِسارة ولدها إسحاق وحفيدها يعقوب وكما سمى الله تعالى يحيى وعيسى وأحمد عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، جـ١٤، ص: [٩٧].
(٢) تفسير القرطبي، جـ٩، ص: [٧١].
(٣) انظر: تفسير البغوي، جـ٢، ص: [٣٩٣]، وتفسير القرطبي، جـ٩، ص: [٧١]، وتفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٢٤٥].
(٤) انظر: تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٢٤]، والتفسير القيم لابن القيم، ص: [٤٤٧].

٥) إنَّ للبشر تصرفات في بعض المواقف كضرب الوجه كما قال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ وهذا مما أنكره الإسلام.

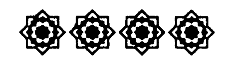
٦) إنَّ هناك كلمات مشهورة ينطق بها الناس لا يريدون ظاهرها ككلمة: يا ويلتى، أو تربت يداك، أو ثكلتك أمك، والله تعالى يعلم مقصد عباده منها، فلا يعاملهم الله تعالى بمقتضاها.

٧) إن استبعاد الولادة من المرأة العجوز العقيم أكثر منه في الرجل الكبير(١) أخذاً من ابتداء سارة بذكر حالها قبل حال زوجها حيث قالت: ﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ ﴾.

٨) إن الموانع الخَلْقية لا تقف أمام قدرة الله تعالى لأنه هو خالق الموانع، وقادر على إزالة أثرها، كما ولدت سارة مع عجزها وعقمها وشيخوخة بعلها.

٩) إن الملائكة قد تكلم غير الأنبياء من رجال أو نساء، كما خاطبوا سارة ومريم رحمهما الله، وغيرهما.

١٠) قد تظهر الملائكة بصورة البشر عند الحاجة كما ظهروا عند سارة وزوجها إبراهيم عليه السلام، وكما في قصة جبريل عليه السلام مع النبي ﷺ في حديث سؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان.



---

(١) تفسير أبي السعود، جـ٤، ص: [٢٢٦]، وروح المعاني للألوسي، جـ١٢، ص: [١٠٠].



المبحث الخامس:

قصة امرأة أيوب عليه السلام

المدخل إلى القصة

الابتلاء سُنة مِنْ سُنن الله تعالى، والله تعالى يبتلي بالسراء وبالضراء قال تعالى: ﴿ ... وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[1] وقد ذكر لنا القرآن الكريم صوراً من صور الابتلاء لأنبياء الله وأوليائه، ومن ذلك قصة أيوب عليه السلام مع زوجته، وما كان منها من الإحسان إليه مع ما مر به من الشدة والبلاء ، وقد كانت امرأة وفية صابرة ضربت للنساء المؤمنات مثلاً في معاملة أزواجهن.

وقد جاء ذكر قصتها في موضع واحد من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[2].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ ضِغْثًا ﴾: هو حزمة من حشيش أو قُضبان[3].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: [٣٥].

(٢) سورة ص، الآية: [٤٣ ، ٤٤].

(٣) تفسير الجلالين، ص: [٦٠٣]، وانظر: تفسير النسفي، جـ٣، ص: [١٩٦]، والقضبان جمع قضيب وهو الغصن.

﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾: الحنث هو الذنب المؤثم، والحنث في اليمين عدم الوفاء به[1].

التعريف بالمرأة

لم يرد تسميتها في القرآن ولا في السنة، ولكن ذكر المؤرخون أن اسمها ليا بنت يعقوب وقيل: اسمها رحمة بنت افرايم بن يوسف بن يعقوب[2] وقيل غير ذلك.

قال ابن كثير رحمه الله: " ومن فهم من هذا اسم امرأته فقال هي (رحمة) من هذه الآية أبعد النجعة[3][4] وأغرق النزع "[5].

عرض القصة

ذكر القرآن الكريم لنا قصتها مع زوجها عليه السلام الذي ابتلاه الله عز وجل في بدنه ابتلاءً عظيماً ولم يرأف بحاله إلا امرأته التي كانت محسنة إليه صابرة على خدمته[6]، ولكن قد حصل منها أمر أغضب أيوب عليه السلام فحلف أن يضربها مائة ضربة، ولم يبين القرآن ولا السنة الأمر الذي حلف أيوب عليه السلام من أجله، قيل: إن سبب حلفه أنها باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه، وقيل غير ذلك[7].

---

(١) انظر: المفردات للراغب، ص: [١٣٣].
(٢) التعريف والإعلام للسهيلي، ص: [١٥٠]، والمنتظم لابن الجوزي، جـ١، ص: [٣٢١]، وقصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٢٦٨].
(٣) النجعة : الطلب يقال : انتجع القوم إذ ذهبوا لطلب الكلأ. المصباح المنير، ص: [٥٩٤].
(٤) قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٣٧٨].
(٥) المعجم الوسيط، ص: [٦٥٠].
(٦) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٢٦٩]، وتفسير القرطبي، جـ١١، ص: [٣٢٣].
(٧) انظر: تفسير ابن كثير، جـ٧، ص: [٦٦].

وذكر أبو حيان رحمه الله عند تفسيره للآيتين من سورة ص أن في الكلام حنفاً والتقدير: ((**وكان حلف ليضربن امرأته مائة ضربة لسبب جرى منها، وكانت محسنة له ، فجعلنا له خلاصاً من يمينه بقولنا:** ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا ﴾))[1].

وجزى الله امرأة أيوب عليه السلام أن شكر لها حسن صبرها، فأفتاه في كيفية ضربها ، وسهل الأمر؛ فجمع لها مائة عود فضربها ضربة واحدة ولم يحنث في يمينه[2].

الإسرائيليات

ورد في القصة أخبار عن بني إسرائيل وسأجملها في ما يأتي:

نقل الحافظ ابن حجر عن وهب بن منبه وابن إسحاق أنها كانت تخدم بالأجرة وتطعمه إلى أن تجنبها الناس خشية العدوى، فباعت إحدى ضفيرتيها لبعض بنات الأشراف وكانت طويلة حسنة فاشترت له به طعاماً طيباً، فلما أحضرته له حلف أن لا يأكله حتى تخبره من أين لها ذلك، فكشفت عن رأسها، فاشتد حزنه[3].

وقيل: قعد ابليس على الطريق في صورة طبيب فقال لها: أداويه على أن يقول : شفاني إبليس فقنعت بذلك ، وعرضت على أيوب عليه السلام ذلك الأمر فغضب عليها[4].

---

(١) تفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [٤٠١]، وانظر: تفسير القاسمي، جـ١٤، ص: [٥١٠٨].

(٢) زاد المسير لابن الجوزي بتصرف، جـ٧، ص: [١٤٤]، وانظر: الكشاف، جـ٣، ص: [٣٧٧]، وانظر: معاني القرآن للزجاج، جـ٤، ص: [٣٣٥].

(٣) فتح الباري، جـ٦، ص: [٤٨٦،٤٨٥].

(٤) المصدر السابق بتصرف، جـ٦، ص: [٤٨٦].

ونقل الحافظ عن ابن أبي حاتم عن الحسن: أن إبليس أتاها وقال: إن أكل أيوب ولم يسمِّ عوفي. فعرضت ذلك على أيوب فحلف ليضربنها مائة[1].

وقيل: إن امرأته قالت له : ألا تدعو الله ليعافيك؟ فقال: قد عشت صحيحاً سبعين سنة أفلا أصبر سبع سنين[2].

وروى الطبري عن الحسن: أن الشيطان تمثَّل لها وسألها عن زوجها، فأشارت إليه وشكت سوء حال زوجها، فطمع الشيطان أن يكون ذلك الكلام منها جزعاً، فوسوس إليها وذكَّرها ما كانت فيه هي وزوجها من النعيم، فصرخت فعلم أنها قد جزعت، فأتاها بسخلة[3] فقال: ليذبح هذا إليَّ ويبرأ.

فجاءت إلى زوجها حزينة شاكية من حالها وحاله وعرضت عليه أن يُقَرِّب قرباناً للشيطان، فوبخها، وذكَّرها بالعمر الطويل الذي عاشاه في رغدٍ من العيش وصحةٍ في البدن، وأن ما مرَّ بهما من البلاء إنما هو زمن قصير مقارنة بذلك العمر[4].

وروى ابن المنذر عن سعيد بن المسيّب أن سبب اليمين أنها جاءته بزيادة على ما كانت تأتي به من الخبز الذي كانت تعمل عليه، وخشي أن تكون قارفت من الخيانة[5].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) ولد الضأن والمعز ساعة يولد ذكراً كان أو أنثى. المصباح المنير، ص: [٢٦٩].
(٤) تفسير الطبري، جـ١٧، ص: [٧٠]، وانظر: الدر المنثور، جـ٥، ص: [٦٥٧].
(٥) انظر: الدر المنثور، جـ٧، ص: [١٩٥].

وروي عن أنس أن أيوب خرج لحاجته وأمسكت امرأته بيده فلما فرغ أبطأت عليه، فأوحى الله إليه أن اركض برجلك، ولما شفي جاءته امرأته فلم تعرفه، فسألته عن أيوب فقال: إني أنا هو[1].

وفي رواية لابن عباس أنه قال: " كساه الله بحلة من حلل الجنة فلم تعرفه امرأته "[2].

نقد الإسرائيليات

من هذه الروايات ما هو ثابت، ومنها ما هو منكر، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأمَّا ما ثبت من هذه الروايات فهو حلف أيوب عليه السلام على ضرب امرأته في قوله تعالى: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا ـ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ .

وأمَّا الروايات التي تضمنت أموراً شركية من عرضها على زوجها بأن ينسب الشفاء إلى الشيطان إذا رضي بأن يداويه أو أن يُقَرِّب قرباناً للشيطان، وكذلك قبولها من الشيطان بأن لا يسمي زوجها على الطعام فهذه روايات بعيدة كل البعد عن الصواب؛ لأن هذه الأمور لا تليق بهذه المرأة المؤمنة الصابرة التي عاشت في بيت النبوة ولم يعرف عنها سوء قط.

وأمَّا ما روي من أن أيوب عليه السلام شك في أمرها لما جاءت بزيادة عما تأتي به عادةً من الخبز فشك أن تكون قد قارفت شيئاً من الخيانة فالظاهر أن المراد بالخيانة خيانة في المال لو صحت هذه الرواية، ويستحيل

---

(١) انظر: فتح الباري، جـ٦، ص: [٤٨٥]، وقال عنها الحافظ: إنها أصح ما روي في قصة أيوب عليه السلام .

(٢) المصدر السابق.

أن يكون من نساء الأنبياء خيانة في الفراش وإن الله عصم أنبياءه من ذلك - كما تقدم بيانه في قصة امرأة نوح عليه السلام [(١)].

وأمَّا ما سوى ذلك من الأخبار فمسكوت عنه ولا حرج في ذكره والله تعالى أعلم.

الأحكام المستفادة من القصة

١) جواز ضرب الرجل امرأته تأديباً، وذلك أن امرأة أيوب أخطأت فحلف على أن يضربها وأمضى يمينه[(٢)] وقد قال تعالى في آيةٍ أخرى: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾[(٣)].

٢) لا يجوز للزوج أن يتعدى حد الأدب في ضرب امرأته ولهذا أمر الله تعالى أيوب عليه السلام بضرب امرأته على تلك الصفة[(٤)] وقال ﷺ: ((**فاضربوهن ضرباً غير مبرح[(٥)]**))[(٦)].

٣) وجوب الإحسان إلى الزوجة. ويؤخذ هذا من أمر الله لأيوب عليه السلام أن يخفف عن امرأته فيضربها بمائة عود مجموعة ضربةً واحدةً بدلاً من ضربها مائة ضربة[(٧)] ومما يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[(٨)] وقول النبي ﷺ: ((**استوصوا بالنساء فإن**

---

(١) انظر: ص: [١٣٩].
(٢) انظر: تفسير القرطبي، جـ١٥، ص: [٢١٣]، وأحكام القرآن للجصاص، جـ٣، ص: [٢٨٣].
(٣) سورة النساء، الآية: [٣٤].
(٤) انظر: تفسير القرطبي، جـ١٥، ص: [٢١٣]، وأحكام القرآن للجصاص، جـ٣، ص: [٢٨٣].
(٥) أي غير شاق. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ١، ص: [١١٣].
(٦) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ ، جـ٢، ص: [٨٩٠].
(٧) انظر: مع الأنبياء في القرآن لعفيف طباره، ص: [٢١٣].
(٨) سورة النساء، الآية: [١٩].

المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن أنت ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء))[1].

٤) مشروعية العمل بفتوى الله تعالى لأيوب ﷺ وذلك إذا كان هناك سبب لضرب الزوجة. وممن قال بذلك ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وأبو حنيفة والشافعي وغيرهم[2] وكذلك في الحدود إذا كان للمحدود عذر في التخفيف عنه وكان ذلك العذر لازماً لا ينفك عنه كالشيبة الضعيف[3]. فعن سعيد بن سعد بن عبادة[4] أنه قال: " كان بين أبياتنا إنسان مخدج[5] ضعيف لم يرع أهل الدار إلا وهو على أمة من إماء الدار يخبث بها وكان مسلماً فرفع شأنه سعد إلى رسول الله ﷺ فقال: اضربوه حده، قالوا: يا رسول الله إنه أضعف من ذلك، إن ضربناه مائة قتلناه، قال: فخذوا له عثكالاً[6] فيه مائة شمراخ فاضربوه به ضربة واحدة، وخلّوا سبيله"[7].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، جـ٦، ص: [٤١٨].

(٢) انظر: تفسير القرطبي، جـ١٥، ص: [٢١٣]، وأحكام القرآن للجصاص، جـ٣، ص: [٣٨٢]، وأحكام القرآن للكيا الهراسي، جـ٤، ص: [٣٦٠]، وفتح القدير، جـ٤، ص: [٤٣٧]، وبدائع التفسير، جـ٤، ص: [٤٠،٤١].

(٣) انظر: تفسير القرطبي، جـ١٥، ص: [٢١٣]، وأحكام القرآن للجصاص، جـ٣، ص: [٣٨٢]، وأحكام القرآن للكيا الهراسي، جـ٤، ص: [٣٦٠]، وفتح القدير، جـ٤، ص: [٤٣٧]، وبدائع التفسير، جـ٤، ص: [٤٠،٤١].

(٤) سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي صحابي وُلي بعض اليمن لعلي بن أبي طالب وهو ثقة قليل الرواية. تهذيب التهذيب، جـ٤، ص: [٣٧].

(٥) ناقص الخلق. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ٢، ص: [١٣].

(٦) العثكال: العذق وكل غصن من أغصانه شمراخ. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ٢، ص: [٥٠٠].

(٧) مسند الإمام أحمد، جـ٥، ص: [٢٢٢]، وسنن أبي داود، كتاب الحدود، باب إقامة الحد على المريض، جـ٤، ص: [١٦٠]، وسنن ابن ماجه، كتاب الحدود، باب الكبير أو المريض يجب عليه حد، جـ٢، ص: [٨٥٩]، صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ح: [٢٠٨٧].

الدروس والعبر

١) وفاء المرأة الصالحة لزوجها وصبرها معه في أسوأ الأحوال، ويؤخذ من الكلام المقدر في تفسير الآية.

٢) فضل الصبر وعاقبته الحميدة، فقد صبرت امرأة أيوب على زوجها فكان مما جازاها الله به أن خفف عنها[١] عقاب زوجها وقد قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ ﴾[٢] وقال عليه الصلاة والسلام: ((إن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً))[٣].

٣) التخفيف والتيسير على الأمة المحمدية بمشروعية كفارة اليمين، ولو كانت مشروعة في زمن أيوب عليه السلام لأرشده الله تعالى إلى الأخذ بها والحنث في يمينه[٤] لأن ذلك خير من إمضاء هذا اليمين وقال ﷺ: **((والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها))**[٥].



---

(١) بدائع التفسير لابن القيم، جـ٤، ص: [٤٠].
(٢) سورة الشرح، الآية: [٥ ، ٦].
(٣) مسند الإمام أحمد، جـ١، ص: [٣٠٧]، صححه محققو المسند، جـ٥، ص: [١٩ ، ٢٠].
(٤) انظر: بدائع التفسير لابن القيم، جـ٤، ص: [٤١].
(٥) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأيمان والنذور، باب اليمين فيما لا يملك وفي المعصية وفي الغضب، جـ١١، ص: [٥٧٣]، وصحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويُكفِّر يمينه، جـ٣، ص: [١٢٦٩].

المبحث السادس:

قصة امرأة موسى عليه السلام

المدخل إلى القصة

تنشأ الفتاة بين والديها وإخوانها في بيت واحد يأنس بها أهلها، ويجدون برها وإحسانها حتى يأتي خاطبها، فيقدموها إليه فتخرج من بين أهلها. بل قد ترحل عن وطنها تبعاً لزوجها وهذا هو شأن البنات. وقد قصَّ القرآن لنا خبر فتاةٍ كانت بارةً محسنةً بأهلها تزوَّجت، وعن أهلها تحولت، ولزوجها رافقت، وعن وطنها سافرت.

وقد وردت قصتها في ثلاثة مواضع من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾(٣).

---

(١) سورة طه، الآية: [١٠].
(٢) سورة النمل، الآية: [٧].
(٣) سورة القصص، الآية: [٢٩].

معاني مفردات آيات القصة

﴿لِأَهْلِهِ﴾: المراد امرأته[١].

﴿ٱمْكُثُوٓا۟﴾: انتظروا مكانكم[٢]، وخاطبها بصفة الجمع رفعاً لقدرها[٣].

﴿ءَانَسْتُ﴾: أبصرت[٤].

﴿قَبَسٍ﴾: نار تؤخذ في رأس عود أو فتيلة[٥].

﴿بِشِهَابٍ﴾: شهاب: أي الشعلة الساطعة من النار الموقدة[٦].

﴿تَصْطَلُونَ﴾: تستدفئون بها من البرد[٧].

﴿جَذْوَةٍ﴾: قطعة غليظة من الحطب فيها النار[٨].

﴿ٱلطُّورِ﴾: هو الجبل[٩][١٠] الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام.

---

(١) تفسير القرطبي، جـ١١، ص: [١٧٢]، وأضواء البيان، جـ٤، ص: [٤١٢].

(٢) تفسير القرطبي، جـ١١، ص: [١٧٤]، وانظر: المفردات للراغب، ص: [١٧١]، والمصباح المنير، ص: [٥٧٧].

(٣) انظر: أضواء البيان، جـ١٠، ص: [٢٢٩،٢٣٠].

(٤) تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٢١٣]، وانظر: المفردات للراغب، ص: [٢٨].

(٥) انظر: المفردات للراغب، ص: [٢٩٠]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [٢١٣]، ومعاني القرآن للزجاج، جـ٣، ص: [٣٥١] و جـ٤، ص: [١٠٨].

(٦) المفردات للراغب، ص: [٢٦٧].

(٧) انظر: تفسير الطبري، جـ١٩، ص: [١٣٣]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٤٤]، وتفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [١٥٧].

(٨) تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٦٩]، وانظر: تفسير القرطبي، جـ١١، ص: [١٧٢] و جـ١٣، ص: [٢٨١]، وانظر: المفردات للراغب، ص: [٩٠]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٤٤].

(٩) جبل الطور قرب آيلة يضاف إلى سيناء. القاموس المحيط، جـ٢، ص: [٨٢].

(١٠) تفسير الطبري، جـ١، ص: [٣٢٥] و جـ٢٧، ص: [١٥].

التعريف بالمرأة

لم يثبت اسم امرأة موسى عليه السلام وانما ذكر أهل التاريخ أن اسمها صفوريا وهي ابنة صالح مدين[1] كما أفاده قوله تعالى عن صالح مدين لموسى عليه السلام: ﴿ ـ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ـ إلى قوله ـ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ـ ﴾.

عرض القصة

قص لنا القرآن الكريم طرفاً من أخبار امرأة موسى عليه السلام وذلك أنها كانت تتصف بالحياء والعفة وكانت بارة بأبيها؛ تزوجها موسى عليه السلام لما عرض الشيخ على موسى عليه السلام أن يزوجه إحدى ابنتيه. والظاهر عندي أنها هي التى جاءت موسى عليه السلام وهي التى قالت: ياأبتِ استأجره وهي التى عناها الشيخ بالخطبة ، فيحتمل أن يكون التعبير بإحداهما في كل ذلك دون تعيين إحدى البنتين مراعاة للحياء الجم الذي اتصفت به. ولما أراد موسى عليه السلام السفر من مدين بعدما قضى الأجل الذي كان بينه وبين صهره خرج بامرأته فرافقته على الرغم من شدة البرد، وتاهوا في الطريق ليلاً فلاحت لموسى عليه السلام نارٌ من جانب جبل الطور، فبادر عليه السلام بالأخذ بالأسباب، وأمر أهله أن يبقوا مكانهم ليسرع هو إلى النار راجياً أن يجد عندها من يرشده الطريق[2] فإن لم يكن هناك خبرٌ أتاهم بقبس من تلك النار يستدفئون به، فلما ذهب موسى عليه السلام إلى النار وجد عندها خيراً مما أراد، إذ كلَّمه الله عز وجل، وبعثه بالرسالة، فرجع إلى أهله بكنز عظيم قال

---

(١) التعريف والإعلام للسهيلي، ص: [١٣٢].

(٢) تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [١٣٢،١٣٣]، وتفسير ابن كثير، جـ٥، ص: [١٧٠]، وتفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [٥٤]، وقصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٣١٢]، وبصائر أولي التمييز، ص: [٣١٣].

ابن كثير رحمه الله تعالى: " وقد أتاهم بخبر وأيُّ خبر، ووجد عندها هدى وأي هدى، واقتبس منها نوراً وأي نور "(١).

الإسرائيليات

ورد في القصة أخبار عن بني اسرائيل أُجملها فيما يأتي:

ذكر الخازن أن موسى عليه السلام عرض على امرأته أن تطلب من أبيها بعض الغنم فطلبت منه ذلك، فأعطاها . وقيل: إن أباها أعطاهما الغنم إكراماً لموسى عليه السلام لحسن رَعْيه وصلةً لابنته.

وروي أن أباها أمرها أن تعطي موسى عليه السلام عصاه ليدفع بها السباع عن غنمه(٢)، فخرجت امرأة موسى معه عليه السلام من مدين(٣) إلى مصر ومعهما غنم بعدما قضى الأجل، وكان سفرهما شتاءً، وامرأته حبلى وتوشك أن تضع، وكانوا يمشون نهاراً، فإذا جاء الليل توقفوا عن المسير وأوقد موسى عليه السلام النار فيبيتون على ضوئها ويستدفئون بها، وفى إحدى الليالي ضلوا الطريق، وأخذ امرأته الطَّلْقُ فتوقفوا، وحاول موسى عليه السلام أن يشعل النار بزنده(٤) حتى أعياه ولم يستطع أن يشعل النار، فرأى ناراً من جانب الطور فقال لأهله: امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى(٥).

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٣١٢].
(٢) انظر: تفسير الخازن، جـ٥، ص: [١٧١،١٧٢].
(٣) بالشام على ساحل بحر القلزم وهو البحر الأحمر وسميت مدين بالقبيلة التى كان منها شعيب عليه السلام . انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص: [٥٢٥]، ومعجم ما استعجم، جـ٤، ص: [١٢٠١]، وأطلس التاريخ الإسلامي للدكتور حسين مؤنس، ص: [٣٨٨ ، ٣٨٩].
(٤) الزند: العود الذي يُقدح به النار وهو الأعلى. مختار الصحاح، ص: [٢٦٧].
(٥) انظر: تفسير الطبري، جـ١٦، ص: [١٤٢]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٤٤]، وتفسير الخازن، جـ٤، ص: [٢٦٤]، وقصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٣١٢].

نقد الإسرائيليات

من هذه الإسرائيليات ما هو ثابت، ومنها ما هو باطل، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأمَّا سير امرأة موسى عليه السلام معه فقد صرح به القرآن، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ﴾.

وأمَّا خروجهم في الشتاء فقد دل عليه قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾.

وأمَّا كونهم ضلوا الطريق وأن تلك الليلة كانت مظلمة فقد دل عليه قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾.

وأمَّا قوله عليه السلام لأهله: ﴿ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ فهذا ما نص عليه القرآن.

وأمَّا ما ذُكر من أنه كان معهم غنم في تلك الرحلة فقد دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾[1].

---

(١) سورة طه، الآية: [١٧ ، ١٨].

وأمَّا ما ذُكر من أن موسى عليه السلام طلب من امرأته أن تسأل أباها شيئاً من الغنم فإن هذا لا يصح وما كان ليصدر من نبي من أنبياء الله، وما كان له أن يُذهب ماء وجهه ويُذل نفسه بالمسألةِ وهو الذي ترفع عنها وهو أحوج ما يكون إليها لما جاء إلى مدين فقيراً والتقى بالشيخ، فيحتمل أن تكون الغنم عطية من الشيخ كما ذُكر ذلك في بعض الإسرائيليات.

وأمَّا كون امرأته حبلى عندما خرج بها، وأنها في أيام حملها الأخيرة فبعيد؛ إذ كيف يفعل هذا النبي الكريم ذلك وهو الذي رحمها في سقي الماشية عنها، وهو لا يعرفها وليس بينهما صلة فكيف بها وهي زوجته؟.

وأمَّا ما ذُكر من أن سيرهم كان نهاراً فقط فيرده قول الله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴾.

وأمَّا ما سوى ذلك من الأخبار فلا أعلم ما يثبته أو ينفيه فالظاهر أنه لا بأس من ذكره والله تعالى أعلم.

الأحكام المستفادة من القصة

1) مشروعية السفر بالأهل أخذاً من سفر موسى بأهله[1] وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ))[2].

---

(1) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٣٩٦،٣٤٤]، وانظر: تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٨١]، وفتح القدير، جـ٤، ص: [١٦٩]، وأحكام القرآن لابن العربي، جـ٣، ص: [١٤٨٢].

(2) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب { لولا إذ سمعتموه ..... }، جـ٨، ص: [٣٠٦]، وصحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك، جـ٤، ص: [٢١٣٠].

٢) قوامة الرجال على النساء أخذاً من قوله ﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ﴾[١] وقد قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾[٢].

الدروس والعبر

١) إن مصير البنت الانفصال عن أهلها وقد تفارق وطنها، فعليها أن تترك سيرةً حسنة كما تركت ابنة صالح مدين تلك السيرة التي سطرها لنا القرآن الكريم في ركب المحسنات.

٢) المرأة تبع لزوجها أخذاً من اتباع امرأة موسى لزوجها عليه السلام.

٣) طاعة المرأة لزوجها أخذاً من سفر امرأة موسى معه رغم البرد الشديد، واستجابتها لأمره لما قال: امكثوا.

٤) جواز خطأ الطريق حتى على الأنبياء والأذكياء[٣] فقد ضل موسى عليه السلام الطريق.

٥) اتخاذ الأسباب أخذاً من قوله: ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾.

٦) لا يعِد المرء بشيء لا يملكه كي لا يقع في خلف الوعد أخذاً من قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ لَّعَلِّيٓ ﴾[٤].

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٣٤٤]، وانظر: تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٨١]، وفتح القدير، جـ٤، ص: [١٦٩]، وأحكام القرآن لابن العربي، جـ٣، ص: [١٤٨٢].

(٢) سورة النساء، الآية: [٣٤].

(٣) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٣٤٤].

(٤) انظر: تفسير الفخر الرازي، جـ٢٢، ص: [١٥]، والكشاف، جـ٢، ص: [٥٣١].

٧) الرحمة بالزوجة وإظهار الاهتمام بها أخذاً من قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ حيث جعل الإتيان بالخبر وبما يستدفأ به من أجلها كما يُفهم من خطابه عليه السلام.

٨) شجاعة المرأة المؤمنة وإيمانها بالله أخذاً من بقاء امرأة موسى عليه السلام في مكانها لما أمرها زوجها بقوله : امكثوا، وكما لزمت هاجر مكانها بوادٍ غير ذي زرع بأمر زوجها إبراهيم عليه السلام.

٩) الصبر عند المحن كما صبر موسى وأهله عليهما السلام عندما ضلوا الطريق(١).



(١) انظر: أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٣٩٦].

المبحث السابع:

قصة امرأة زكريا عليه السلام

المدخل إلى القصة

الأولاد نعمة من الله تعالى يهبها لأناس ويحرمها آخرين قال تعالى: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾[1] وقد ذكر القرآن الكريم قصة امرأةٍ كانت عقيماً وشاء الله تعالى لها أن تلد فهو سبحانه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن، فيكون.

وقد جاء ذكر قصتها في أربعة مواضع من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾[4].

---

(١) سورة الشورى، الآية: [٤٩ ، ٥٠].
(٢) سورة آل عمران، الآية: [٤٠].
(٣) سورة مريم، الآية: [٥].
(٤) سورة مريم، الآية: [٨].

وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[1].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ عَاقِرًا ﴾ : العاقر من النساء التى لا تلد[2]، قال الراغب: " عقرته أصبت عُقره أي أصله نحو رأسه، ومنه عقرت النخل قطعته من أصله، وعَقَرْتُ البعير نحرته ، ومنه استعير سرج معقر وكلب عقور، ورجل عاقر، وامرأة عاقر لا تلد كأنها تعقر ماء الفحل "[3].

﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ : قال ابن جرير: " إن الله أصلح لزكريا زوجه بأن جعلها ولوداً حسنة الخَلق والخُلق، وكل ذلك من معاني إصلاحه إياها ، ولم يخصص الله جل ثناؤه بذلك بعضها دون بعض في كتابه، ولا على لسان رسوله، ولا وضع على خصوص ذلك دلالة، فهو على العموم ما لم يأت ما يجب التسليم له بأن ذلك مراد به بعض دون بعض[4].

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ : أي كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير وهو السر في إيثار كلمة (في) على كلمة (إلى). وهذه الجملة جاءت تعليلاً لما قبلها من إحسانه سبحانه إلى أنبيائه[5].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: [٩٠].

(٢) تفسير الطبري، جـ٣، ص: [٢٥٧] و جـ١٦، ص: [٤٧]، وتفسير البغوي، جـ١، ص: [٢٩٩].

(٣) المفردات، ص: [٣٤١].

(٤) تفسير الطبري، جـ١٧، ص: [٨٣].

(٥) تفسير أبي السعود، جـ٦، ص: [٨٣]، وانظر: فتح القدير، جـ٣، ص: [٤٢٥].

﴿ وَيَدۡعُونَنَا ﴾: المراد بالدعاء هاهنا العبادة.

﴿ رَغَبٗا ﴾ : أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله.

﴿ وَرَهَبٗاۖ ﴾ : يعني رهبة منهم من عذابه وعقابه بتركهم عبادته، وركوبهم معصيته[1].

﴿ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ : متواضعين متذللين ولا يستكبرون عن عبادتنا[2].

التعريف بالمرأة

لم ينص القرآن الكريم ولا السنة على اسمها، وإنما ذكر المؤرخون أن اسمها إيشاع، وقيل اسمها أشياع بنت عمران، وقيل بنت فاقوذ بن قبيل، وهي خالة عيسى عليه السلام أو خالة أمه[3] وليس في معرفة ذلك أهمية في قصتها.

عرض القصة

يخبر الله تعالى في هذه الآيات على لسان زكريا عليه السلام عن حال امرأته أنها كانت عاقرا لا تلد، ومع هذا صبر عليها زوجها زكريا عليه السلام، وشكى حاله وحالها إلى الله تعالى رغبة في أن يكون لهما ولد، فاستجاب الله دعاءه وأصلح له زوجه، فشفاها من تلك العلة، وحملت من زوجها،

---

(١) تفسير الطبري، جـ١٧، ص: [٨٣].

(٢) المصدر السابق، جـ١٧، ص: [٨٤]، وانظر: تفسير ابن كثير، جـ٥، ص: [٣٦٤-٣٦٥].

(٣) انظر: تاريخ الطبري، جـ١، ص: [٣٤٥]، ومروج الذهب للمسعودي، جـ١، ص: [٦٢]، والتعريف والإعلام للسهيلي، ص: [١١٠-١١٥]، والمنتظم لابن الجوزي، جـ٢، ص: [٥].

فأنجبت له يحيى عليه السلام، كما أصلحها الله تعالى في أخلاقها فكان صلاحها في بدنها وخلقها كما قال تعالى: ﴿ ... وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ... ﴾ فكانت نِعْم الزوج، ونِعْم الصاحبة لزكريا عليه السلام. وقدتحقق ذلك الخير لامرأة زكريا، وزوجها، وابنها لأنهم كانوا يسارعون في طاعة الله، والعمل بما يقربهم إليه[1]، كما قال الله تعالى فيهم وفيمن سبقهم من الأنبياء: ﴿ ... إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[2].

الدروس والعبر

1) إن الجليس والقرين الصَّالح مباركٌ على قرينه، فقد كان زكريا عليه السلام مباركاً على امرأته حيث رزقها الله منه يحيى عليه السلام، وقد جاء في السنة ما يؤيد هذا المعنى في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**مثل الجليس الصالح، والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك[3]، وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة**))[4]؛ وحديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: ((**يقول ملك من الملائكة: فيهم فلانٌ ليس منهم إنما جاء لحاجة قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم**))[5].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، جـ١٧، ص: [٨٣]، وزاد المسير لابن الجوزي، جـ٥، ص: [٣٨٥]، وتفسير الفخر الرازي، جـ٢٢، ص: [٢١٨]، وفتح القدير، جـ٣، ص: [٤٢٥].

(٢) سورة الأنبياء، الآية: [٩٠].

(٣) أي يعطيك. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، جـ١، ص: [٣٥٨].

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، جـ٩، ص: [٥٧٧]، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، جـ٤، ص: [٢٠٢٦].

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله عز وجل جـ١١ ص٢١٢ .

٢) تقرير أن الزوجة الصالحة من حسنة الدنيا؛ لأن الله تعالى ذكر ذلك في القصة على سبيل الامتنان على زكريا عليه السلام مما وهبه الله تعالى له في الدنيا[١] وقد قال ﷺ: ((**الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**))[٢] وقال عليه الصلاة والسلام: ((**حُبب إليَّ من الدنيا النساء والطيب، وجُعل قرة عيني في الصلاة**))[٣].

٣) قدرة الله ﷻ لا يعجزها شيء فقد كانت امرأة زكريا عاقراً[٤] وأراد الله لها الحمل من زكريا عليه السلام.

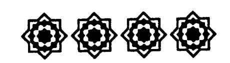
٤) فضيلة المسارعة في الخيرات، والدعاء رغبة ورهبة، والخشوع في العبادات، وهو أكبر ما يمدح به المرء؛ لأنه يدل على حرص عظيم على الطاعة[٥] وقد قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[٦] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ والصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ .. إلى قوله .. أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٧].

---

(١) انظر: أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [١٢٨].
(٢) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب متاع الدنيا المرأة الصالحة، جـ٣، ص: [١٢٨].
(٣) سنن النسائي، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، جـ٧، ص: [٦١]، صححه الألباني في صحيح سنن النسائي ح: [٣٦٨٠]، ومشكاة المصابيح، ح: [٥٢٦١]، وصحيح الجامع الصغير، ح: [٣١٢٤]، ومسند الإمام أحمد، جـ٣، ص: [١٢٨].
(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي بتصرف، جـ٣، ص: [٢٩٧].
(٥) انظر: أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [١٢٨]، وتفسير الفخر الرازي، جـ٢٢، ص: [٢١٨].
(٦) سورة الواقعة، الآية: [١٠ ، ١١].
(٧) سورة الأحزاب، الآية: [٣٥].

وقال الرسول ﷺ في الحديث الذي يرويه عن ربه: ((وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه))[1].

٥) بطلان ما عليه الصوفية من قولهم : إنا نعبد الله لا طمعاً في جنته ولا خوفاً من عقابه[2] فإن الله تعالى وصف أولياءه بقوله: ﴿ ... وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ... ﴾.



---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب التواضع، جـ١١، ص: [٣٤٨].
(٢) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، لعبدالرحمن عبدالخالق، ص: [٥٥-٥٩].

المبحث الثامن :

قصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

المدخل إلى القصة

لقد تربَّتْ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في بيت أفضل الخلق بعد الرسل عليهم الصلاة والسلام، بيت أبيها أبي بكر الصدِّيق ﷺ، ثم انتقلت إلى أشرف بيت، وخير صاحب، وأعظم زوج وهو نبينا ﷺ لتلقى هناك المزيد من العلم والتقوى بصحبته ﷺ، فكانت أماً من أمهات المؤمنين اللاتي اختارهن الله تعالى ليكن قدوة للنساء خصوصاً، وللأمة عموماً إلى أن تقوم الساعة. ولقد لقيت هذه المرأة بلاءً عظيماً حيث اُتهمت في عِرْضِهَا، وفي هذا البلاء بيان لعظيم منزلتها عند الله تبارك وتعالى حيث إنه جاء في الحديث عنه ﷺ: ((**أشد الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل**))[1]، وقال ﷺ: ((يبتلى العبد على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة))[2].

وقد وردت قصتها هذه في موضع واحد من كتاب الله العزيز:

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، جـ١٠، ص: [١١٦] .

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، جـ٢، ص: [١٣٣٤]، صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ح: [٣٢٤٩]، والسلسلة الصحيحة، ح: [١٤٣]، ومشكاة المصابيح، ح: [١٥٦٢] .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ - إلى قوله - ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[١].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ بِٱلْإِفْكِ ﴾: أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل هو البهتان، وهو الأمر الذي لا تشعر به حتى يفجأك، وأصل الإفك القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه[٢].

﴿ عُصْبَةٌ ﴾: أي جماعة متعصبة متعاضدة مجتمعة[٣].

﴿ كِبْرَهُۥ ﴾: أي معظمه[٤].

---

(١) سورة النور، الآية: [١١-١٦، ٢٦].
(٢) المفردات للراغب، ص: [١٩]، وتفسير الفخر الرازي، جـ٢٣، ص: [١٧٣].
(٣) المفردات للراغب، ص: [٣٣٦].
(٤) تذكرة الأريب لابن الجوزي، جـ٢، ص: [٢٢].

﴿ أَفَضْتُمْ ﴾ : أي خضتم فيه ، يقال: أفاضوا في الحديث إذا خاضوا فيه[1].

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ : إذ يلقيه بعضكم إلى بعض . ومعناه إذ تسرعون بالكذب[2].

﴿ بُهْتَانٌ ﴾ : البهتان: أي الكذب[3].

التعريف بالمرأة

هي عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها تُكنى بأم عبدالله، ولدت بعد البعثة بأربع سنين أو خمس[4]، وتزوج بها النبي ﷺ في شوال وعمرها ست سنين، وبنى بها في شوال في السنة الأولى من الهجرة وعمرها تسع سنين ، ولم يتزوج بكراً غيرها، وما نزل عليه الوحي في لحاف امرأةٍ غيرها، وكانت أحب الخلق إليه ، ونزل عذرها من السماء واتفقت الأمة على كفر قاذفها[5].

قال عطاء بن أبي رباح: " كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة ".

وقال الزهري: " لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل "[6].

---

(١) المفردات للراغب، ص: [٣٨٧].
(٢) معاني القرآن للزجاج، جـ٤، ص: [٣٨].
(٣) المفردات للراغب، ص: [٦٣].
(٤) الإصابة، جـ٤، ص: [٣٤٩]، كتاب أزواج النبي ﷺ للصالحي، ص: [٧٨].
(٥) منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ، ص: [٥١]، وزاد المعاد لابن القيم، جـ١، ص: [١٠٦].
(٦) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، جـ٤، ص: [٣٤٩].

كانت وفاتها في رمضان ليلة الثلاثاء لسبع عشر خلت منه على الصحيح عند الأكثرين سنة ثمان وخمسين هجرية[1] رضي الله عنها وأرضاها.

عرض القصة

ذكر لنا القرآن الكريم خبر ذلك البهتان الذي رميت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وما افتراه عليها المنافقون من وقوعها في الفاحشة حاشاها من ذلك رضي الله عنها، فقد برأها الله من فوق سبع سماوات قال الله تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

وقد عاتب الله تعالى المؤمنين على ما وقع في نفوس بعضهم من تلك الشائعة[2] إذ كان الأليق بهم أن يظنوا بإخوانهم المؤمنين خيراً ويرفضوا قبول مثل ذلك الأمر، لا سيما والمعني به عرض النبي ﷺ وقد وصف الله تعالى الكذب بكونه إفكاً؛ لأن المعروف عن حال عائشة خلاف ذلك لعدة وجوه:

1) أن كونها زوجة للرسول ﷺ المعصوم يمنع من ذلك، لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم، فوجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم، ومن أعظم المنفرات أن تكون زوجة الداعية إلى الخير مسافحة.

---

(1) المصدر السابق، جـ٤، ص: [١٣٥]، وكتاب أزواج النبي ﷺ للصالحي، ص: [١٣٥].
(2) انظر: تفسير الطبري، جـ١٨، ص: [٩٦].

٢) أن المعروف من حال عائشة قبل تلك الواقعة إنما هو الصون والبعد عن مقدمات الفجور ، ومن كان كذلك كان اللائق إحسان الظن به، وقد شرح سبحانه حال المقذوفة ومن يتعلق بها بقوله: ﴿ ... لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ... ﴾ والصحيح أن هذا الخطاب ليس مع القاذفين بل مع من قنفوه وآذوه[١]، قال تعالى مواسياً آل أبي بكر: ﴿ ... لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ... ﴾ فالخير الذي أراده الله في ذلك تشريفها بظهور براءتها ونزاهتها وعُلُوِّ منزلتها إذ فازت بهذه الشهادة بعفتها من الله تبارك وتعالى، وبقي ذلك قرآناً يتلى إلى يوم القيامة[٢].

وقد جاء في السنة بيان قصة الإفك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه. فأقرع بيننا في غزاةٍ غزاها فخرج سهمي فخرجت معه بعدما أُنزل الحجاب فأنا أُحمل في هودج وأُنزل فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش. فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع أظفار[٣] قد انقطع فرجعت، فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه فأقبل الذين

---

(١) أحكام القرآن للجصاص، جـ٣، ص: [٣٠٦]، وتفسير الفخر الرازي بتصرف يسير، جـ ٢٣، ص: [١٧٣-١٧٤].

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [١٧-٢٦].

(٣) نوع من الطيب يؤخذ ويُثقب ويُجعل في العقد والقلادة. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ٣، ص: [١٥٨].

يرحلون لي فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشهن اللحم وإنما يأكلن العلقة[1] من الطعام، فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج فاحتملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش ، فجئت منزلهم وليس فيه أحد ، فأممت منزلي الذي كنت به ، فظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إليَّ . فبينا أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت. وكان صفوان بن معطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش ، فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم ، فأتاني وكان يراني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حتى أناخ راحلته، فوطئ يدها، فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا معرِّسين[2] في نحر الظهيرة، فهلك من هلك. وكان الذي تولى الإفك عبدالله بن أبي ابن سلول . فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهراً ، والناس يُفيضون من قول أصحاب الإفك، ويريبني في وجعي أني لا أرى من النبي ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض ، إنما يدخل فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت ، فخرجت أنا وأم مسطحٍ[3] قِبل المناصع[4] متبرَّزنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف[5] قريباً من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأُول في البرية أو في

---

(١) كل ما يتبلغ به من العيش. الصحاح، جـ٤، ص: [١٥٢٩].

(٢) عرس المسافر إذا نزل ليستريح ثم يرتحل. انظر: المصباح المنير، ص: [٤٠١].

(٣) أم مسطح القرشية التميمية ويُقال المطلبية وهي بنت أبي رهم أنيس. الإصابة، جـ٤، ص: [٤٧٢].

(٤) هي المواضع التى يتخلى فيها لقضاء الحاجة. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ٥، ص: [٦٥].

(٥) المراحيض. انظر: المصباح المنير، ص: [٥٤٢].

التنزه فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رُهم نمشي ، فعثرت في مِرطِها(١) فقالت: تعِس مسطح ، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدراً؟ فقالت: يا هنتاه ألم تسمعي ما قالوا؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضاً على مرضي . فلما رجعت إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله ﷺ فقال: كيف تيكم؟ فقلت: ائذن لي إلى أبويَّ - قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أستيقن الخبر من قِبلهما - فأذن لي رسول الله ﷺ . فأتيت أبوي فقلت لأمي: ما يتحدث به الناس؟ فقالت: يا بنية هوني على نفسك الشان ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها. فقلت: سبحان الله ، ولقد يتحدث الناس بهذا؟ قالت: فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأُ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله: فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم فقال أسامة: أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: يا بريرة هل رأيت فيها شيئاً يريبك؟ فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمراً أغمصه(٢) عليها قط أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين، فتأتي الداجن(٣) فتأكله. فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبدالله بن أُبي ابن سلول فقال رسول الله ﷺ: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً

(١) كساء من صوف أو خز يؤتزر به وتتلفع المرأة به. المصباح المنير، ص: [٥٦٩].
(٢) أستصغره. مختار الصحاح، ص: [٤٨١].
(٣) ما يألف البيوت من الشاء والحمام ونحوه. انظر: المصباح المنير، جـ١، ص: [١٩٠]، والنهاية في غريب الحديث والأثر، جـ٢، ص: [١٠٢].

وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي ، فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله والله أنا أعذرك منه ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك. فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج - وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية - فقال: كذبت لعمرُ الله ، والله لا تقتله ، ولا تقدر على ذلك. فقام أُسيد بن الحضير فقال: كذبت لعمرُ الله والله لنقتلنه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا ، ورسول الله ﷺ على المنبر فنزل فخفضهم حتى سكتوا وسكت. وبكيت يومي لا يرقأُ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، فأصبح عندي أبواي ، وقد بكيت ليلتي ويوماً حتى أظن أن البكاء فالق كبدي. قالت: فبينا هما جالسان عندي إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها ، فجلست تبكي معي ، فبينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها ، وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء قالت: فتشهد ثم قال: يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئةً فسيبرئك الله، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه؛ فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه. فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أُحس منه قطرة وقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ قال: والله لا أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ قالت : وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس ووقر في أنفسكم وصدقتم به وإن قلت لكم إني بريئة - والله يعلم أني بريئة - لا تصدقونني بذلك، ولأن

اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أني بريئة – لتصدقني ، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿ ... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[1] ثم تحولت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله، ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحياً ، ولأنا أحقر في نفسي من أن يُتكلم بالقرآن في أمري، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا تبرئني فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي فأخذه ما يأخذه من البُرَحاء[2] حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان[3] من العرق في يومٍ شاتٍ. فلما سُري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي: يا عائشة احمدي الله فقد برأك الله قالت لي أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ فقلت: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله. فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ... ﴾[4] الآيات. فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق ﷺ - وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه -: والله لا أنفق على مسطح بشيء أبداً بعد أن قال لعائشة. فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ ... إلى قوله ... وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[5] فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه. وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال: يا زينب ما علمت؟ ما

---

(١) سورة يوسف، الآية: [١٨].

(٢) أي شدة الكرب من ثقل الوحي. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ١، ص: [١١٣].

(٣) حبوب تُعمل من الفضة كالدُر. انظر: مختار الصحاح، ص: [١١٢].

(٤) سورة النور، الآية: [١١].

(٥) سورة النور، الآية: [٢٢].

رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيراً. قالت: وهي التى كانت تساميني، فعصمها الله بالورع))[1].

شبهة والرد عليها

قال ابن القيم رحمه الله: " فإن قيل: ما بال رسول الله ﷺ توقف في أمرها، وسأل عنها، وبحث، واستشار، وهو أعرف بالله، وبمنزلته عنده، وبما يليق به؟ فكان مما أجاب به رحمه الله تعالى عن هذه الشبهة قوله: إن الرسول ﷺ هو المقصود بالأذى، والتي رميت زوجته، فلم يكن يليق به أن يشهد ببراءتها مع علمه، أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءتها، ولم يظن بها سوءاً قط، وحاشاه، وحاشاها، ولذلك لما استعذر من أهل الإفك، قال: ((من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلاّ خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلاّ خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلاّ معي))، فكان عنده من القرائن التي تشهد ببراءة الصدِّيقَة أكثر مما عند المؤمنين، ولكن لكمال صبره وثباته، ورفقه وحسن ظنه بربه، وثقته به، وفّى مقام الصبر والثبات، وحسن الظن بالله حقه، حتى جاءه الوحي بما أقرَّ عينه، وسرَّ قلبه، وعظَّم قدره، وظهر لأمته احتفال ربه به، واعتناؤه بشأنه[2].

الأحكام المستفادة من القصة

1) مشروعية القرعة بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن لما فيها من تطييب النفوس[3] كما صنع النبي ﷺ عند خروجه إلى غزوة بني

---

(1) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن ببعض، جـ٥، ص: [٣١٩-٣٢٢].

(2) انظر: زاد المعاد لابن القيم، جـ٣، ص: [٢٦١-٢٦٣].

(3) فتح الباري، جـ٨، ص: [٣١٢]، والمغني لابن قدامة، جـ١٠، ص: [٣٥٣]، ومرويات غزوة بني المصطلق، ص: [٣١٨]، وهذا الحبيب يا محب للجزائري، ص: [٣٣٦].

المصطلق[1] عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه[2].

٢) جواز خروج النساء في الغزوات مع أزواجهن[3] أخذاً من خروج عائشة رضي الله عنها في غزوة بني المصطلق، وكذلك خروج أم سلمة في غزوة الحديبية[4][5].

٣) جواز ركوب المرأة بمفردها مع الأجنبي للضرورة كما ركبت عائشة رضي الله عنها الهودج مع صفوان رضي الله عنه.

٤) وجوب تغطية وجه المرأة عن الرجال الأجانب أخذاً من قولها: ((فخمرت وجهي))[6] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ـ الآية ﴾[7].

٥) تحريم ظن السوء بمن عُرِفَ بالصلاح[8] أخذاً من قوله: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ وقال الله تعالى: ﴿ ـ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ـ ﴾[9].

---

(١) كانت بين المسلمين وبين بني المصطلق ، ومن أسبابها تأييد هذه القبيلة لقريش وسيطرتها على الخط الرئيس المؤدي إلى مكة ، وكذلك تجميع هذه القبيلة الجموع لغزو المدينة فباغتهم النبي ﷺ وأصحابه فهزموهم شرَّ هزيمة ، وقد حدثت في السنة الرابعة أو السادسة من الهجرة. انظر: مرويات غزوة بني المصطلق، ص: [٨٩].

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب النكاح، باب القرعة بين النساء إذا أراد سفراً، جـ٩، ص: [٢٢٠]، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عائشة، جـ٤، ص: [١٨٩٤].

(٣) مرويات غزوة بني المصطلق، ص: [٣١٢]، هذا الحبيب يا محب للجزائري، ص: [٣٣٦].

(٤) كانت في السنة السادسة من الهجرة وقد خرج النبي ﷺ وأصحابه إلى مكة قاصدين البيت الحرام وقد ساق معه الهدي وأحرم بالعمرة وصده المشركون في تلك السنة وانتهى الأمر بالصلح. انظر: البداية والنهاية، جـ٤، ص: [١٦٤-١٦٦].

(٥) الإصابة، جـ٤، ص: [٤٤٠].

(٦) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، جـ٤، ص: [٢١٣١].

(٧) سورة الأحزاب، الآية: [٥٩].

(٨) الإكليل، ص: [١٩٠]، وأحكام القرآن للجصاص، جـ٣، ص: [٢٠٧]، وأيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٢٢٨].

(٩) سورة الحجرات، الآية: [١٢].

٦) لا يجوز الحكم على الناس بالظن[١] أخذاً من قوله: ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾.

٧) حرمة القول بدون علم والخوض في ذلك[٢] أخذاً من قوله: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ وقوله: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[٣].

٨) إن القاذف كاذب شرعاً ما لم يأت بالشهداء[٤] أخذاً من قوله: ﴿ ... فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾.

٩) تحريم قذف المحصنات المؤمنات والمحصنين المؤمنين، وأنه من كبائر الذنوب وموجب للحد وهو ثمانون جلدة[٥] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٦] وقوله تعالى:

---

(١) الإكليل، ص: [١٩٠].
(٢) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٢٢٦].
(٣) سورة الإسراء، الآية: [٣٦].
(٤) أحكام القرآن لابن العربي، جـ٣، ص: [١٣٥٥]، وأحكام القرآن للجصاص، جـ٣، ص: [٣٠٧]، والإكليل، ص: [١٩٠]، وأحكام القرآن للكيا الهرّاسي، جـ٣، ص: [٣٠٨].
(٥) كتاب الكبائر للذهبي، ص: [٩٢]، وهذا الحبيب يا محب للجزائري، ص: [٣٣٧].
(٦) سورة النور، الآية: [٢٣].

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ـ الآية ﴾[1] وقال الرسول ﷺ: ((**اجتنبوا السبع الموبقات**))[2] فذكر منها : ((**قذف المحصنات الغافلات المؤمنات**)).

١٠) كفر من قذف عائشة رضي الله عنها بعد نزول براءتها بنص القرآن الكريم[3].

الدروس والعبر

١) قضاء الله للمؤمن كله له خير[4] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ ـ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ـ ﴾ وقال تعالى: ﴿ ـ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[5].

٢) بشاعة الإفك وعظيم جرمه[6] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ ـ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

٣) إن المرء لا يحاسب إلاَّ بما اكتسبه من الإثم بنفسه[7] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ ـ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ـ ﴾ وقال تعالى:

---

(١) سورة النور، الآية: [٤].
(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الحدود، باب رمي المحصنات، جـ١٢، ص: [١٨٨]، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، جـ١، ص: [٩٢].
(٣) انظر: الإكليل، ص: [١٩٠]، وتفسير القاسمي، جـ١٢، ص: [٤٤٧٣]، والصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية، ص: [٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٥٧١].
(٤) أيسر التفسير للجزائري، جـ٣، ص: [٢٢١].
(٥) سورة النساء، الآية: [١٩].
(٦) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٢٢١].
(٧) أحكام القرآن لابن العربي بتصرف يسير، جـ٣، ص: [١٣٥٤].

﴿ ...لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ... ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[2].

٤) إن العقوبة تكون على قدر الجرم كبراً وصغراً قلة وكثرة[3] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ ...لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

٥) شجاعة المرأة المؤمنة وحسن تصرفها أخذاً من لزوم عائشة رضي الله عنها مكانها بعد مضي الجيش راجية أن يفقدوها فيرجعوا إليها.

٦) أدب الصحابة رضوان الله عليهم في معاملة النساء المسلمات ولا سيما نساء النبي ﷺ والمبالغة في توقي مواطن الريبة والتهمة، فقد ثبت أن صفوان رضي الله عنه اكتفى بالاسترجاع حتى استيقظت السيدة عائشة، وفي استرجاعه ما يدل على استفظاعه وأسفه أن تترك زوجة النبي ﷺ في العراء، ولم يكلمها قط، وعرض عليها الركوب، وحين الركوب أولاها ظهره، ولما ركبت قاد بها ولم يسر خلفها[4] وهكذا ينبغي للرجل المؤمن أن يكون تقياً بعيداً عن التهمة في تعامله مع النساء.

٧) ينبغي أن يكون الأساس للروابط الاجتماعية في المجتمع الإسلامي ظن الناس فيما بينهم خيراً[5] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا... ﴾.

---

(١) سورة البقرة، الآية: [٢٨٦].
(٢) سورة النجم، الآية: [٣٨].
(٣) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٢٢١].
(٤) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة لأبي شهبة، جـ٢، ص: [٢٦٦].
(٥) تفسير سورة النور للمودودي، ص: [١٣٢].

٨) الواجب لمن كان ظاهره العدالة أن يظن به خيراً ولا يظن به شراً، وقد علّمنا الله تعالى أن نقول عندما يتهم العدل بالباطل : ما يكون لنا أن نتكلم بهذا[١].

٩) حفاظ المرأة المؤمنة على التستر والحجاب أخذاً من قول عائشة: كنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ذلك قبل أن نتخذ الكنف(٢) قريباً من بيوتنا.

١٠) بيان أن الحبيب ﷺ ما كان يعلم الغيب حتى يعلمه الله تعالى أخذاً من عدم قطعه عليه الصلاة والسلام ببراءة عائشة رضي الله عنها حتى برّأها الله تعالى فكيف إذاً بغيره ممن يدّعون علم الغيب والمكاشفة تغريراً بالمسلمين وتضليلاً لهم لاستغلالهم؟[٣].

١١) صيانة الله سبحانه أنبياءه أن تقع من زوجاتهم خيانةٌ زوجية وذلك لأن زنى الزوجة مما يمتد أثره السيئ إلى الزوج، فصان الله زوجاتهم عن ذلك حتى لا يكون منفراً منهم ومعوقاً عن الاهتداء بهم[٤].

١٢) إن من أعظم البلاء أن يتهم المرء في عرضه أخذاً من حال أم المؤمنين وما أصابها من المرض لما سمعت من الأذى والبهتان الذي نسب إليها.

١٣) الصبر على البلاء حتى يفرج الله الكرب[٥]، أخذاً من صبر أم المؤمنين رضي الله عنها حتى جاءها الفرج من الله وقد قال الله تعالى:

---

(١) أحكام القرآن للجصاص، جـ٣، ص: [٣٠٧،٣٠٨].
(٢) تقدم ص: [١٩٤].
(٣) هذا الحبيب يا محب للجزائري، ص: [٣٣٦]، وتفسير سورة النور للمودودي، ص: [١٢٦].
(٤) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة لأبي شهبة، جـ٢، ص: [٢٦٥].
(٥) انظر: كتاب هذا الحبيب للجزائري، ص: [٣٣٧].

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾(١)، وقال ﷺ: ((وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً))(٢).

١٤) الهم والحزن سبب في النسيان حيث نسيت عائشة رضي الله عنها اسم يعقوب عليه السلام (٣) حينما قالت: والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف: ﴿ ... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾.

١٥) الاعتراف بالفضل لأهله أخذاً من قول عائشة رضي الله عنها: لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله.

١٦) إن في هذه القصة عزاء وسلوى للعفيفات اللاتى يرمين زوراً وكذباً بالفاحشة، فهذه الصديقة بنت الصديق وزوج الرسول ﷺ والمبرأة من فوق سبع سموات قد رميت بما هي براء منه من المنافقين ومن شايعهم من ضعفاء الإيمان(٤).

١٧) ورع الضرائر المؤمنات حيث ما قلن في عائشة رضي الله عنها إلا خيراً ولم تحملهن الغيرة على قول الباطل في عائشة رضي الله عنها(٥).

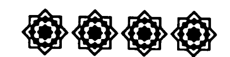
١٨) إرجاف(٦) المنافقين بين صفوف المسلمين(٧) وتصيدهم الفرص للطعن في الإسلام وأهله كما استغل عبدالله ابن سلول عودة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مع صفوان ابن المعطل رضي الله عنه.

---

(١) سورة الشرح، الآية: [٥].
(٢) سبق تخريجه، ص: [١٧٤].
(٣) فتح الباري، جـ٨، ص: [٣٣٣].
(٤) السيرة النبوية لأبي شهبة، جـ٢، ص: [٢٦٥].
(٥) انظر: تفسير سورة النور للمودودي، ص: [١٢٤].
(٦) الإرجاف: أرجفوا في الشيء أي خاضوا فيه. الصحاح، جـ٤، ص: [١٣٦٣].
(٧) في ظلال القرآن، جـ٤، ص: [٢٥٠٠].

١٩) لا ينبغي لمن حفظه الله من الوقوع في السوء أن يترفع ويشعر بالكبر[١] فإن العصمة من الله تعالى، فقد عُصم الكثير من الصحابة بفضل الله تعالى من الخوض في الإفك قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢] وقال سبحانه: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[٣].

٢٠) ثبات المرأة المؤمنة ورزانتها وقوة شخصيتها واعتزازها بعقيدتها ودينها، ويؤخذ هذا من عدم مبادرة أم المؤمنين رضي الله عنها بالقيام إلى النبي ﷺ بعدما برأها الله تعالى[٤].



(١) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٢٢٩].
(٢) سورة النور، الآية: [٢١].
(٣) سورة النساء، الآية: [٧٩].
(٤) شخصية المرأة المسلمة للهاشمي، ص: [٢٠٠].

المبحث التاسع:

قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها

المدخل إلى القصة

جاءت الرسالة المحمدية بإبطال ما كان عليه الناس من جاهليات في العبادات والمعاملات والتقاليد والعادات الاجتماعية، ومن ذلك إزالة الطبقية بين الناس باعتبار أنسابهم قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(1) وإبطال التبني قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾(2) وقد تحقق هذان الأمران عملياً بما جرى بين زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضي الله عنهما ثم بينها وبين رسول الله ﷺ.

وقد جاء ذلك في موضع واحد من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾(3).

---

(1) سورة الحجرات، الآية: [13].
(2) سورة الأحزاب، الآية: [4].
(3) سورة الأحزاب، الآية: [37].

معاني مفردات آية القصة

﴿ قَضَىٰ ﴾ : القضاء فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً. والمراد بكلمة قضى ها هنا فرغ[١].

﴿ وَطَرًا ﴾ : هو الحاجة المهمة[٢] والمراد حاجته من نكاحها[٣].

﴿ حَرَجٌ ﴾ : أي ضيق[٤].

التعريف بالمرأة

هي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن غنم الأسدية أم المؤمنين وهي بنت أُميمة عمة رسول الله ﷺ [٥] كان اسمها برة فسماها النبي ﷺ زينب[٦]، تزوجها الرسول ﷺ في السنة الخامسة من الهجرة وعمرها خمس وثلاثون سنة[٧] وهي من أفضل نسائه[٨]، نزل بسببها آية الحجاب ، وهي أول نسائه لحوقاً به، ماتت سنة عشرين من الهجرة رضي الله عنها وأرضاها[٩].

---

(١) المفردات للراغب، ص: [٤٠٦]، وانظر: إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص: [٣٨٤].

(٢) المفردات للراغب، ص: [٥٢٦]، وانظر: معانى القرآن للزجاج، جـ٤، ص: [٢٢٩]، وانظر: لسان العرب، جـ٥، ص: [٢٨٤].

(٣) تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٥٣٢].

(٤) المفردات للراغب، ص: [١١٢].

(٥) البداية والنهاية لابن كثير، جـ٤، ص: [١٤٥].

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، جـ٤، ص: [٣٠٧]، وأزواج النبي ﷺ للصالحي، ص: [٨١].

(٧) مروج الذهب للمسعودي، جـ٢، ص: [٢٩٥]، وأزواج النبي ﷺ للصالحي، ص: [٨١].

(٨) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، جـ٨، ص: [١٩٨].

(٩) المصدر السابق، جـ٣، ص: [٤٢] و جـ٨، ص: [٢٠٨] و ص: [٤٥]، وزاد المعاد لابن القيم، جـ١، ص: [١١٤]، والإصابة، جـ٤، ص: [٣٠٨].

عرض القصة

جاء من خبر زينب بنت جحش رضي الله عنها أن الله تعالى شرع بسببها حكماً جديداً خارجاً عمَّا ألفه الناس حيث إنها استجابت لأمر رسول الله ﷺ وقبلت النكاح بمولى من الموالي وهو زيد بن حارثة ﷺ مولى رسول الله ﷺ إلا أنه فيما بعد ساءت العشرة بينهما وكان زيد ﷺ يشكو منها إلى النبي ﷺ كما يفهم من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ـ ﴾ وكما جاء في الحديث أيضاً عن أنس ﷺ قال: جاء زيد ابن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول: ((**اتق الله وأمسك عليك زوجك**))[1].

وقال السدي[2]: " بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ ، فزوجها إياه، ثم أعلم الله ﷻ نبيه ﷺ بعدُ أنها من أزواجه ، فكان يستحيي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون بين الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه ، وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا: تزوج امرأة ابنه ، وكان قد تبنى زيداً[3] ، إلا أن زيداً ﷺ طابت نفسه منها ولم يبق له فيها

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم، جـ١٣، ص: [٤١٥].

(٢) وهي رواية ضعيفة لأن السدي لم يذكر من بلغه.

(٣) فتح الباري، جـ٨، ص: [٣٨٤].

حاجة فطلقها[1] ثم زوجها الله تعالى بعد ذلك نبيه ﷺ كما قال تعالى:
﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ ".

وقد جاء في السنة خبر خطبتها من النبي ﷺ فعن أنس ﷺ قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: ((فاذكرها عليَّ))[2] قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال: - فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها - أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي ، فقلت: يا زينب ، أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أُوَامر ربي[3]. فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن(٤) وأصبحت زينب رضي الله عنها إحدى زوجات سيد المرسلين وإحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها.

شبهة حول زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش والرد عليها

جاءت روايات مضمونها أن رسول الله ﷺ رأى زينب رضي الله عنها وهي في عصمة زيد ﷺ حينما انكشف الستار عن بابها فأحبها وقال: سبحان مقلب القلوب ، وأراد أن يطلقها زيد ليتزوجها[5] وقد اتخذ المستشرقون من تلك الروايات سبيلاً إلى الطعن في النبي ﷺ واعتبروه رجلاً شهوانياً لا همَّ له إلا إشباع رغبته الجنسية[6].

(١) انظر: تفسير الخازن، جـ٦، ص: [٢٦٣]، وتفسير النسفي، جـ٣، ص: [٦٧].
(٢) أي أخطبها. انظر: غريب الحديث لابن الجوزي، جـ١، ص: [٣٦٢].
(٣) أي أستخير. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، جـ٩، ص: [٢٢٨].
(٤) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش، جـ٢، ص: [١٠٤٨].
(٥) انظر: تفسير الطبري، جـ٢٢، ص: [١٢،١٣]، وتفسير الخازن، جـ٥، ص: [٢٦٦].
(٦) انظر: كتاب حياة محمد د. محمد حسين هيكل، ص: [٣١٦]، والسيرة النبوية د. محمد أبو شهبة، جـ٢، ص: [٢٩٩]، ومع المفسرين والمستشرقين د. زاهر الألمعي، ص: [٢٣].

الرد على هذه الشبهة

لا شك أن هذا الكلام باطل من أساسه وقد تصدى علماء الإسلام لهذه الفرية على النبي ﷺ قديماً وحديثاً وأذكر هاهنا بعض ما قالوه - رحمهم الله تعالى - تجاهها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم هاهنا آثاراً عن بعض السلف ﷺ أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها[1].

وقال الخازن رحمه الله تعالى: " هذا إقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي ﷺ وبفضله، وكيف يقال: رآها فأعجبته وهي ابنة عمته ، ولم يزل يراها منذ ولدت ، ولا كان النساء يحتجبن منه ﷺ ، وهو زوَّجها لزيد ، فلا يُشَك في تنزيه النبي ﷺ أن يأمر زيداً بإمساكها وهو يحب تطليقه إياها "[2].

وقال ابن حجر رحمه الله بعد إيراده الرواية التى فيها خطبة زيدٍ زينبَ للنبي ﷺ : " وهذا أيضاً ما وقع في ذلك وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهراً بغير رضاه، وفيه أيضاً اختبار ما كان عنده منها هل بقي منه شيء أم لا "[3].

وردَّ الشنقيطي رحمه الله على ذلك بدليلين:

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [٤٢٠].
(٢) تفسير الخازن، جـ٥، ص: [٢٦٦].
(٣) فتح الباري، جـ٨، ص: [٣٨٥].

الأول: قوله تعالى: ﴿ ... وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ... ﴾ وهذا الذي أبداه الله جلَّ وعلا هو زواجه إياها بقوله تعالى: ﴿ ... فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ... ﴾، ولم يبد جلَّ وعلا شيئاً مما زعموا أنه أحبها، ولو كان ذلك هو المراد لأبداه الله تعالى كما ترى.

والثاني: أن الله جلَّ وعلا صرَّح بأنه هو الذي زوجه إياها، وأن الحكمة في ذلك التزويج هي قطع تحريم أزواج الأدعياء، وكون الله ﷻ هو الذي زوَّجه إياها لهذه الحكمة العظيمة صريح في أن سبب زواجه ليس محبته لها الذي كان سبباً في طلاق زيد لها كما زعموا، ويوضحه قوله تعالى: ﴿ ... فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ... ﴾ وهذا يدل على أن زيداً قضى وطره منها، ولم تبق له بها حاجة، فطلقها باختياره[(١)].

وقال الصابوني: " ثم انظر إليهم وهم يقولون: إن الذي أخفاه محمد هو حبه لزينب، ولهذا عوتب. فهل يعقل مثل هذا البهتان؟ وهل يعاتب الشخص أنه لم يجاهر بحبه لامرأة جاره؟ سبحانك هذا بهتان عظيم"[(٢)].

وقال د. محمد أبو شهبة رحمه الله تعالى: " وقد اعتمد هؤلاء بطعونهم على بعض ما أطلعناك عليه من روايات مختلفة مدسوسة عند أئمة النقد وعلماء الرواية أغلب الظن أنها من صنع أسلافهم من اليهود والزنادقة من الفرس وغيرهم الذين عجزوا أن يقاوموا سلطان الإسلام

(١) أضواء البيان، جـ٦، ص: [٥٨٢ ، ٥٨٣]، وانظر: بدائع التفسير لابن القيم، جـ٣، ص: [٤٢٥ ، ٤٢٦].

(٢) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ، ص: [٤٩].

وقوته فلجأوا إلى الكذب والدس " إلى أن قال: " فلو كان كما يزعم المتخرِّصون تمتد عينه إلى كل من يهوى ويستحسن لتزوجها وهي بكر عذراء لا أن يسكت حتى يجني جناها ويقطف زهرتها رجل مولى له "[١].

فهذه النقولات كافية في درء تلك الشبهة المزعومة في حقه ﷺ[٢].

الأحكام المستفادة من القصة

١) إن الكفاءه في النكاح لا تعتبر بالأحساب وإنما تعتبر بالدين أخذاً من زواج زيد بن حارثة من زينب بنت جحش، وهي شريفة النسب وهو مولى[٣] وقد قال ﷺ: ((**إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه**))[٤].

٢) تحريم نكاح المرأة المتزوجة والسعي في ذلك وفي أسبابه حتى يقضي زوجها وطره منها وذلك بقضاء عدتها[٥] أخذاً من قوله: ﴿ ... فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا ... ﴾.

٣) إبطال أحكام التبني التى كانت في الجاهلية، ومن ذلك إباحة نكاح المتبني لزوجة متبناه ولو بعد دخوله بها[٦] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ ... فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا ... ﴾.

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، جـ٢، ص: [٣٠٠].

(٢) لقد أخذ بعض علماء المسلمين وكتّابهم يقررون تلك الروايات بل ويدافعون عنها أمثال الزمخشري في: الكشاف، جـ٢، ص: [٣٦٢]، وبنت الشاطئ في كتابها: تراجم سيدات بيت النبوة، ص: [٣٤١-٣٤٥]، والنقولات التى ذكرتها جلية في دحض تلك الشبهة لمن أنار الله بصيرته.

(٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي، جـ٣، ص: [١٥٤٠]، وتفسير القرطبي، جـ٤، ص: [١٨٧].

(٤) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب الأكفاء، جـ١، ص: [٦٣٢]، وسنن الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، جـ٣، ص: [٣٩٤]، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٤، ص: [١٥٦].

(٦) انظر: تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٥٣٢]، وأحكام القرآن للجصاص، جـ٣، ص: [٣٦١]، وأحكام القرآن للكيا الهرّاسي، جـ٤، ص: [٣٤٧].

٤) إن لفظ التزويج أحد ألفاظ عقد النكاح[١] أخذاً من قوله: ﴿ ـ زَوَّجْنَـٰكَهَا ـ ﴾.

٥) إثبات الولي في النكاح[٢] أخذاً من قوله: ﴿ ـ زَوَّجْنَـٰكَهَا ـ ﴾.

٦) إن الأمة مساوية للنبي ﷺ في الأحكام إلا ما خصه الدليل[٣] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ ـ زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ ـ ﴾.

٧) إثبات القياس في الأحكام أخذاً من بيان علة إباحة ذلك الحكم للنبي ﷺ وأن ذلك يقتضي إباحته للمؤمنين[٤].

٨) استحباب استخارة المرأة عند الخطبة قبل الإجابة، أخذاً من استخارة زينب رضي الله عنها[٥].

الدروس والعبر

١) إن في زواج زينب من زيد رضي الله عنهما بيانَ أنه لا فضل لأحدٍ على أحد في النسب وإنما يكون التفاضل في الدين[٦] قال تعالى: ﴿ ـ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ ـ ﴾[٧] وقال تعالى: ﴿ ـ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ـ ﴾[٨].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي، جـ٣٧، ص: [١٥٤٥]، والإكليل، ص: [٢١١].
(٢) تفسير القرطبي، جـ١٤، ص: [١٩٥].
(٣) أحكام القرآن للجصاص، جـ٣، ص: [٣٦١]، وأحكام القرآن للكيا الهرّاسي، جـ٤، ص: [٣٤٧].
(٤) المصادر السابقة.
(٥) انظر: فتح الباري، جـ٨، ص: [٣٨٥].
(٦) انظر: في ظلال القرآن، جـ٥، ص: [٢٨٦٥]، وكتاب رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا، جـ٩، ص: [١٢٣].
(٧) سورة النساء، الآية: [٢٥].
(٨) سورة الحجرات، الآية: [١٣].

٢) إن الإشارة بإمساك المرأة لمن استشار في طلاقها هو الأولى والأحسن مهما أمكن صلاح الحال[١] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ـ الآية ﴾ .

٣) إن المستشار مؤتمن فعليه أن يشير بما يظهر له أنه الأصلح للمستشير[٢] أخذاً من قوله: ﴿ ـ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ـ ﴾ .

٤) إن التقاليد الاجتماعية عميقة الأثر تحتاج في تغييرها إلى سوابق عملية تكون بداية في التغيير كما صنع النبي ﷺ من نكاح زينب بنت جحش رضي الله عنها بعد زيد ﷺ لإبطال التبني[٣].

٥) إن التعليم العملي أبلغ من التعليم القولي، أخذاً من زواج النبي ﷺ من زينب ليعلّم الأمة جواز ذلك[٤].

٦) الجرأة في الحق، أخذاً من جرأة النبي ﷺ في الحق، ومن ذلك مواجهته المجتمع بإبطال عادة التبني مع رسوخها عند الناس بزواجه من زينب رضي الله عنها امرأة متبناه سابقاً[٥].

٧) الأولى للرجل إذا طابت نفسه من امرأته ولم يستطع أن يقيم ما أمره الله تعالى في حقها أن يطلقها فإن تسريحها بإحسان أولى من إمساكها والإضرار بها، كما طلق زيد زينب لما طابت نفسه منها.

٨) استجابة المؤمن لأمر الله تعالى، أخذاً من قبول النبي ﷺ وزينب رضي الله عنها للنكاح الذي أراده الله تعالى في قوله: ﴿ ـ زَوَّجْنَٰكَهَا ـ ﴾ .

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٤، ص: [١٥٦].
(٢) المرجع السابق.
(٣) انظر: في ظلال القرآن، جـ٥، ص: [٢٨٦٨].
(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٤، ص: [١٥٥].
(٥) انظر: في ظلال القرآن، جـ٥، ص: [٢٨٦٤].

٩) إن قضاء الله نافذ، أخذاً من زواج النبي ﷺ من زينب رضي الله عنها قال ابن جرير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ .. وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ : " إنما يعني أن قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ كان ماضياً مفعولاً كائناً "(١).

١٠) خصوصية النبي ﷺ في بعض الأحكام، ومنها زواجه بزينب بلا ولي ولا شهود ولا تقرير صداق(٢).

١١) لا ينبغي للمؤمن أن يتحرَّج مما أحله الله تعالى له، أخذاً من قوله تعالى: ﴿ .. زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا .. ﴾.

١٢) إن النبي ﷺ هو القدوة للمؤمنين، أخذاً من قوله تعالى: ﴿ .. زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ .. ﴾ .

١٣) إن من وكَّل أمره إلى الله ﷻ يسَّر الله له ما هو الأحظ له والأنفع له دنيا وأخرى(٣)، أخذاً من استخارة زينب رضي الله عنها.

١٤) تسلية ومواساة من فقد شيئاً محبوباً لديه، أخذاً من تأنيس زيد بن حارثة بعدما فقد أُبوة محمد ﷺ بذكر اسمه في القرآن حتى صار اسمه قرآناً يتلى في المحاريب إلى يوم القيامة(٤).



---

(١) تفسير الطبري، جـ٢٢، ص: [١٤].
(٢) انظر: تفسير القرطبي، جـ١٤، ص: [١٩٣].
(٣) فتح الباري، جـ٨، ص: [٣٨٥].
(٤) تفسير القرطبي، جـ١٤، ص: [١٩٤].

المبحث العاشر:

قصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما

المدخل إلى القصة

الغيرة بين الزوجات طبع في نفوس النساء، فإن كل واحدة منهن تطمع إلى أن تكون أقرب إلى زوجها من الأخرى وأكرم به منها فنجدهن يتتبعن الأحداث ويستقصين الأخبار فيما يجري بين ضراتهن وزوجهن. وقد ذكر القرآن الكريم لنا قصة تحكي هذا الأمر عند النساء، وذلك هو ما حصل في بيوت النبي ﷺ بين نسائه.

وقد وردت هذه القصة في موضع واحدٍ من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ - وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَـٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ قَـٰنِتَـٰتٍ تَـٰٓئِبَـٰتٍ عَـٰبِدَٰتٍ سَـٰٓئِحَـٰتٍ ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة التحريم، الآية: [١ ، ٣ – ٥].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ : أطلعه على المنبأ به[1].

﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ : أي: زاغت و مالت عن الحق[2].

﴿ تَظَٰهَرَا ﴾ : بتخفيف الظاء أي: تعاونا على النبي ﷺ بالإيذاء[3].

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ ﴾ : أي وليه في العون والنصرة[4].

﴿ قَٰنِتَٰتٍ ﴾ : القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع[5].

﴿ سَٰٓئِحَٰتٍ ﴾ : قال بعض المفسرين: المراد صائمات، وقال آخرون: مهاجرات[6].

التعريف بنساء القصة

كانت هذه القصة بين النبي ﷺ وبعض أزواجه: عائشة[7] وحفصة وزينب بنت جحش[8] وأم ولده مارية رضي الله عنهن، فأما عائشة وزينب بنت جحش رضي الله عنهما فقد تقدم الكلام عليهما، وأما حفصة فهي ابنة عمر بن الخطاب كانت قبل أن يتزوجها النبي ﷺ عند خنيس بن حذافة السهمي ، فهاجر بها إلى المدينة، وكان ممن شهد بدراً ومات بالمدينة ، فتزوجها الرسول ﷺ على رأس ثلاثين شهراً من مهاجره، توفيت حفصة

---

(١) تفسير الجلالين، ص: [٧٤٥ ، ٧٤٦].

(٢) تفسير البغوي، جـ٤، ص: [٣٦٤]، وتفسير القرطبي، جـ١٨، ص: [١٨٨]، ومعاني القرآن للزجاج، جـ٥، ص: [١٩٣].

(٣) زاد المسير لابن الجوزي، جـ٨، ص: [٣١٠].

(٤) زاد المسير لابن الجوزي، جـ٨، ص: [٣١٠].

(٥) المفردات للراغب، ص: [٤١٣]، وانظر: تفسير الطبري، جـ٢٨، ص: [١٦٤].

(٦) تفسير الطبري، جـ٢٨، ص: [١٦٤].

(٧) تقدمت ترجمتها، ص: [١٨٩].

(٨) تقدمت ترجمتها، ص: [٢٠٧].

رضي الله عنها في شعبان سنة خمس وأربعين وقيل سنة إحدى وأربعين بالمدينة، وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة آنذاك[1] . وأما مارية القبطية فهي أم ولد رسول الله ﷺ أهداها إليه المقوقس صاحب الإسكندرية في سنة سبع من الهجرة، أسلمت وأنجبت له إبراهيم في شهر ذي الحجة في السنة الثامنة من الهجرة، وتوفيت في محرم سنة ست عشرة من الهجرة، صلى عليها عمر ؓ وعنها، ودفنت بالبقيع[2].

عرض القصة

كانت تلك القصة بين النبي ﷺ وبعض أزواجه؛ فإن المراد بالأزواج في قوله تعالى: ﴿ ... تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ... ﴾ جنس النساء[3] والمعني بذلك عائشة وحفصة ، وذلك أن النبي ﷺ حرم على نفسه العسل أو مارية مبتغياً بذلك رضا زوجاته كما جاءت بذلك السنة:

فعن عائشة رضي الله عنها ((أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب ابنة جحش ويشرب عندها عسلاً، فتواصيت أنا وحفصة أنّ أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني لأجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير[4] فدخل على إحداهما فقالت له ذلك - فقال: لا بأس، شربت عسلاً عند زينب بنت

---

(١) تاريخ الطبري، جـ٢، ص: [٢١٣]، والاستيعاب، جـ٤، ص: [٢٦٠]، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، جـ٤، ص: [٢٦٥،٢٦٤]، وكتاب أزواج النبي ﷺ للصالحي، ص: [١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٤]، وصفة الصفوة لابن الجوزي، جـ٢، ص: [٣٩].

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، جـ٤، ص: [٣٩١].

(٣) انظر: روح المعاني للألوسي، جـ٢٨، ص: [١٤٧].

(٤) صمغ شبيه بالناطف ينضحه العُرفط ((الطلح)) فيوضع في ثوب ثم ينضح بالماء فيشرب. لسان العرب، جـ٥، ص: [٢٨]، والنهاية في غريب الحديث والأثر، جـ٣، ص: [٢١٨].

جحش، ولن أعود له - فنزلت: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ... إلى - إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ ... ﴾ لعائشة وحفصة))[1].

وعن أنس ((أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرَّمها على نفسه فأنزل الله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ... ﴾))[2].

وقد رجح الشوكاني في تفسيره القول بأن الآية نزلت في السببين كليهما وهما تحريمه ﷺ العسل، وتحريمه مارية[3].

وقد أسرَّ النبي ﷺ ذلك الأمر بينه وبين حفصة ولكنها أباحت به إلى عائشة رضي الله عنها، فلما فعلت ذلك أعلم العليم الخبير نبيه بإفشائها ذلك السر، فعرَّف النبي ﷺ حفصة بعضه، بمعنى أعلم إعلام معاتبة، وأعرض عن بعض غض عنه إحساناً وتكرماً، فلم يخبرها أنه علم بإخبارها عائشة بما أسره إليها.

أو عَرَف بالتخفيف على القراءة الثانية وهي للكسائي بمعنى جازى، فيكون إشارةً إلى ذلك القدر من المعاتبة أو إلى غيره[4]. ثم سألته حفصة من أنبأك هذا؟ قال: نبأني العليم الخبير.

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الطلاق، باب لم تحرم ما أحل الله لك، جـ٩، ص: [٢٨٧]، وصحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق، جـ٢، ص: [١١٠٠].

(٢) سنن النسائي، كتاب عشرة النساء، باب الغيرة، جـ٧، ص: [٧١]، والمستدرك للحاكم، جـ٢، ص: [٤٩٣]، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه.

(٣) انظر: فتح القدير، جـ٥، ص: [٢٥٢].

(٤) إبراز المعاني من حرز الأماني بتصرف، جـ٤، ص: [٢١٢]، وانظر: تفسير الفخر الرازي، جـ٣٠، ص: [٤٣]، وانظر: النشر في القراءات العشر، جـ٢، ص: [٣٨٨]، وإتحاف فضلاء البشر، ص: [٤١٩].

وقد أخبر الله تعالى أن ما حصل من حفصة وعائشة من التظاهر والتعاون على إيذاء الرسول ﷺ ميل عن الحق، ودعاهما إلى التوبة من ذلك، وأنه إن تكرر منهما مثل ذلك فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير، وفي هذا من التحذير العظيم لهما ما لا يخفى[1]، ثم خوفهما أيضاً بحالةٍ تشق على النساء غاية المشقة وهو الطلاق الذي هو أكبر شيء عليهن[2]، قال الله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ الآية .

الأحكام المستفادة من القصة

1) إن من حرَّم على نفسه أمةً أو طعاماً أو زوجةً لم تحرم عليه وتلزمه كفارة يمين[3] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ وقال بعدها: ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾ ، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا حرَّم عليه امرأته فهي يمين يكفرها وقال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[4][5].

2) وجوب كتم السر[6] أخذاً من عتاب النبي ﷺ لحفصة رضي الله عنها على إفشائها السرّ.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن للسعدي بتصرف، جـ٥، ص: [٢٦٩].
(2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي بتصرف، جـ٥، ص: [٢٦٩].
(3) الإكليل، ص: [٢٦٩]، وانظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٥، ص: [٢٦٧]، وقد ذكر القرطبي في المسألة ثمانية عشر قولاً، انظر: تفسير القرطبي، جـ١٨، ص: [١٨٠-١٨٣].
(4) سورة الأحزاب، الآية: [٢١].
(5) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق، جـ٢، ص: [١١٠٠].
(6) الإكليل، ص: [٢٦٩]، وروح المعاني للألوسي، جـ٢٨، ص: [١٥١].

٣) لا بأس بإسرار الحديث إلى من يركن إليه من زوجةٍ أو صديق[١] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾.

٤) تغليظ حرمة إيذائه ﷺ أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[٢].

الدروس والعبر

١) إن التشريع الإسلامي لا مدخل فيه للأغراض الشخصية[٣] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ﴾.

٢) إن الغيرة بين الزوجات ليست مما تجب مراعاته في المعاشرة، إن كانت فيما لا هضم فيه لحقوقهن، ولا هي من إكرام إحداهن لزوجها إن كانت الأخرى لم تتمكن من إكرامه في بعض الأيام، وهذا يومئ إلى ضبط ما يراعى من الغيرة وما لا يراعى[٤].

٣) قد يقع في بيت النبي ﷺ أمورٌ تعكر صفو الحياة الزوجية وتكون سبباً في تشريعٍ عامٍ للأمة[٥]، مثل مشروعية كفارة اليمين بسبب التحريم الذي وقع منه ﷺ.

---

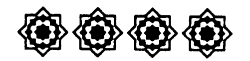
(١) انظر: الإكليل، ص: [٢٦٩]، وروح المعاني للألوسي، جـ٢٨، ص: [١٥١].
(٢) سورة الأحزاب، الآية: [٥٧].
(٣) أضواء البيان، جـ٨، ص: [٣٧٣].
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور بتصرف يسير، جـ٢٨، ص: [٣٤٦].
(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٥، ص: [٢٦٧]، والسيرة النبوية لأبي شهبة، جـ٢، ص: [٦٢٥].

٤) حسن العشرة مع الزوجات والتلطف في عتابهن والإعراض عن استقصاء الذنب[١] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ ... عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ... ﴾ ، قال سفيان: ما زال التغافل من فعل الكرام[٢]، وقال الحسن: " ما استقصى كريم قط "[٣].

٥) خطورة إفشاء أحد الزوجين سر صاحبه على الحياة الزوجية أخذاً من تحريم النبي ﷺ على نفسه ما يحب، وعرض الله تعالى على حفصة وعائشة التوبة لكونهما سبباً في ذلك التحريم[٤].

٦) عظم كيد النساء وضعف الرجال أمامهن[٥] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ ... وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ ، وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾[٦].

٧) التثبت من الأمور وعدم الأخذ بالظن[٧] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ... ﴾ .



(١) الإكليل، ص: [٢٦٩]، وروح المعانى للألوسي، جـ٢٨، ص: [١٥١].
(٢) تفسير النسفي، جـ٣، ص: [٥٥٠]، وتفسير القاسمي، جـ١٦، ص: [٥٨٦٢].
(٣) حسن الأسوة لمحمد صديق خان، ص: [٢٤٠].
(٤) إيجاز البيان في سور القرآن للصابوني، ص: [٢٤٩]، وانظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٥، ص: [٢٦٨].
(٥) أضواء البيان، جـ٨، ص: [٣٧٧].
(٦) سورة يوسف، الآية: [٢٨].
(٧) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ٨، ص: [٢٩٠].

المبحث الحادي عشر:

قصة المجادلة

المدخل إلى القصة

كانت المرأة في الجاهلية تلاقي ألواناً من العنت والشقاء، ومن ذلك ما كان من وأد البنات وعضل النساء ظلماً وعدواناً وتعليقهن بالطلاق الذي لم يكن له حد، وغير ذلك.

ولما بُعث النبي ﷺ أنزل الله عليه القرآن ليفرّق بين الحق والباطل، ويُنصف المظلوم من الظالم، ولمّا كانت المرأة مظلومة في الجاهلية انتصر لها العليم الخبير الرؤوف الرحيم فجعل لها فرجاً و مخرجاً، ومن ذلك ما نزل في شأن امرأة أوس بن الصامت رضي الله عنهما.

وقد وردت قصتها في موضع واحد من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[1].

معاني مفردات آية القصة

﴿ تُجَٰدِلُكَ ﴾: تخاصمك وتحاورك وتراجعك في زوجها[2].

---

(١) سورة المجادلة، الآية: [١].

(٢) تفسير البغوي، جـ٤، ص: [٣٠].

﴿ وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ : عطف على تجادلك ، أي تتضرع إليه تعالى، وقيل: حال من فاعله أي تجادلك وهي متضرعة إليه تعالى[1].

﴿ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾ : جاء الفعل بصيغة المضارع لاستحضار حالة مقارنة علم الله لتحاورهما وزيادة في التنويه بشأن ذلك التحاور، وتحاوركما أي: مراجعتكما الكلام[2].

التعريف بالمرأة

ثبت اسمها في سبب النزول الذي سيأتي ذكره ، فهي خولة بنت ثعلبة بن أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غنم بن عوف الأنصارية، وهي امرأة أوس بن الصامت الأنصاري[3]، وقد كان لمعرفة اسمها مزيَّة؛ لأن القرآن الكريم سطَّر لنا قضيتها، وسُمِّيت السورة بسورة المجادلة لمجادلتها رسول الله ﷺ[4]، وفي إيراد قصتها في القرآن شرف لها فرضي الله عنها.

عرض القصة

يقص لنا القرآن الكريم خبر خولة الأنصارية رضي الله عنها و مجيئها إلى رسول الله ﷺ ترفع أمرها إليه عندما ظاهر منها زوجها على كبر سنها وطول عشرتها وإنجابها له الولد وتشكو حالها إلى الله ﷻ. وقد جاء بيان ذلك في سبب نزول الآية النازلة في شأنها.

---

(١) تفسير أبي السعود، جـ٨، ص: [٢١٥].
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور، جـ٢٨، ص: [٩]، وانظر: تفسير البغوي، جـ٤، ص: [٣٠٤].
(٣) انظر: الطبقات الكبرى، جـ٨، ص: [٥٤٧]، وتفسير الطبري، جـ٢٨، ص: [١]، والاستيعاب، جـ٤، ص: [٢٨٢]، والإصابة، جـ٤، ص: [٢٨٢].
(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز، ص: [٤٥٦].

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ ، وهي تقول : يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني[1] حتى إذا كبرت سني وانقطع له ولدي ظاهر مني[2]، اللهم إني أشكو إليك، قالت عائشة: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾[3].

فاستجاب الله تعالى شكواها ، وجعل لها فرجاً بما شرعه للزوج من كفارة الظهار لتعود إلى عِشرة زوجها كما كانت معه.

الأحكام المستفادة من القصة

1) جواز المجادلة في طلب قصد الحق وإظهاره[4] لقوله: ﴿ تُجَٰدِلُكَ ﴾.

2) جواز شكاية المرأة زوجها إلى الحاكم إذا أضرَّ بها وظلمها في حقها لقوله: ﴿ تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾.

3) جواز خروج المرأة من بيتها للحاجة، فقد خرجت خولة لعرض أمرها على النبي ﷺ وأقرها ﷺ على ذلك بسكوته عن خروجها.

---

(١) أرادت أنها كانت شابة تلد الأولاد عنده، وامرأة نثور كثيرة الولد. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ٥، ص: [١٥].

(٢) الظهار أن يقول الرجل لامرأته : أنتِ عليَّ كظهر أمي. المفردات للراغب، ص: [٣١٨]، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ٣، ص: [١٦٥].

(٣) المستدرك للحاكم، جـ٢، ص: [٤٨١]، وقال الحاكم صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي، ومسند الإمام أحمد، جـ٦، ص: [٤٦]، وأسباب النزول للواحدي، ص: [٤٧١]، ولباب النقول للسيوطي، ص: [٢٠٦]، ورواه البخاري تعليقاً وليس فيه قصة خولة، صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التوحيد، باب { وكان الله سميعاً بصيراً }، جـ١٣، ص: [٣٨٥].

(٤) أحكام القرآن لابن العربي، جـ٤، ص: [١٧٤٦].

٤) جواز مخاطبة المرأة للرجل الأجنبي للحاجة ويؤخذ من قوله تعالى: ﴿ ... تُجَٰدِلُكَ ... ﴾ ، ولم يوجه إليها لوم في مخاطبتها النبي ﷺ.

٥) الترغيب في الشكوى إلى الله تعالى ويؤخذ من قوله: ﴿ ... وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ... ﴾ وختم الآية بقوله: ﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ فهو يعني: سميع لما تناجيه وتتضرع إليه، بصير بمن يشكو إليه، وفي ذلك الإشارة بأن الله سيزيل شكواها وبلواها[1] وكما قال تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿ ... إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

٦) وجوب الكفارة على من ظاهر من زوجته قبل المسيس، وهو الحكم الذي بيَّنه الله تعالى في قضية خولة رضي الله عنها في الآية الثالثة من السورة نفسها وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[3].

الدروس والعبر

١) ينبغي للمؤمن أن يبحث عن مخرج إذا وقع في أمرٍ لا يعرف كيفية الخلاص منه، وذلك بسؤال أهل العلم كما صنعت خولة رضي الله عنها وقوله تعالى: ﴿ ... فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[4].

---

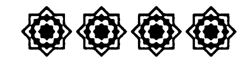
(١) تفسير البغوي، جـ٤، ص: [٣٠٤]، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٥، ص: [١٨٩].
(٢) سورة يوسف، الآية: [٨٦].
(٣) سورة المجادلة، الآية: [٣].
(٤) سورة النحل، الآية: [٤٣].

٢) رعاية الله تعالى وتربيته للجماعة المسلمة في مختلف أمور الحياة[١] والآية مثال على ذلك.

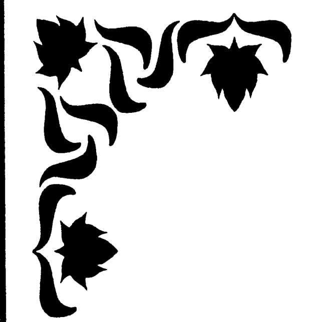
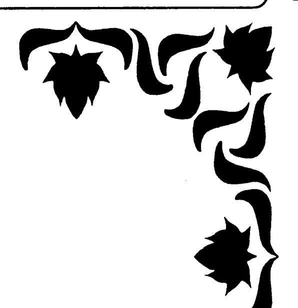
٣) إجابة الله تعالى لأوليائه وتفريج كروبهم وقضاء حوائجهم[٢] كما استجاب لخولة رضي الله عنها.

٤) إن من توكل على الله وشكى همه إليه تعالى كفاه الله ذلك الهم[٣] كما فرَّج عن خولة رضي الله عنها همها.

٥) إحاطة علم الله تعالى بخلقه وسمعه لأقوالهم ورؤيته لأعمالهم ويؤخذ هذا من قوله: ﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ .

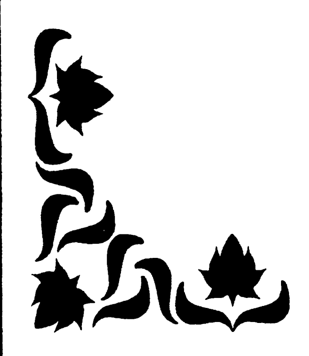
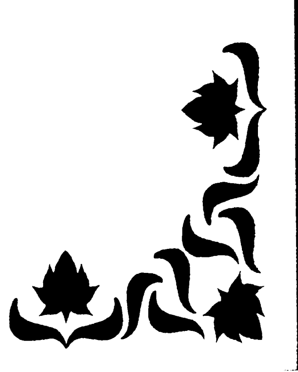


(١) انظر: في ظلال القرآن، جـ٦، ص: [٣٥٠٣].
(٢) انظر: في ظلال القرآن، جـ٦، ص: [٣٥٠٥]، وأيسر التفاسير للجزائري، جـ٤، ص: [٤٢٦].
(٣) انظر: تفسير الفخر الرازي،جـ٢٩، ص: [٢٥١].

الفصل الثالث

قصص
الأخوات والبنات



المبحث الأول :

قصة أخت موسى عليه السلام

المدخل إلى القصة

لقد كان لأخوي موسى عليه السلام يدٌ بيضاء عليه في حال صغره وكبره، فأما في صغره فما صنعته أخته في سبيل المحافظة عليه وإرجاعه لأمه، وأما في كبره فبوزارة أخيه هارون قال تعالى: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾[1] وذلك استجابة لدعوة موسى عليه السلام حيث قال: ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴾[2]، والذي يعنينا في هذا البحث هو ذكر قصة أخته وما صنعته مع أخيها عليه السلام.

وقد جاء ذكرها في موضعين من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَـٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَـٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴾[3].

---

(١) سورة القصص، الآية: [٣٥].

(٢) سورة طه، الآية: [٢٩-٣٢].

(٣) سورة طه، الآية: [٤٠].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾[1].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ قُصِّيهِ ﴾: أي اتبعي أثره[2].

﴿ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ ﴾: الفاء فصيحة أي قصت أثره فبصرت به[3].

﴿ عَن جُنُبٍ ﴾: أي جانب ومعنى بصرت به عن جنب: أي نظرت إليه عن بُعد مزورَّة متجانفة مخاتلة[4].

﴿ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ ﴾: أي يضمونه لكم ويرضعونه[5].

﴿ نَٰصِحُونَ ﴾: النصح تحرِّي فعلٍ أو قولٍ فيه صلاح صاحبه[6].

التعريف بالمرأة

لم يثبت اسم أخت موسى فيما أعلم وإنما ذكر العلماء أن اسمها: مريم وقيل: كلثوم، وليس في تعيين اسمها فائدة[7].

---

(١) سورة القصص، الآية: [١١ ، ١٢].
(٢) تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٣٨]، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ص: [٣٢٩].
(٣) روح المعاني للألوسي، جـ٢٠، ص: [٥٠].
(٤) تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٣٩]، والكشاف، جـ٣، ص: [١٦٧].
(٥) تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٣٧]، وتفسير الخازن، جـ٥، ص: [١٦٦].
(٦) المفردات للراغب، ص: [٤٩٤].
(٧) انظر: تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٢١٧]، وتفسير القرطبي، جـ١١، ص: [١٩٧].

عرض القصة

ذكر الله تعالى قصة أخت موسى عليه السلام مرة على سبيل الامتنان على موسى عليه السلام وتذكيره بنِعَم الله عليه، وذلك في سورة طه، ومرة للنبي ﷺ وأُمته للاعتبار، وذلك في سورة القصص.

فذكر الله تعالى لنا عنها أنها استجابت لأمر والدتها بالتقصِّي عن أخيها بعدما ألقته أمه في اليم، فانطلقت مباشرة تتتبع أثره وهي شاعِرة بِعِظَم المسؤولية وخطورة الأمر الذي ستقوم به، فأخذت ترقب أخاها عليه السلام عن بُعدٍ بفطنة وذكاء وحرص متخفية من الأعداء؛ كي لا يشُكّوا في أمرها وفي صلتها به ﴿ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ أنها ترقبه، ولا يشعرون أنها أخته(1). ولما رأت حيرتهم فيه عندما امتنع عن الرضاعة من أي امرأة بقضاء الله تعالى دخلت وعرضت عليهم حلاً لما هم فيه بقولها: هل أدلكم على من يكفله؟ فتكلمت بكلام لا ريبة فيه ولا تهمة[2].

فأما قولها: ﴿ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ ﴾ ففيه حثٌّ وتحضيض، وقولها: ﴿ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٍ ﴾ إشارة إلى أن المراد بامرأة من أهل الشرف تليق بخدمة الملوك فتلك المرأة حريَّة بكفالته والقيام على إرضاعه وتربيته دون تقصير[3].

فسرعان ما استجابوا لها، ورد الله تعالى موسى إلى أمه كما وعدها قال تعالى: ﴿ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ ﴾[4].

---

(١) انظر: تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٤٠]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٣٧]، وتفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [٢٣٣]، ومع قصص السابقين في القرآن لصلاح الخالدي، ص: [٧٥].

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، جـ١، ص: [٢٤٠]، ومع قصص السابقين في القرآن لصلاح الخالدي، ص: [٧٨].

(٣) تفسير أبي السعود، جـ٧، ص: [٥]، وروح المعاني للألوسي، جـ٢٠، ص: [٥٠].

(٤) سورة القصص، الآية: [١٣].

فكان لهذه الأخت الشفيقة الناصحة بالغ الإحسان على أخيها عليه الصلاة والسلام، وعلى أمها في رد موسى إليها وزوال الحزن عنها برؤيته وحضانته.

الإسرائيليات

ورد في القصة أخبار إسرائيلية أُجملها في ما يأتي:

روى الطبري عن مجاهد أنها كانت تمشي على حافة النهر وهو يجري بموسى عليه السلام في تابوته تنظر إليه تارة وإلى الناس تارة[1].

وروى أيضاً عن ابن جريج أنها لما قالت لجنود فرعون: ﴿ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ قالوا: قد عرفَتْه فقالت: إنما أردت: هم للملك ناصحون، وتقصد بذلك حرصهم على مسرة الملك ويرغبون في ظئره[2][3].

وذكر البغوي عن ابن جريج والسدي أنها لما قالت: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ ﴾ قالوا لها من؟ قالت: أمي، وقالوا: ولأمك ابن، قالت: نعم هارون وُلِد في سنة لا يُقتل فيها الولدان، قالوا: صدقت. فانطلقت إلى أمها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت إليهم بأمه[4].

---

(١) تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٣٩].

(٢) أي حضانته. انظر: المصباح المنير، ص: [٣٨٨].

(٣) تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٣٨]، وتفسير الطبري، جـ١٦، ص: [١٦٣] و جـ٢٠، ص: [٤١]، وتفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٥٧]، والكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ١، ص: [٩٧].

(٤) تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٣٨]، وزاد المسير لابن الجوزي، جـ٦، ص: [٢٠٦].

نقد الإسرائيليات

من هذه الروايات ما هو ثابت، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأمَّا ما جاء من صفة تتبعها لأخيها فقد ذكر القرآن شيئاً من ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ وكذلك عرضها عليهم من يصلح لإرضاعه وهذا في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾.

وأمَّا قولها أنها أرادت بكلامها هم للملك ناصحون فهذا لا بأس فيه فإنه كذب على العدو.

قال ابن شهاب: ولم أسمع يُرَخَّصُ في شيءٍ مما يقول الناس كَذِب إلا في ثلاث: ((الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها))[1].

وأمَّا ما سوى ذلك من الأخبار فلا أعلم ما يثبته أو ينفيه من الدليل فلا حرج في ذكره والله تعالى أعلم

الأحكام المستفادة من القصة

1) جواز خروج المرأة في حوائجها وتكليمها للرجال إذا انتفى المحذور[2] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ

---

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه، جـ٤، ص: [٢٠١١].

(2) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٣١].

أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾ والأصل بقاء المرأة في بيتها لقوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾[1].

٢) ينبغي الأخذ بأنجع الأساليب في التعامل مع الأعداء وأفضلها وذلك بأخذ الحيطة والحذر والفطنة وكتمان الأسرار عن الأعداء[2] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ وقوله: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ ﴾ وقوله: ﴿ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾[3] ولم تُظهر لهم أنها أخته.

٣) مشروعية الكفالة[4]، أخذاً من قوله تعالى: ﴿ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ ﴾.

الدروس والعبر

١) شدة محبة الأخت لأخيها وحرصها عليه، ويؤخذ من التصريح في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ ﴾[5].

٢) سرعة الاستجابة للوالد، أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ ﴾ فإن الفاء تفيد الترتيب والتعقيب[6] وذلك في الفعل المقدَّر في الآية: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ فقصته.

٣) فضل نعمة البصر إذ كان هو السلاح في البحث عن موسى عليه السلام حيث قال تعالى: ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِۦ ﴾.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: [٣٣].
(٢) مع قصص السابقين في القرآن لصلاح الخالدي بتصرف، ص: [٩٠].
(٣) سورة النساء، الآية: [١٠٢].
(٤) الإكليل، ص: [١٧٦].
(٥) انظر: تفسير أبي السعود، جـ٧، ص: [٥].
(٦) شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، ص: [٣١٤].

٤) إن الذكاء ليس خاصاً بالرجال ، وقد كان من النساء ذكيات[١]، أخذاً من أسلوب أخت موسى في البحث عنه في قوله تعالى: ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ ﴾ وقوله تعالى عنها إنها قالت: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾.

٥) إن من النساء من تستطيع القيام بأمورٍ صعبة في حدود الشرع كما صنعت أخت موسى عليه السلام مع أخيها.



(١) انظر: أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٣٨٧].

المبحث الثاني :

قصة ابنتي صالح مدين

المدخل إلى القصة

المرأة الصالحة تتميز عن غيرها من النساء؛ فهي ذات عفةٍ وحياءٍ تستتر بحجابها عن الرجال الأجانب ولا تخالطهم إلا لحاجة، ولو خالطت الرجال وهي في حاجة إلى ذلك فإنها لا تزاحمهم[1] وهكذا يربي الإسلام المؤمنة على هذه الصفات.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ـ الآية ﴾[2] ، وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ـ الآية ﴾[3] وقال ﷺ: ((خير مساجد النساء قعر بيوتهن))[4] وقال ﷺ: ((خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها))[5].

---

(١) انظر: أحكام النساء لابن الجوزي، ص: [٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٣].
(٢) سورة الأحزاب، الآية: [٥٩].
(٣) سورة النور، الآية: [٣١].
(٤) المستدرك للحاكم، جـ١، ص: [٢٠٩] صححه الحاكم وسكت عنه الذهبي.
(٥) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها، جـ١، ص: [٣٢٦].

وعن عائشة أنها قالت: ((كان رسول الله ﷺ يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات بمروطهن[1] ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد))[2].

وقد أورد القرآن الكريم قصة امرأتين كانتا في الأمم السالفة واتصفتا بتلك الصفات الحميدة.

وقد وردت تلك القصة في موضع واحد من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ۝٢٦ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[3].

---

(١) أي: متلففات بأكسيتهن. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، جـ٤، ص: [٢٦١ ، ٣١٩].

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب انتظار الناس قيام الإمام العالم، جـ٢، ص: [٤٠٦]، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب التبكير بالصبح في أول وقتها، جـ١، ص: [٤٤٦].

(٣) سورة القصص، الآية: [٢٣- ٢٧].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ : ماءهم الذي يستقون منه، وذكر أنه كان بئراً[1].

﴿ مِن دُونِهِمُ ﴾ : في مكان أسفل من مكانهم[2].

﴿ تَذُودَانِ ﴾ تحبسان غنمهما[3].

﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ : ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس[4]؟، وحقيقته ما مخطوبكما أي: مطلوبكما من النياد[5].

﴿ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾ : فيه قراءتان: الأولى : يُصدِر بضم الياء وكسر الدال وهي قراءة نافع وابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بمعنى ترد الرعاء مواشيهم، الثانية : يَصدُر بفتح الياء وضم الدال وهي قراءة أبي جعفر وابن عامر وأبي عمرو، ومعناه حتى يرجع الرعاء بمواشيهم[6]، والرعاء: جمع راعٍ[7].

﴿ عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ : حال بمعنى مستحية شديدة الحياء[8].

﴿ لِيَجْزِيَكَ ﴾ : ليثيبك[9].

---

(١) انظر: الكشاف، جـ٣، ص: [١٧٠].
(٢) الكشاف، جـ٣، ص: [١٧٠].
(٣) تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٥٥]، وتفسير البغوي، جـ٥، ص: [٤٤١].
(٤) تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٥٦]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٤١].
(٥) الكشاف، جـ٣، ص: [١٧٠].
(٦) النشر في القراءات العشر، جـ٢، ص: [٣٤١]، وإتحاف فضلاء البشر، ص: [٣٤٢]، وإبراز المعاني، جـ٤، ص: [٦٨].
(٧) تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٥٧].
(٨) انظر: الكشاف، جـ٣، ص: [١٧٠]، وتفسير أبي السعود، جـ٧، ص: [٩]، والدر المصون للسمين الحلبي، جـ٨، ص: [٦٦٤].
(٩) تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٦١].

التعريف بالمرأتين

لم يثبت اسم هاتين المرأتين ولا اسم أبيهما وإنما ذكر أهل التاريخ أن اسم احداهما صفوريا والأخرى ليًّا[1] وقيل سرفا[2].

وأما عن اسم أبيها فقيل: يترون وقيل: يثري وقيل: شعيب وقيل بيرون ابن أخي شعيب[3] والمشهور أنه شعيب عليه السلام[4].

قال القرطبي رحمه الله: " وأكثر الناس على أنهما ابنتا شعيب عليه السلام، وهو ظاهر القرآن[5]. قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾[6] ".

وأمَّا أبو جعفر الطبري - رحمه الله - فقال: " وهذا مما لا يُدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته، ولا قول في ذلك أولى بالصواب "[7].

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: " وقال آخرون كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة؛ لأنه قال لقومه: ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾[8].

---

(١) المنتظم لابن الجوزي، جـ١، ص: [٣٣٦]، والتعريف والإعلام للسهيلي، ص: [١٣٢].
(٢) تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٦٢].
(٣) المصدر السابق، جـ٢٠، ص: [٦٢]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٤١].
(٤) تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٧٠]، وتفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [٢٣٨]، وتاريخ اليعقوبي، جـ١، ص: [٣٤]، ومروج الذهب للمسعودي، جـ١، ص: [٤٩].
(٥) تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٧٠].
(٦) سورة الأعراف، الآية: [٨٥].
(٧) تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٦٢].
(٨) سورة هود، الآية: [٨٩].

وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص القرآن، وقد علم أنه بين موسى والخليل عليه السلام مدةً طويلة تزيد على أربعمائة سنة كما ذكره غير واحد، وما قيل إن شعيباً عاش مدةً طويلة إنما هو والله أعلم احتراز من هذا الإشكال. ثم من المقوي لكونه ليس شعيباً أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن ها هنا "[1].

وقد اتبع سيد قطب رحمه الله القول بترجيح أن أبا المرأتين ليس شعيباً وإنما هو شيخ من مدين حيث قال: " والذي يحمل على هذا الترجيح أن هذا الرجل شيخ كبير، وشعيب شهد مهلك قومه المكذبين له ولم يبق إلا المؤمنون به، فلو كان هو شعيب - النبي - بين بقية قومه المؤمنين ما سقوا قبل بنتي نبيهم، فليس هذا سلوك قوم مؤمنين، ولا معاملتهم لنبيهم وبناته من أول جيل[2] ".

فالقول بأن أبا المرأتين ليس شعيباً عليه السلام هو الراجح للوجوه التي ذكرها ابن جرير وابن كثير وسيد قطب رحمهم الله تعالى، ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ ﴾[3] وذلك بعد ذكر قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب.

وقول القرطبي - رحمه الله - فإنه ليس بالقوي لأنه لا يعني كون شعيب عليه السلام كان بمدين أنه هو صاحب هذه القصة، وليس ما قاله من تفسير القرآن بالقرآن كما ذكر رحمه الله فإنه قد كان بمدين غير شعيب عليه السلام من المؤمنين من أتباعه والله تعالى أعلم.

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ٢، ص: [٢٣٨].
(٢) في ظلال القرآن، جـ٥، ص: [٢٦٨٧].
(٣) سورة الأعراف، الآية: [١٠٣].

عرض القصة

كان بمدين أسرة صالحة اتصفت بالبر والإحسان والعفة والحياء ومما قص لنا القرآن الكريم من أخبار تلك الأسرة أنه كان منها بنتان تسقيان الغنم عن أبيهما الشيخ الضعيف إذ ليس له معين سواهما[1] وقد كانت البنتان في سقيهما غنمهما لا تزاحمان الرجال الذين يسقون بهائمهم بل إنهما تنتظران انصراف الرعاء ببهائمهم فتسقيان غنمهما مما فضل من الماء بعدهم[2].

وفي أحد الأيام رآهما نبي الله موسى عليه السلام حينما ورد ماء مدين ورأى حالهما فسألهما عن حاجتهما فأخبرتاه وبيَّنتا له سبب قيامهما بسقي الغنم وهو كون أبيهما شيخاً كبيراً فبادر عليه السلام بمساعدتهما فسقى لهما ماشيتهما[3] فرجعتا إلى أبيهما سريعاً على خلاف العادة، فأخبرتا أباهما خبر ذلك الرجل الذي سقى لهما.

فرأى ذلك الشيخ أن يدعوه ويكافئه على حسن صنيعه، فبعث إحداهما لتدعوه إليه. وهذا الكلام لم تنص عليه سياق الآيات وإنما يُفهم من سياق القصة[4]، فاستجابت البنت لأمر أبيها، فجاءت موسى عليه السلام مستحية تمشي مشية الحرة مشية من لم تعتد الدخول والخروج[5].

---

(١) تفسير الفخر الرازي، جـ٢٤، ص: [٢٤٠].

(٢) انظر: تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٥٧]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٤١]، والبداية والنهاية لابن كثير، جـ١، ص: [٣٠٢]، والمنتظم لابن الجوزي، جـ١، ص: [٣٥٣]، والكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ١، ص: [٩٩].

(٣) مع الأنبياء في القرآن لعفيف طباره، ص: [٢٢٣]، وانظر: تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٥٧].

(٤) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [١١٤]، وتفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [٢٣٨].

(٥) معاني القرآن للزجاج، جـ٤، ص: [١٤١]، وتفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [٢٣٨].

قال عمر بن الخطاب ﷺ: " جاءت تمشي على استحياء قائلة بثوبها على وجهها ليست بسلفع[1] خرَّاجة ولاَّجة "[2].

فقالت له: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا. فاستجاب موسى عليه السلام لدعوة الشيخ، فأتاه فقص عليه خبره، فطمأنه الشيخ وأمَّنه.

ثم إن احدى البنتين عرضت رأيها على أبيها بأدب ولطف قائلةً له: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ استأجره ليرعى ماشيتك[3] فإن خير من تستأجره القوي على حفظ ماشيتك والقيام عليها في إصلاحها وصلاحها، الأمين الذي لا تخاف خيانته[4].

فقبل الأب رأي ابنته وعرض على موسى عليه السلام أن يزوجه إحدى ابنتيه مقابل خدمته له في رعي الغنم وسقيها. فقبل ذلك وتزوَّج إحدى ابنتي صالح مدين. فنِعْم الزوج، ونِعْم المرأة، ونِعْم الأصهار.

الإسرائيليات

نقل السيوطي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن موسى عليه السلام وجد امرأتين جالستين بشياههما فسألهما: ما خطبكما؟ قالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير قال: فهل قربكما ماء؟ قالتا: لا إلا البئر عليها صخرة قد غطيت بها لا يطيقها إلا نفر قال: فانطلقا فأريانيها

---

(١) الجريئة على الرجال. النهاية في غريب الحديث والأثر، جـ٢، ص: [٣٩٠].

(٢) ذكره ابن كثير في التفسيروصححه، جـ٦، ص: [٢٣٨].

(٣) تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٦٣]، وتفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [٢٣٩].

(٤) تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٦٣]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٤٣].

فانطلقتا معه ، فقال بالصخرة بيده فنحّاها ثم استقى لهما سجلاً[1] واحداً فسقى الغنم ثم أعاد الصخرة إلى مكانها[2].

وذكر الخازن أنه زاحم القوم ونحّاهم كلهم عن البئر وسقى الغنم للمرأتين، وذكر أيضاً أنه لما فرغ الرعاة من السقي غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه إلا عشرة نفر فجاء موسى عليه السلام فرفع الحجر وحده ونزع دلواً واحداً ودعا فيه بالبركة، فسقى الغنم فرويت[3].

ونقل السيوطي عن عمر بن الخطاب وابن عباس أن موسى عليه السلام تولى إلى الظل فقال: ربِّ إني لما أنزلت إليَّ من خيرٍ فقير، فسمعتا ما قال، فرجعتا إلى أبيهما ، فاستنكر سرعة مجيئهما، فسألهما فأخبرتاه فقال لإحداهما: انطلقي فادعيه، فأتته واضعةً كُمها على وجهها، فقالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ .

فمشت المرأة ومشى موسى خلفها فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها، فقال لها: امشي خلفي فإني امرؤ من عنصر إبراهيم لا يحل لي أن أنظر منكِ ما حرَّم الله عليَّ وأرشديني الطريق[4].

---

(١) أي دلواً. مختار الصحاح، ص: [٢٨٧].
(٢) الدر المنثور، جـ٦، ص: [٤٠٤]، وعند الطبري عن السدي مختصراً، انظر: تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٥٧،٥٨].
(٣) تفسير الخازن، جـ٥، ص: [١٦٩].
(٤) الدر المنثور، جـ٦، ص: [٤٠٤،٤٠٥]، وانظر: تفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [٢٣٩]، وتفسير الخازن، جـ٥، ص: [١٧٠].

وروى السيوطي أيضاً عن ابن عباس وغيره أن إحدى البنتين قالت: ﴿ يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ . قال لها أبوها: ما رأيت من قوته وأمانته؟ فأخبرته بالأمر الذي كان، قالت: أما قوته فإنه قَلَبَ الحجر وحده وكان لا يقلبه إلا النفر، وأما أمانته فإنه قال: امشي خلفي وأرشديني الطريق لأنني امرؤ من عنصر إبراهيم عليه السلام لا يحل لي منكِ ما حرَّم الله(1)، وقيل: إن أبا المرأتين عرض على موسى الزواج بإحدى ابنتيه(2).

نقد الإسرائيليات

من هذه الأخبار ما هو باطل، ومنها ما هو ثابت، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأمَّا ما ذُكر من أن موسى وجد امرأتين جالستين فهذا خلاف نص القرآن فإن الله عز وجل قال: ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ والذود يحتاج إلى حركة وانتقال.

وأمَّا ما ذكر من أنه اقتلع صخرة من على بئر أخرى فإنما يفهم من سياق القصة خلاف ذلك؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ فالظاهر أن مصدر الماء واحد؛ ولهذا تزاحم الناس عليه، فيكون إنما سقى لهما غنمهما من الماء نفسه.

---

(1) الدر المنثور، جـ٦، ص: [٤٠٥،٤٠٤]، وانظر: تفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [٢٣٩]، وتفسير الخازن، جـ٥، ص: [١٧٠].

(2) تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٦٣،٦٤]، وتفسير الخازن، جـ٥، ص: [١٧١].

وأمَّا ما ذكر من أنه عليه السلام أبعد الناس عن الماء كي يسقي للمرأتين فهذا غير لائق به عليه السلام، بل الظاهر أنه زاحم على الماء وسقى مع الناس.

وأمَّا ما روي من أنه سقى لهما بعدما فرغ الناس من سقي بهائمهم وانصرفوا فإن ظاهر القرآن على خلافه؛ لأنه جاء ذكر السقي بعد قول المرأتين ﴿لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ مباشرةً كما يدل عليه الترتيب بالفاء بقوله: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾.

وأمَّا ما قيل من أن التي جاءته هي الكبرى أو هي الصغرى أو أن التي تزوجها موسى عليه السلام هي الصغرى أو الكبرى فلا أعلم دليلاً صحيحاً في تعيين إحدى البنتين في ذلك.

وأمَّا ما روي من سؤاله عليه السلام المرأتين لمَّا رأى حالهما وجوابهما له وسقيه الغنم لهما و مجيء إحدى البنتين إلى موسى عليه السلام على استحياء ودعوتها إياه لأبيها وعرض إحدى البنتين الرأي على أبيها في أن يستأجره وتعليلها لذلك الرأي وعرض الأب على موسى عليه السلام أن يزوجه إحدى ابنتيه فكل ذلك قد نص عليه القرآن الكريم في سياق القصة.

وأمَّا ما سوى هذه الأخبار فلا أعلم ما يثبتها أو ينفيها والظاهر أنها مما لا بأس بذكره والله تعالى أعلم.

الأحكام المستفادة من القصة

١) جواز خروج المرأة في حوائجها[1]، أخذاً من خروج المرأتين لسقي غنمهما.

---

(١) تفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [١١٤]، وتيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١١٣].

٢) جواز مكالمة الرجل المرأة الأجنبية إذا دعت الحاجة إلى ذلك[١]، أخذاً من قول موسى عليه السلام: ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾.

٣) لا بأس بتكليم المرأة الرجال إذا انتفى المحذور[٢] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾[٤].

٤) جواز مساعدة الرجل المرأة الأجنبية عند الحاجة أخذاً من سقي موسى الغنم للمرأتين[٥].

٥) اعتماد أخبار المرأة أخذاً من اعتماد موسى عليه السلام قول المرأة وذهابه معها، كذلك يعتمد إخبارها في باب الرواية[٦].

٦) مشروعية الإجارة على عمل معلوم في نفع معلوم أو زمن مسمى وأنَّ مرد ذلك العرف، أخذاً من قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ

---

(١) تفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [١١٣]، والكشاف، جـ٣، ص: [١٧١]، وروح المعاني للألوسي، جـ٢، ص: [٦٠].
(٢) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٣١]، وانظر: الإكليل، ص: [٢٠٣].
(٣) سورة الأحزاب، الآية: [٥٣].
(٤) سورة الأحزاب، الآية: [٣٢].
(٥) تفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [١١٥].
(٦) المصدر السابق، جـ٧، ص: [١١٤]، وانظر: مذكرة أصول الفقه للشنقيطي، ص: [١١٨].

ٱسۡتَـْٔجِرۡهُۖ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ ﴾[1].

٧) جواز عرض الرجل موليته على أهل الخير والفضل[2] أخذاً من عرض صالح مدين ابنته على موسى عليه السلام.

وجاء عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - : " أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خُنيس بن حذافة السهمي - وكان من أصحاب رسول الله فتوفي بالمدينة - فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال: سأنظر في أمري فلبث ليالي، ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر فصمت أبو بكر فلم يرجع إليّ شيئاً ـ الحديث[3].

٨) اعتبار الإيجاب والقبول في النكاح أخذاً من قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ ﴾[4][5].

---

(١) تيسير اللطيف المنان للسعدي، بتصرف يسير، ص: [١٣٢]، وانظر: الإكليل، ص: [٢٠٣]، وتفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [١١٥].

(٢) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٣٢].

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب النكاح، باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، جـ٩، ص: [٨١].

(٤) سورة القصص، الآية: [٢٨].

(٥) انظر: المغني لابن قدامة، جـ٩، ص: [٤٦٠]، والإكليل، ص: [٢٠٣].

الدروس والعبر

١) البر بالوالدين ولا سيما عند الكِبَر والتعاون بين الإخوة على ذلك أخذاً من برِّ المرأتين بأبيهما العاجز وتعاونهما على ذلك في القيام بسقي الماشية لأبيهما.

٢) بيان فضل الحياء والعفة وبُعد النساء عن مخالطة ومزاحمة الرجال الأجانب[1] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾.

٣) إن حياء المرأة وعفتها وبرِّها بوالديها ثمرة من ثمرات التربية السليمة أخذاً من خُلق البنتين في نفسيهما ومع أبيهما الصالح.

٤) الرحمة والإحسان إلى الخَلْق، من عرفه العبد ومن لم يعرفه، من أخلاق الأنبياء، وإن من جملة الإحسان الإعانة على سقي الماشية وخصوصاً إعانة العاجز[2] كما فعل موسى عليه السلام مع ابنتي صاحب مدين حين سقى لهما.

٥) إن الحياء والمكافأة على الإحسان لم يزل من دأب الأمم الصالحين أخذاً من حياء المرأتين ومن قوله تعالى عن إحداهما: ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ .

٦) بُعد المرأة العفيفة عن مواطن الريبة[3] أخذاً من قول ابنة صالح مدين: ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ فلم تطلب موسى طلباً مطلقاً لئلا يوهم طلبها إياه ريبة.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري بتصرف يسير، جـ٣، ص: [٣٩٢].

(٢) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٣٢].

(٣) تفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [٢٣٨]، وانظر: تفسير أبي السعود، جـ٧، ص: [٩].

٧) عرض الولد رأيه على أبيه إذا رأى أن فيه مصلحة، وأن ذلك غير منافٍ للأدب أخذاً من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾.

٨) القوة والأمانة وصفان يكون بهما تمام العمل[١] أخذاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾.

٩) قلة الصالحين في كل زمان أخذاً من تحمُّل المرأتين ذلك العمل حتى تيسَّر من هو أهلٌ لذلك من الرجال وقال تعالى: ﴿... إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ...﴾[٢].

١٠) اعتبار الكفاءة في الأعمال أخذاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ وقبول الأب رأي ابنته في ذلك لصواب رأيها.

١١) إن من الحسن عرض الأولياء نساءهم على الأكفاء من الرجال وهي سُنة قائمة أخذاً من قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ﴾ وقد عرض عمر بن الخطاب ﷺ ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما[٣].

---

(١) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [١١٤]، والكشاف، جـ٣، ص: [١٧٢،١٧١]، وتيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٣٨].

(٢) سورة ص، آية: [٢٤].

(٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي، جـ٣، ص: [١٤٦٦]، وتفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٧١].

١٢) بُطلان مفهوم الإنسانية المتعارف عليه في هذا الزمان وهي أن الإنسانية تقتضي حُسن الخُلق أخذاً من عدم إعانة أهل مدين لهاتين المرأتين ولم تجدا معيناً غير نبي الله موسى عليه السلام وقد وصف الله الإنسان بالصفات الذميمة ما لم يتزك بالإيمان كما في قوله تعالى:

أ) ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[1].

ب) وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[2].

ج) وقوله: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾[3].

د) وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴾[4].

هـ) وقوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[5].

و) وقوله: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ـ الآية ﴾[6]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال ﷺ: ((**الناس معادن**))[7].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: [٣٤].
(٢) سورة الأحزاب، الآية: [٧٢].
(٣) سورة الإسراء، الآية: [١٠٠].
(٤) سورة المعارج، الآية: [١٩-٢٢].
(٥) سورة العلق، الآية: [٦ ، ٧].
(٦) سورة العصر.
(٧) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ... الآية }، جـ٦، ص: [٦٠٨].

قال ابن حجر في شرح الحديث : أي أصولاً مختلفة، والمعادن جمع معدن وهو الشيء المستقر في الأرض، فتارة يكون نفيساً ، وتارة يكون خسيساً، وكذلك الناس[1].

١٣) إن من المروءة سؤال الضعيف عن حاجته لتقديم المساعدة له والإحسان إليه[2] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾.

١٤) المسارعة إلى بذل المعروف حتى ولو كان الإنسان متعباً[3] أخذاً من مسارعة موسى عليه السلام إلى السقي للمرأتين مع كونه متعباً قادماً من السفر.

١٥) الإيثار على النفس من صفات المؤمنين أخذاً من تقديم موسى عليه السلام حاجة المرأتين على حاجته، كما قال تعالى: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾.

١٦) إن مكان المرأة البيت أخذاً من تعليل المرأتين خروجهما لسقي الماشيه بأنه ليس هناك من يكفيهما ذلك العمل وأن أباهما شيخ كبير قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾[4].

١٧) صبر المرأة المؤمنة في تحمُّل مشاق الحياة أخذاً من صبر المرأتين على ذودهما غنمهما حتى يصدر الرعاء وسقيهما الغنم بعد ذلك.

---

(١) فتح الباري، جـ٦، ص: [٦١٢].
(٢) انظر: في ظلال القرآن، جـ٥، ص: [٢٦٨٥ ، ٢٦٨٦].
(٣) انظر: المرجع السابق.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: [٣٣].

١٨) إن أكرم ما يُخاطب به الأب - في النداء - هو لفظ ((يا أبت)) أخذاً من قول بنت الرجل الصالح يا أبت . وكذلك خاطب أنبياء الله آباءهم حيث قال يوسف لأبيه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾(١) وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ ﴾(٢)، وإبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾(٣) إلى آخر خطابه لأبيه، وقال إسماعيل عليه السلام: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾(٤).

١٩) ضعف المرأة أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ وقوله: ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ فلو كان الأب قوياً لحضر، ولو حضر لم يتأخر السقي(٥).

٢٠) الفتاة القويمة تستحي بفطرتها عند لقاء الرجال ويكون حياؤها عند قدومها على الرجال الأجانب وتكليمها إياهم أشد من حيائها عند قدومهم عليها وتلقيها الكلام منهم(٦) أخذاً من قوله تعالى: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾.

---

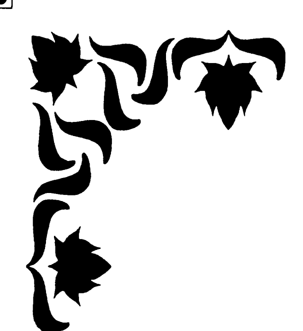
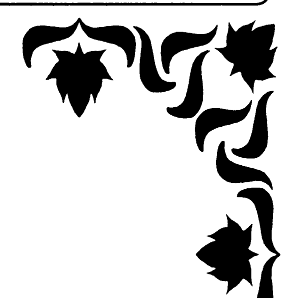
(١) سورة يوسف، الآية: [٤].
(٢) سورة يوسف، الآية: [١٠٠].
(٣) سورة مريم، الآية: [٤٢].
(٤) سورة الصافات، الآية: [١٠٢].
(٥) انظر: تفسير الفخر الرازي، جـ٢٤، ص: [٢٣٩].
(٦) انظر: في ظلال القرآن، جـ٥، ص: [٢٦٨٧].

(٢١) إن الأجمل في مدح النساء للرجال أن يكون مدحاً عاماً[١] أخذاً من قول البنت: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾.

(٢٢) كلام المرأة مع الأجنبي إنما يكون على قدر الحاجة[٢] أخذاً من عدم استرسال البنتين في الكلام مع موسى عليه السلام.

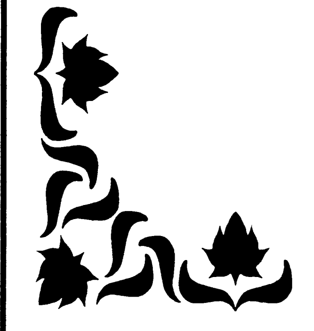
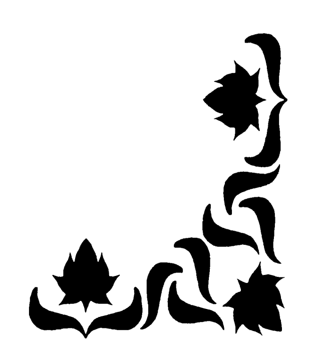


(١) تفسير القاسمي بتصرف، جـ١٣، ص: [٤٧٠٣].
(٢) انظر: في ظلال القرآن، جـ٥، ص: [٢٦٨٦].

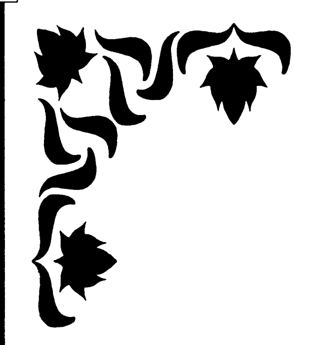
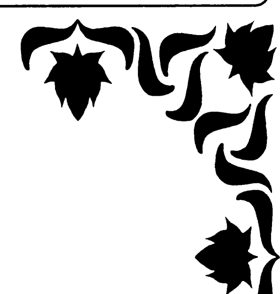



الباب الثاني

قصص
متفرقة في النساء

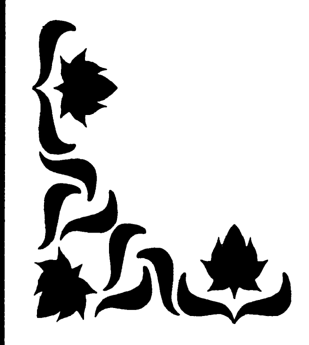
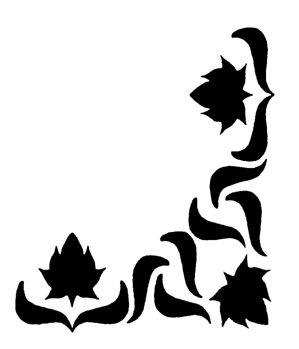





الفصل الأول

قصص
ذوات الجاه والسلطان

المبحث الأول :

قصة امرأة العزيز

المدخل إلى القصة

لقد سدَّ الإسلام جميع الأبواب التي توصل إلى ارتكاب الزنى ومن أخطر هذه الأبواب اختلاط النساء بالرجال وخلوة الرجال بهن فقد قال ﷺ: ((**ألا لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلاَّ كان ثالثهما الشيطان**))[1] فإن الرجل قد يُفتنُ بالمرأة، وكذلك المرأة قد تُفتنُ بالرجل.

وقد قصَّ لنا القرآن الكريم خبر امرأة وقعت في هذه الفتنة وَسَعَتْ سعياً حثيثاً في تحقيق مُرادها من الفاحشة مع نبي من أنبياء الله ﷻ وكيف أن الله ﷻ عصم نبيه وصفيه من كيدها، وماذا فعل عليه السلام من أجل الخلاص من شرِّها.

وقد وردت قصتها في موضع واحد من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، جـ٤، ص: [٤٦٦]، وقال الترمذي حديث حسن صحيح، ومسند الإمام أحمد، جـ١، ص: [١٨].

أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ
وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ
مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا
بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا
سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن
كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن
كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا
قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾
يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ
﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ
شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ
إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ
ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا
هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ
وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ

وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ـ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ مَثْوَىٰهُ ﴾ : منزله ومقامه[2].

﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ﴾ : المراودة المطالبة برفق، من راد يرود إذا ذهب وجاء، وهي مفاعلة من واحد، نحو : داويت المريض. وكني به عن طلب النكاح والمخادعة لأجله[3] والمراد ها هنا أنها دعته إلى نفسها ليواقعها[4].

﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ : اسم فعل بمعنى أسرع، و ((لَكَ)) للتبيين أي لك أقول، أمرته بأن يسرع إليها ـ وقرأ نافع وأبو جعفر (هِيْتَ) بكسر الهاء وفتح التاء، وقرأ ابن كثير (هيت) بفتح الهاء وضم التاء، وقرأ الباقون (هيت) بفتح الهاء والتاء[5].

---

(١) سورة يوسف، الآية: [٢١-٣٢ ، ٥١-٥٣].
(٢) تفسير البغوي، جـ٢، ص: [٤١٦].
(٣) تفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٢٩٣].
(٤) تفسير البغوي، جـ٢، ص: [٤١٧].
(٥) النشر في القراءات العشر، جـ٢، ص: [٢٩٤]، وإتحاف فضلاء البشر، ص: [٢٦٣]، وتحبير التيسير، ص: [١٢٧]، والكشف عن وجوه القراءات السبع، جـ٢، ص: [٨].

﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ : ألتجئُ إليه وأستنصر به من أن أفعل ذلك فإن ذلك سوءٌ لحاشى من تعاطيه[1].

﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ ﴾ : تسابقا إلى الباب على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ ﴾[2] أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا[3].

﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ ﴾ : شقته من الخلف[4].

﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ : صادفا سيدها عند الباب[5] والمراد بالسيد الزوج وسمي سيداً لسياسته زوجته[6].

﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ : الكيد ضرب من الاحتيال وقد يكون مذموماً وممدوحاً وان كان يستعمل في المذموم أكثر[7] والكيد هنا من النوع المذموم، ووصفه بعظيم لعظم فتنتهن واحتيالهن في التخلص من ورطتهن[8].

﴿ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾ : من المتعمدين[9] فالخاطئ من تعمد لما لا ينبغي، والمخطئُ من أراد الصواب فصار إلى غيره[10] وقال: من الخاطئين؛ لأنه لم

---

(1) المفردات للراغب، ص: [352].
(2) سورة الأعراف، الآية: [155].
(3) الكشاف، جـ2، ص: [312].
(4) تفسير الطبري، جـ12، ص: [191].
(5) معاني القرآن للزجاج، جـ3، ص: [102]، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص: [563].
(6) انظر: المفردات للراغب، ص: [247].
(7) المصدر السابق، ص: [343].
(8) انظر: تفسير القرطبي، جـ9، ص: [175].
(9) الكشاف، جـ2، ص: [316]، وفتح القدير، جـ3، ص: [19].
(10) لسان العرب، جـ1، ص: [66].

يقصد بذلك قصد الخبر عن النساء، وإنما قصد به الخبر عمن يفعل ذلك فيخطئ[1].

﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ : قد وصل حب يوسف إلى شغاف قلبها، فدخل تحته حتى غلب على قلبها، وشغاف القلب حجابه وغلافه الذي هو فيه[2].

﴿ بِمَكْرِهِنَّ ﴾ : أي بغيبتهن إياها[3] وسمي الاغتياب مكراً لأنه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره[4].

﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا ﴾ : أعتدت أفعلت من العتاد وهو العُدة ، ومعناه أعدَّت لهن متكأ يعني مجلساً للطعام وما يتكئن عليه من النمارق والوسائد[5].﴿ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾ : أعظمنه وأجللنه[6].

﴿ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ : أي استمسك، كأنه طلب ما يعتصم به من ركوب الفاحشة[7].﴿ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ : اسم فاعل من صغُر من الصغار بمعنى الذل وهو خلاف صغِر من الصغر الذي هو ضد الكبر ، ومعنى الصاغرين المذلّين[8].

﴿ مَا خَطْبُكُنَّ ﴾ : الخطب والمخاطبة والتخاطب المراجعة في الكلام ، والمراد بالخطب الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب[9].

---

(١) تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [١٩٧].
(٢) تفسير القرطبي، جـ١٢، ص: [١٩٨].
(٣) فتح القدير، جـ٣، ص: [٢١]، والكشاف، جـ٢، ص: [٣١٦].
(٤) الكشاف، جـ٢، ص: [٣١٦].
(٥) انظر: تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [٢٠١]، وتفسير القرطبي، جـ٩، ص: [١٧٨].
(٦) تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [٢٠٤].
(٧) المفردات للراغب، ص: [٣٣٧].
(٨) انظر: المصدر السابق، ص: [٢٨١]، ومعاني القرآن للزجاج، جـ٣، ص: [١٠٨].
(٩) المفردات للراغب، ص: [١٥٠].

﴿حَـٰشَ لِلَّهِ﴾ : بمعنى التنزيه لله كأنه قيل : معاذ الله(١).

﴿حَصْحَصَ﴾ : وضح وانكشف(٢).

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ : أي لا يمضيه ولا ينفذه(٣).

التعريف بالمرأة

لم يثبت لامرأة العزيز اسم فيما أعلم ، والمشهور أنَّ اسمها زليخا وقيل راعيل . وأما زوجها وهو العزيز فقيل اسمه قِطفير بكسر أوله ، وقيل أطفير(٤).

عرض القصة

أورد لنا القرآن الكريم قصة امرأة العزيز مع زوجها ثم مع يوسف عليه السلام ثم مع زوجها مرة أخرى ثم مع النسوة ثم في حضرة الملك، فأول أخبارها ما كان مع زوجها وذلك أنه بعدما اشترى يوسف عليه السلام دفعه إليها وأمرها أن تكرم مثواه ورجا أن ينتفعا به أو أن يتخذاه ولداً، ويبدو أنه لم يكن لهما ولد ولهذا طمع في تبنيه(٥).

---

(١) تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [٢٠٨].

(٢) تفسير المشكل من غريب القرآن لمكي بن أبي طالب، ص: [١١٥]، والمفردات للراغب، ص: [١٢٠].

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، ص: [٤٤٤].

(٤) انظر: فتح الباري، جـ٨، ص: [٢١٤]، وتفسير البغوي، جـ٢، ص: [٤١٦]، والتعريف والإعلام للسهيلي، ص: [٨٠]، والكامل لابن الأثير، جـ١، ص: [٨٠]، وقصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٢٣٧].

(٥) انظر: تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [١٧٥].

ثم كان الموقف الثاني منها، وكان مع يوسف عليه السلام وذلك أنها حاولت إيقاعه في الفاحشة معها بمراودتها له عن نفسه وسَعَتْ في ذلك بجِد واتخذت الحيطة والسِرِّية التامة لتنفيذ ما تريد فغلقت الأبواب، ودعته إلى نفسها قائلة له: هيت لك . ولكن لم يتحقق مرادها بعصمة الله نبيه من شرِّها فأبى واعتصم واستعاذ بالله قائلاً : ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ ونَزَّهَ نفسه عن الخيانة حيث قال:﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ ﴾ أي: إن زوجك أحسن منزلتي وأكرمني وائتمنني فلا أخونه(١) إلا أنها لم تتأثر بكلامه ولم تنزجر بمقاله، بل أصرَّت على ما تُريد كما يُفيده التوكيد في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ ﴾ فلما رأى همها وجِدِّها في ما تريد أسرع إلى الباب ليخرج ويفرَّ من شرِّها، وأسرعت خلفه لتمنعه وتراوده[٢] فأمسكت به من الخلف وشقَّت قميصه بتلك القبضة.

وهذه الأفعال التي حصلت منها تدل على أنها كانت امرأة شابة قوية .
وعند الباب لقيهما العزيز على تلك الحالة ، فبادرت إلى تبرئة ساحتها والتستر على نفسها فقالت: ﴿ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا ﴾ فقنفت يوسف عليه السلام [٣] ورأت أن يحكم عليه بالسجن أو العذاب الأليم أي الضرب بالسياط[٤].

وما ذكرته من الوعيد كان تخويفاً ليوسف عليه السلام ومكراً منها به ليطيعها كرهاً بعدما امتنع أن يستجيب لها طوعاً[٥]، وحينما افترت عليه

---

(١) تفسير أبي السعود، جـ٤، ص: [٢٦٦].
(٢) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٢٩٦].
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٤١٠]، وفتح القدير، جـ٣، ص: [١٨].
(٤) تفسير البغوي، جـ٢، ص: [٤٢١].
(٥) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٢٩٧].

ذنبٌ عن نفسه ولم يسكت عن الحق مع كونه رقيقاً لزوجها، فهو مؤمن بالله عزيز النفس من عباد الله المخلصين فقال: ﴿ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ ﴾، ففضحها جزاءَ ما افترت في حقه واتهمته في عرضه وكرامته.

ولما ظهر للعزيز حقيقة الأمر بالبيِّنة التي جعلها الشاهد لمعرفة الصادق من الكاذب منهما، وظهر أن امرأته هي الخاطئة قال لها: ﴿ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴾ ، وأمرها بأن تستغفر لذنبها لكونها بذلك الفعل كانت من الخاطئين.

ولما كان هذا موقف العزيز من امرأته ، وهو موقف بارد خالٍ من الغيرة ، تكررت المحاولة مرة أخرى منها مع يوسف عليه السلام وذلك حينما اجتمع النسوة في بيتها ، وقد كان اجتماعهن في بيتها بعدما أَشعْنَ خبرها وتناقلنه بينهن، وكان بلوغ الخبر إليهن عن طريق من حضر تلك المخاصمة بين يوسف وامرأة العزيز عند الباب وبحضرة العزيز، وربما كان معهم أُناس آخرون من خدم وغيرهم وقد كان أولئك النسوة من ذوات الطبقة العالية بمصر[1]. والناظر في مقالة أولئك النسوة يدرك ما فيها من التشهير ونشر الفاحشة والتوسع والزيادة فيها ويظهر ذلك من قولهن: ﴿ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ﴾[2] فأفصحن عنها والقرآن أخفى بيان ذلك فيما سبق، ثم قولهن ﴿ تُرَٰوِدُ ﴾ بالفعل المضارع الذي يدلُّ على الاستمرار، ثم قولهن ﴿ فَتَىٰهَا ﴾ والقرآن لم يُصرِّح بذلك سابقاً، ثم ذكرن الدافع إلى ذلك

(١) انظر: في ظلال القرآن، جـ٤، ص: [١٩٨٤].

(٢) العظيم في المُلك. الوجوه والنظائر، ص: [٣٢٤].

بقولهن: ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾، ثم سفهنها بقولهن: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1] وكان هذا القول منهن محاولة إلى أن تريهن يوسف؛ ولهذا سماه الله تعالى مكراً[2] ولما سمعت بقول النسوة وهنَّ من عَلِيَّةِ القوم اكترثت بذلك وأخذتها الحمية، وأرادت أن تبرئ نفسها، وأن تريهن عذرها في ما صنعت[3] فأرسلت إليهن تدعوهن وهيأت لهن متكأً من وسائد يتكئن عليها[4]، وقدمت لهن طعاماً، وآتت كل واحدة منهن سكيناً، وقصدت بتلك الهيئة - قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن - أن يُدهشن ويُبهتن عند رؤية يوسف عليه السلام وتقع أيديهن على أيديهن وتُقطّع؛ لأن المتكئ إذا بُهت بشيء وقعت يده على يده[5].

ثم أمرت يوسف عليه السلام بأن يخرج عليهن فلما رأينه أعظمنه ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ والتضعيف في هذا الفعل لكثرة الحز في يد كل واحدة منهن[6] ﴿ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ قصدن بذلك وصفه بأعلى مراتب الحسن والجمال[7]، فلما رأت ما جرى منهن قالت معتذرة إليهن ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾ أي إنه حقيق أن

---

(١) تفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٣٠١]، وتفسير أبي السعود، جـ٤، ص: [٤٧٠]، وقصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٢٤١].
(٢) انظر: تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [٢٠١]، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٢، ص: [٤١٤].
(٣) انظر: في ظلال القرآن، جـ٤، ص: [١٩٨٤].
(٤) انظر: تفسير أبي السعود، جـ٤، ص: [٢٧١].
(٥) الكشاف، جـ٢، ص: [٣١٦].
(٦) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٣٠٣].
(٧) تفسير أبي السعود، جـ٤، ص: [٢٧٢].

يُحب لجماله وكماله[1]، وأشارت إليه بقولها ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ﴾ ولم تقل فهذا مع قربه منهن لرفع منزلته في الحُسن، أو أن ذلك إشارة للمعنى وهو قولهن: عشقت فتاها تقول: هو ذلك العبد الذي لمتنني فيه حيث أنكن لم تتصورن ما هو عليه من الحُسن والجمال ولو عرفتن حقيقة ذلك من قبل لعذرتنني في حبه والافتتان به[2].

ولما علمت أنه لا ملامة عليها منهن حينما رأت أنه أصابهن ما أصابها عند رؤيته من الدهشة والافتتان صرَّحت بما اقترفت بقولها: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[3]، ثم إنها أخبرتهن بأنها لم تحصل ما تريد بقولها: ﴿ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ وعاودت المراودة مرة أخرى بمحضرٍ منهن وهتكت جلباب الحياء وتوعدت بسجنه وإذلاله إنْ لم يستجب لها، فهي الآن تجاهر بالمنكر[4] وعبرت عن مراودتها بالأمر إظهاراً لجريان حكومتها عليه واقتضاء للامتثال لأمرها[5] ولم تُصرِّح باسمه في قولها: ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ ﴾ بل أتت بلفظ عام تهويلاً للأمر ومبالغة في التخويف كأن ذلك قانون مقرر في حق كل أحد كائناً من كان[6]، ومع هذه الجرأة وهذا التهديد لم تحصل منه ما تريد إذ عصم الله نبيه منها ثم أُودع نبي الله يوسف عليه السلام في السجن.

---

(1) تفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣١٢].
(2) انظر: الكشاف، جـ٢، ص: [٣١٨].
(3) انظر: تفسير البغوي، جـ٢، ص: [٤٢٤]، وتفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٣٠٦].
(4) انظر: تفسير القرطبي، جـ٩، ص: [١٨٤].
(5) تفسير أبي السعود، جـ٤، ص: [٢٧٣].
(6) روح المعاني للألوسي، جـ١٢، ص: [٢١٨].

ثم ذكر القرآن ختام هذه القصة وهو ما جرى في حضرة ملك مصر، وذلك أنه سأل النسوة عمَّا جرى منهن مع يوسف عليه السلام وكانت المساءلة بطلب من يوسف عليه السلام لتظهر براءته قبل الإفراج عنه، فقال لهن الملك: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[1] فأجبن الملك قائلات: ﴿ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ وبالغن في نفي جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة مِنْ[2].

ولما رأت امرأة العزيز إقرارهن ببراءة يوسف عليه السلام خافت أن يشهدن عليها إن أنكرت فأقرت هي أيضاً[3] فقالت: ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾، وهذا القول منها - وإن لم يكن سأل عنه الملك - إظهارٌ لتوبتها وتحقيقٌ لصدق يوسف عليه السلام وكرامته؛ لأن إقرار المُقر على نفسه أقوى من الشهادة عليه[4] ثم ذكرت أن اعترافها ليعلم زوجها أنها لم تخنه بارتكاب الفاحشة وأن الذي كان منها إنما هو المراودة فقط[5] ثم قالت : ولست أُبرئ نفسي فإن النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته لأنها أمارة بالسوء ﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ - أي: إلا من عصمه الله تعالى - ﴿ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[6] وهذا القول منها لا يُستبعد لأنها من قوم يعلمون أن

(١) انظر: تفسير البغوي، جـ٢، ص: [٤٣٠].
(٢) تفسير أبي السعود، جـ٤، ص: [٢٨٤].
(٣) تفسير القرطبي، جـ٩، ص: [٢٠٧،٢٠٨].
(٤) تفسير القرطبي، جـ٩، ص: [٢٠٨].
(٥) تفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣١٩،٣٢٠]، وقال ابن كثير: " هذا القول هو الأشهر والأنسب والأليق لسياق القصة ومعاني الكلام ".
(٦) تفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣٢٠].

الذي يغفر الذنب ويأخذ به هو الله مع كونهم مشركين[1] وهذا المعنى مبنيٌ على أن هذا كلام امرأة العزيز ، وهو أحد القولين في تفسير هاتين الآيتين، والقول الآخر على أنه من كلام يوسف عليه السلام [2] والله أعلم.

الإسرائيليات

ورد في القصة أخبار أُجملها في ما يأتي:

ذكر الطبري أن امرأة العزيز لم يكن لها ولد ولهذا قال لها العزيز بشأن يوسف عليه السلام : عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً[3].

وذكر أيضاً أن امرأة العزيز لما همَّت بيوسف وأرادت مراودته، جعلت تذكر له محاسن نفسه، وتشوقه إلى نفسها[4].

وروى أيضاً عن السدي أنها قالت له: يا يوسف ما أحسن شعرك، قال: هو أول ما يُنثر من جسدي، قالت: يا يوسف ما أحسن وجهك، قال: هو للتراب يأكله؛ فلم تزل حتى أطمعته. فهمَّت به وهمَّ بها فدخلا البيت وغلّقت الأبواب، وذهب ليحلَّ سراويله ، فلما رأى صورة أبيه وسمع تحذيره ربط سراويله ، وفرَّ منها ، فأدركته، فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه ، فخرقته حتى أخرجته وسقط، وطرحت يوسف ، واشتدا نحو الباب[5].

وروى السيوطي عن علي رضي الله عنه في قوله: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا ﴾ قال: طمعت فيه وطمع فيها ، وكان من الطمع أن همَّ بحل التكة، فقامت إلى

(١) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٢٤٠]، والتفسير القيم لابن القيم، ص: [٣١٨].
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٣٢٠].
(٣) تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [١٨٣].
(٤) المصدر السابق، جـ١٢، ص: [١٧٥].
(٥) تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [١٨٣].

صنم مُكلّل بالدُّرِ والياقوت في ناحية البيت فسترته بثوبٍ أبيض بينها وبينه، فقال: أي شيء تصنعين؟ فقالت: أستحي من إلهي أن يراني على هذه الصورة. فقال يوسف عليه السلام: تستحين من صنم لا يأكل ولا يشرب ولا أستحي أنا من إلهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت؟ - ثم قال: لا تنالينها مني أبداً. وهو البرهان الذي رأى[1].

وروى الطبري عن ابن عباس أنه سُئل: ما بلغ من همَّ يوسف؟ قال: استلقت له وجلس بين رجليها[2].

وروى أيضاً عن السدي أنها قالت: ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا ﴾، إنه راودني عن نفسي، فدفعته عن نفسي فشققت قميصه، قال يوسف: بل هي راودتني عن نفسي، ثمَّ إنَّ ابن عمها أشار إلى البيِّنة التي عُرِفَ بها من الصادق منهما، وهي الشق الذي في القميص هل هو من القُبل أم من الدُبر؟[3].

وروى الطبري أيضاً عن ابن اسحاق أن حديث النسوة في شأن امرأة العزيز مع فتاها ومراودتها لفتاها إنما كان مكراً منهن لتريهنَّ إياه[4].

وعنه كذلك عن ابن زيد في قوله: ﴿ وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾ وأعطتهن ترنجاً وعسلاً فكُنَّ يحززن الترنج بالسكين ويأكلنه بالعسل[5].

---

(١) الدر المنثور، جـ٤، ص: [٥٢١].
(٢) تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [١٨٤].
(٣) المصدر السابق، جـ١٢، ص: [١٩٢].
(٤) انظر: المصدر السابق، جـ١٢، ص: [٢٠١].
(٥) المصدر السابق، جـ١٢، ص: [٢٠٤].

وروى الطبري عن ابن عباس ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾ قال: أعطتهن أترجاً وأعطت كل واحدة منهن سكيناً[1].

وروى أيضاً عن مجاهد وغيره أن المتكأ هو الطعام[2].

وروى أيضاً عن السدي وغيره يقول: كانت في أيديهن سكاكين مع الأترج، فقطعت أيديهن وسالت الدماء فقلن: نحن نلومك على حب هذا الرجل، ونحن قد قطعنا أيدينا وسالت الدماء[3].

وله أيضاً عن مجاهد وغيره قال: قطّعن أيديهن حتى ألقينها[4].

وروى السيوطي عن منبه عن أبيه قال: مات من النسوة اللاتي قطّعن أيديهن تسع عشرة امرأة كمداً[5][6].

وروى الطبري عن عبدالصمد عن أبيه عن جده أن النسوة حضن حين رأين يوسف[7].

وقيل: إن يوسف عليه السلام تزوج امرأة العزيز بعد موت زوجها[8].

---

(1) المصدر السابق، جـ١٢، ص: [٢٠٢].
(2) تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [٢٠٣].
(3) المصدر السابق، جـ١٢، ص: [٢٠٦].
(4) المصدر السابق، جـ١٢، ص: [٢٠٧].
(5) هو الحزن المكتوم. المصباح المنير، ص: [٥٤١].
(6) الدر المنثور، جـ٤، ص: [٥٣١].
(7) انظر: تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [٢٠٥].
(8) قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٢٥٠].

نقد الإسرائيليات

من هذه الروايات ما هو مقبول، ومنها ما هو منكر، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأمّا ما روي من أن يوسف عليه السلام دخل معها البيت وأراد أن يحل سراويله فهذا كلام باطل ولا يصح نسبته إلى ابن عباس رضي الله عنهما لأن هذا الكلام ينافي عصمة الأنبياء، فإن كان من آحاد المسلمين من يمكن أن يدفع عن نفسه مثل تلك الفتنة وذلك في قوله ﷺ: ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم: ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله))[1] فإن الأنبياء هم أولى الناس بالعفاف والمبادرة إلى الاتصاف بهذه الصفة الرفيعة والنزاهة العالية والبُعد عن الكبائر، ثم إنه عليه السلام كيف يستعيذ بالله أولاً ثم يُهِم بعد ذلك بفعل المعصية؟.

قال الشنقيطي - رحمه الله - : " نعلم أن يوسف عليه السلام بريئ من الوقوع فيما لا ينبغي، وأنه إما أن يكون لم يقع منه هم أصلاً بناء على أن الهمَّ معلقٌ بأداة الامتناع التي هي (لولا) على انتفاء رؤية البرهان، وقد رأى البرهان فانتفى المعلق عليه، وبانتفائه ينتفي المعلق الذي هو همه بها، وإما أن يكون همه خاطراً قلبياً صرف عنه وازع التقوى أو هو الشهوة والميل الغريزي المزموم بالتقوى "[2].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، جـ٢، ص: [٦٨]، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، جـ٢، ص: [٧١٥].

(٢) أضواء البيان، جـ٣، ص: [٦٢].

وأمَّا ما روي من أنه مات من النسوة اللاتي قطعن أيديهن تسع عشرة امرأة فالظاهر عدم صحة ذلك وأنَّ النساء كُنَّ قلة ويستأنس لهذا بأن كلمة نسوة جمع قلة إذ هو على وزن فِعلة[1].

وأمَّا ما روي من أنها طمعت فيه فيدل عليه قوله: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾.

وأمَّا ما روي من قولها ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا ﴾، وقول يوسف عليه السلام ﴿ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾ وحكم الشاهد في القضية فكل ذلك دل عليه سياق الآيات، وكذلك إيتاء امرأة العزيز النسوة السكاكين وتقطيع أيديهن دل عليه السياق أيضاً.

وأمَّا ما روي من أن النسوة حضن حين رأين يوسف عليه السلام فقد قال الطبري: إن لم يكن عُني به أنهن حضن من إجلالهن يوسف وإعظامهن لما كان الله قسم له من البهاء والجمال، ولما يجد من مثل ذلك النساء عند معاينتهن إياه فقول لا معنى له؛ لأن تأويل ذلك فلما رأين يوسف أكبرنه، فالهاء التي في أكبرنه من ذكر يوسف ولا شك أن من المحال أن يحِضن يوسف[2].

وأمَّا ما روي من تقطيع أيديهن هل كان حزّاً فقط أو أنه قطع إبانة وبتر فالظاهر أنه إنما كان حزّاً لا بتراً، إذ لو كان بتراً ما بقين يتحادثن مع امرأة العزيز وإنما يكن قد شغلن بمصيبتهن في أيديهن، وما حل بهن من الألم من جراء قطع أيديهن.

---

(١) الدر المصون، جـ٦، ص: [٤٧٤]، وانظر: شذا العرف في فن الصرف، ص: [١٣٢]، وانظر: لسان العرب، جـ١٥، ص: [٣٢١].

(٢) تفسير الطبري، جـ١٢، ص: [٢٠٥].

وأمَّا ما روي من زواج يوسف عليه السلام بامرأة العزيز فلا دليل عليه.

وأمَّا ما سوى ذلك فلا أعلم ما يثبته ولا ما ينفيه والله تعالى أعلم.

الأحكام المستفادة من القصة

١) جواز ترك القبيح لقبحه ورعاية لحق الغير وخشية العار[١] أخذاً من قوله: ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ﴾.

٢) لزوم حسن المكافأة للجميل[٢] أخذاً من قوله: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ فقد عدَّ الإخلال بذلك ظلماً.

٣) مشروعية الحكم بالأمارات والعلامات فيما ليس فيه بيِّنة كاللقطة والسرقة والوديعة[٣] أخذاً من قوله: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ ـ الآيتين ﴾.

الدروس والعبر

١) عدم إشاعة الفاحشة وترك ذكر أصحابها إذا لم يجاهروا بها[٤] أخذاً من قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ ﴾ وقوله: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا ﴾ ولم يصرِّح القرآن بتعيين أهل ذلك البيت بل ذكرهم

---

(١) تفسير القاسمي، جـ٩، ص: [٣٥٢٧].

(٢) تفسير القاسمي، جـ٩، ص: [٣٥٢٧].

(٣) أحكام القرآن لابن العربي، جـ٣، ص: [١٠٧٧]، والإكليل، ص: [١٥٤]، وأضواء البيان، جـ٣، ص: [٧١].

(٤) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٢٩٣]، وفتح القدير، جـ٣، ص: [١٦].

بالاسم الموصول ولم يأت التصريح في القرآن إلا بعد إشاعة الخبر من قِبل النسوة حيث قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾.

٢) الحذر من الخلوة بالنساء الأجنبيات وخصوصاً اللاتي يُخشى منهن الفتنة، والحذر أيضاً من المحبة التي يُخشى ضررها، فإن امرأة العزيز جرى منها ما جرى بسبب توحُّدها بيوسف وحبها الشديد له الذي ما تركها حتى راودته تلك المراودة، ثم كذبت عليه فسُجِنَ ذلك السجن الطويل(١).

٣) الاستعاذة بالله عند الفتن(٢) أخذاً من قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ وذلك عندما دعت امرأة العزيز يوسف عليه السلام إلى الفاحشة، وكذلك الفرار من موطن الفتنة أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ ﴾ وجاء عنه ﷺ في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم ((ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله))(٣).

٤) حرص الظالم على المبادرة إلى تبرئة ساحته أخذاً من قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فعلى المظلوم أن يقوى في رد التهمة عن نفسه ولا يضعف ولا يستسلم أخذاً من قوله تعالى عن يوسف: ﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾.

---

(١) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٥٧ ، ١٥٨].
(٢) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٥٨].
(٣) تقدم تخريجه، ص: [٢٧٦].

٥) تقوى الله سببٌ في النجاة؛ فلما اتقى الله يوسف عليه السلام جعل الله له مخرجاً من فتنة امرأة العزيز له بالبيِّنة وهي شق القميص وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾[(١)].

٦) قد تتسلط المرأة ويكون الزوج معها ضعيفاً في الرأي واتخاذ القرار فينفذُ رأيها ويُنقض رأيه لو كان لديه رأي. ويتمثل هذا في تسلُّطِ امرأة العزيز عليه، فإن سجن يوسف عليه السلام كان بعد قولها: ﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾، وحينما يطلب منها شيئاً يُعلِّل لذلك الطلب، وهذا من هوانه كقول العزيز لامرأته: ﴿ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾، وهذا مثل قول امرأة فرعون لزوجها في شأن موسى عليه السلام: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾؛ حيث كان خطاباً من ضعيف وهي امرأة فرعون لقاهر وهو فرعون.

٧) إن النساء ألطف كيداً وأنفذ حيلةً من الرجال[(٢)] ولهذا قال فيهن: ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾.

٨) إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان[(٣)] قال تعالى: ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ وقال: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[(٤)].

٩) إن انعدام قوامة الرجل مع قلة الخوف من الله أو عدمه سبب في انهيار البيت وفساده وتمادي أهله في الباطل[(٥)] أخذاً من موقف العزيز البارد من امرأته مع ثبوت خطئها وزلتها الشنيعة فهو لم يزجرها ولم

---

(١) سورة الطلاق، الآية: [٢].
(٢) انظر: الكشاف، جـ٢، ص: [٣١٥].
(٣) المصدر السابق.
(٤) سورة النساء، الآية: [٧٦].
(٥) نظرات في أحسن القصص للدكتور محمد السيد الوكيل، جـ١، ص: [٣١٩].

يعاقبها، ولهذا حاولت مرة أخرى تحصيل مرادها من يوسف عليه السلام في مجلس النسوة بقولها أمام النسوة: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾.

١٠) إن الإنسان إذا تعلق قلبه بمنكر فإنه يسعى في تحصيله سعياً حثيثاً ويجادل عنه ويرى أنه معذور في طلبه وذلك لانطماس بصيرته قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[1] ويتمثل ذلك في فعل امرأة العزيز مع يوسف ثم ما فعلته مع النسوة لتُبرِّر طلبها الدنيء.

١١) إن الغنى والمنصب سبب من أسباب الفجور والطغيان إذا لم يحكمه الإيمان كما قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[2] فها هي امرأة العزيز أدى بها منصبها وعلو منزلتها الاجتماعية إلى مراودة يوسف عليه السلام وذاك زوجها وما كان عليه من انعدام الغيرة[3] حينما قال: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ﴾.

١٢) إن أصحاب المناصب العالية يحرصون على سمعتهم حفاظاً على مكانتهم الاجتماعية ويتخذون من مناصبهم ستاراً لتلبية أهوائهم إلا

---

(١) سورة الجاثية، الآية: [٢٣].

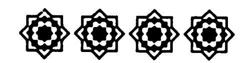
(٢) سورة العلق، الآية: [٦ ، ٧].

(٣) انظر: في ظلال القرآن، جـ٤، ص: [١٩٨٣].

من رحم الله[١] أخذاً من دفاع امرأة العزيز عن نفسها عندماتحدث النسوة في شأنها مع يوسف عليه السلام.

١٣) قوة السلطان وهيبة الملك سبب في إحقاق الحق، وفي اعتراف الظالم بظلمه أخذاً من قوله تعالى: ﴿ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ وكان ذلك بحضرة الملك، وكما أنه سبب في توبة الظالم ورجوعه عن غيِّه قال تعالى عن امرأة العزيز: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

١٤) فضيلة الاعتراف بالحق وتبرئة البريء مما أُلصق به، خشيةً من عقاب الله للخائنين[٢] أخذاً من قوله تعالى عن امرأة العزيز: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ـ إلى قوله ـ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾.



(١) المرجع السابق.
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور، جـ١٣، ص: [٦].



المبحث الثاني :

قصة امرأة فرعون

المدخل إلى القصة

قد يُخرجُ الله تعالى أُناساً من بين ظهراني الكفار، ويمن عليهم فيهديهم إلى الإسلام ويخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ويُنجِّيهم من صحبة الأشرار وجوار الفجار وينقلهم إلى جوار العزيز الغفار؛ لما يعلم الله تعالى في قلوبهم من الخير، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[1].

قال السعدي - رحمه الله -: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ﴾ على الفرض والتقدير ﴿ لَتَوَلَّواْ ﴾ عن الطاعة ﴿ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ لا التفات لهم إلى الحق بوجه من الوجوه، وهذا دليل على أن الله تعالى لا يمنع الإيمان والخير إلا عمن لا خير فيه، والذي لا يزكو لديه ولا يُثمر عنده[2].

وإن من أولئك الناس الذين علم الله فيهم الخير ومنَّ عليهم بالإيمان ما قصه لنا القرآن من خبر امرأة فرعون.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: [٢٣].

(٢) تيسير الكريم الرحمن، جـ٢، ص: [١٩٦].

وقد جاء ذكرها في موضعين من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ ﴾ : تقر عينها بالنظر إليه سروراً به، وهو مأخوذ من القر وهو البرد، يقال: دمع السرور بارد ، ودمع الحزن سخن، ويقال: أقر الله عينك وأسخن الله عين العدو[3]، وقيل: هو من القرار، والمعنى: أعطاه الله ما تسكن به عينه فلا يطمح إلى غيره[4].

﴿ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ ﴾ : أنقذني من عذاب فرعون ، ومن أن أعمل عمله ، وذلك كفره بالله[5].

﴿ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ : خلّصني وأنقذني من عمل القوم الكافرين بل ومن عذابهم[6].

---

(١) سورة القصص، الآية: [٩].
(٢) سورة التحريم، الآية: [١١].
(٣) تفسير البحر المحيط، جـ٦، ص: [٥١٦]، وانظر: تفسير البغوي، جـ٣، ص: [١٩٣].
(٤) المفردات للراغب، ص: [٣٩٨].
(٥) تفسير الطبري، جـ٢٨، ص: [١٧١،١٧٢].
(٦) المصدر السابق.

التعريف بالمرأة

هي آسية كما ثبت في الحديث عنه ﷺ حيث قال: ((**كَمُل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران**))[١].

وقيل إنها ابنة مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف وقيل: إنها كانت من بني إسرائيل من سبط موسى وقيل: كانت عمته[٢].

وذكر الألوسي أن المشهور أنها ليست من بني إسرائيل بل من العماليق[٣].

وقيل: إنها ابنة عم فرعون[٤] وهي أحد من آمن بموسى عليه السلام[٥] وزوجها هو الوليد بن مصعب ، وقيل: اسمه ظلمي[٦].

عرض القصة

ذكر لنا القرآن الكريم قصتها مع موسى عليه السلام وشفاعتها له عند فرعون في ألاّ يقتله؛ وذلك بسبب ما حصل لها من الرباط الروحي الذي

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، جـ٦، ص: [٥١٤].

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٣٠٠]، وفتح الباري، جـ٦، ص: [٥١٤]، والتعريف والاعلام للسهيلي، ص: [١٣٠].

(٣) روح المعاني، جـ٢٠، ص: [٤٧].

(٤) التعريف والاعلام للسهيلي، ص: [١٣٠].

(٥) المنتظم، جـ١، ص: [٣٤٦].

(٦) تاريخ اليعقوبي، جـ١، ص: [٣٣].

جعله الله تعالى من قِبَلِها نحوه حيث قال تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ﴾[1] فقد ألقى الله محبة موسى في قلبها.

قال ابن كثير- رحمه الله - : " فلما فتحت الباب ، وكشفت الحجاب ، ورأت وجهه يتلألأ بتلك الأنوار النبوية والجلالة الموسوية ، فلما رأته ووقع نظرها عليه أحبته حباً شديداً "[2].

وقد كانت شفاعتها إليه بحكمة حيث قالت: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ ، فاستلطفته ثم سألته وخاطبته بضمير الجمع على سبيل العظمة لكونه ملكاً، أو أن الخطاب له ولمن معه من قومه[3] وذكرت له ما ترجوه من بقائه بقولها: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ ، فإما أن يكون خادماً لهما، أو أنهما يكرمانه ويجلانه فيجعلانه ولداً لهما. فاستجاب فرعون لطلبها ولم يقتله.

ولما كبر موسى عليه السلام، وأرسله الله تعالى إلى فرعون، وجرى بينهما ما جرى وغلب موسى عليه السلام سحرة فرعون آمنت به آسيا مع من آمن[4].

وقد دلَّ قوله تعالى: ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ ﴾ على إيمانها وتصديقها بالبعث[5] ولما سمع فرعون بإيمانها عذَّبها لترجع عن دينها[6].

---

(1) سورة طه، الآية: [٣٩].
(2) قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٣٠٠].
(3) انظر: فتح القدير، جـ٤، ص: [١٦٠].
(4) انظر: تفسير الطبري، جـ٢٨، ص: [١٧١]، وتفسير البغوي، جـ٤، ص: [٣٦٨]، والكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ١، ص: [١٠٤].
(5) تفسير البحر المحيط، جـ٨، ص: [٢٤٩].
(6) انظر: تفسير البغوي، جـ٤، ص: [٣٦٨]، والكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ١، ص: [١٠٤].

فها هي امرأة فرعون لم يصدها طوفان الكفر الذي تعيش فيه في قصر فرعون عن طلب النجاة وحدها، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة إلى ربها بيتاً في الجنة، وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربها النجاة منه، وتبرأت من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شيء وهي ألصق الناس به حيث قالت: ﴿ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ ﴾ ، وتبرأت من قوم فرعون وهي تعيش بينهم قائلة: ﴿ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

هذه المرأة وحدها في وسط ضغط المجتمع وضغط القصر وضغط الملك وضغط الحاشية والمقام الملوكي، في وسط هذا كله رفعت رأسها إلى السماء وحدها في خضم هذا الكفر الطاغي، وهي نموذج عالٍ في التجرد لله من كل هذه المؤثرات، وكل هذه الأواصر، وكل هذه المعوقات وكل هذه الهواتف. ومن ثم استحقت هذه الإشارة في كتاب الله الخالد[2]، وهكذا قد أنالها الله ما رجت من النفع فقد هداها الله تعالى بموسى عليه السلام وأدخلها الجنة، فكان نفعه لها في الدنيا والآخرة[3].

الإسرائيليات

ورد في القصة إسرائيليات أُجملها في ما يأتي:

روى البغوي عن وهب بن منبه أنها كانت أماً للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم وتعطيهم[4].

---

(١) في ظلال القرآن، جـ٦، ص: [٣٦٢١ ، ٣٦٢٢].

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٣٠٠].

(٤) تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٣٧]، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي، جـ٦، ص: [٢٠٣]، وتفسير الخازن، جـ٥، ص: [١٦٥].

وذكر ابن كثير - فيما حكاه - أن الجواري وضعت التابوت بين يدي آسية ثم فتحته(١).

وروي أنها قالت لفرعون: هذا أكبر من ابن سنة، وإنما أمرت بذبح أولاد هذه السنة، ودعه يكون قرة عين لي ولك، وكان فرعون لا يولد له إلا البنات، فتركه وأحبه(٢).

وذكر القرطبي أنها كانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها(٣).

وذكر ابن كثير أن عند أهل الكتاب أن التي التقطت موسى دربته ابنة فرعون(٤)، وليس لامرأة فرعون ذكر بالكلية في شأن التقاط موسى عليه السلام.

وروى الطبريُّ عن القاسم بن أبي بزَّة أنها كانت تسأل: من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون، فتقول: آمنت برب موسى وهارون، فأرسل إليها فرعون فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته. فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في السماء، فمضت على قولها، فانتزع الله روحها، وأُلقيت الصخرة على جسدٍ ليس فيه روح(٥).

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، جـ١، ص: [٢٣٩].
(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي، جـ٦، ص: [٢٠٣].
(٣) تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٥٣]، وانظر: فتح القدير، جـ٤، ص: [١٦٠]، وتفسير الخازن، جـ٥، ص: [١٦٤].
(٤) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٣٠٠].
(٥) تفسير الطبري، جـ٢٨، ص: [١٧١]، وهي مرسلة، وانظر: تفسير الخازن، جـ٧، ص: [١٢٢].

وروى الطبري عن سلمان الفارسي أنها كانت تُعذَّب بالشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة[1].

نقد الإسرائيليات

من هذه الأخبار ما هو ثابت، ومنها ما هو منكر، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأمَّا ما روي من استشفاعها لموسى عليه السلام واستيهابه من فرعون فقد دلَّ عليه القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.

وأمَّا ما هو معروف عند أهل الكتاب من أنه ليس لآسيا علاقة في التقاط موسى عليه السلام فهو معارض للقرآن؛ حيث إن القرآن الكريم ذكر استشفاعها لموسى عليه السلام كما تقدم، قال ابن كثير - رحمه الله - معقباً على ذلك: " وهذا من غلطهم على كتاب الله عز وجل "[2].

وأمَّا ماروي من أنها آمنت بموسى عليه السلام فهو ظاهر وثابت في آية سورة التحريم.

وأمَّا تعذيب فرعون لها فقد أشار القرآن بذلك في قوله تعالى عنها: ﴿ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

---

(١) تفسير الطبري، جـ٢٨، ص: [١٧١].

(٢) قصص الأنبياء، ص: [٣٠٠].

وأمَّا ما سوى ذلك من الأخبار فلا أعلم ما يثبته أو ينفيه فلا حرج من ذكرها والله أعلم.

الأحكام المستفادة من القصة

1) صحة أنكحة الكفار[1] ويؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ ﴾.

2) إن مخالطة المؤمن للكافر عند الحاجة لا تضر في الآخرة[2] فإن مخالطة آسيا لفرعون لم تضرها حيث إنها ثبتت على إيمانها وقد قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾[3].

3) التبني عادة قديمة أخذاً من قول امرأة فرعون: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ إلاَّ أن الإسلام أبطلها في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾[4].

4) وجوب البراءة من الكفار مهما كانت العلاقة بهم أخذاً من قول امرأة فرعون: ﴿ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ ﴾ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ

---

(1) الإكليل، ص: [٢٦٩].
(2) انظر: تفسير الطبري، جـ٢٨، ص: [١٧١]، وتفسير ابن كثير، جـ٨، ص: [١٩٩]، وتفسير البحر المحيط، جـ٨، ص: [٢٩٤].
(3) سورة آل عمران، الآية: [٢٨].
(4) سورة الأحزاب، الآية: [٤].

أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1].

الدروس والعبر

1) فضيلة الرجاء[2] أخذاً من قول آسيا: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ ﴾ وقد انتفعت به إذ آمنت بموسى عليه السلام ودخلت الجنة.

2) اشتياق المرأة إلى الأمومة لأن الولد سبب تقرُّ به العين أخذاً من قول آسيا: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ ، وقد قال تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[3].

3) الحكمة في سؤال الملوك واستلطافهم باختيار العبارات التي يُرجى بها استجابتهم فقد قدمت آسيا طلبها بقولها: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ ثم عرضت ما تريد بأسلوب التعظيم[4] ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ ثم ذكرت علة ذلك بقولها: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ ﴾.

4) الترغيب في الثبات على الطاعة والتمسك بالدين والصبر في الشدة[5] ويؤخذ من قوله: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ حيث جعل قصتها مثلاً للمؤمنين.

---

(1) سورة التوبة، الآية: [23].
(2) أيسر التفاسير للجزائري، جـ3، ص: [384].
(3) سورة الكهف، الآية: [46].
(4) انظر: تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [136].
(5) انظر: تفسير القرطبي، جـ18، ص: [202]، وفتح القدير، جـ4، ص: [256]، وحسن الأسوة لمحمد صديق خان، ص: [242].

٥) إن البراءة من الكفر وأهله من حقيقة الإيمان ويؤخذ هذا من دعائها: ﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

٦) دعاء امرأة فرعون وموقفها مثل للاستعلاء على عَرَضِ الحياة الدنيا، فقد كانت امرأة فرعون - أعظم ملوك الأرض يومئذ - في قصرٍ يُعد أمتع مكان تجد فيه امرأة ما تشتهي، ولكنها استعلت على هذا بالإيمان ولم تُعرض عن هذا العَرَض فحسب؛ بل اعتبرته شراً ودنساً وبلاء تستعيذ بالله منه(١).

٧) إن المؤمن الصادق يحرص على دينه ويخاف عليه أخذاً من قوله تعالى عن آسيا: ﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

٨) الاستغاثة بالله عند الشدائد دأب الصالحين أخذاً من قولها: ﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

٩) الطغيان والجبروت وإن كان من أعتى أهل الأرض لا يمنعان من وصول الهداية إلى من أراد الله من البشر؛ حيث إن الله تعالى أدخل الإيمان قلب امرأة فرعون في عقر داره.



(١) في ظلال القرآن، جـ٦، ص: [٣٦٢٢].

المبحث الثالث :

قصة ملكة سبا

المدخل إلى القصة

الولاية والإمارة من مسئولية الرجال، وليست هي من شأن النساء، وهذا من سنة الله تبارك وتعالى في خلقه قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾(١).

فلا يصلح أن تكون المرأة حاكمة لضعفها عن هذه المسئولية وعجزها عنها. وقد ندر في التاريخ أن تتولى امرأة سياسة دولة وهو أمر مستهجن، ولهذا استنكر الهدهد أن تكون هناك امرأةتحكم أُمة ، وقد كان لهذه الملكة قصة مع نبي الله سليمان عليه السلام أوردها لنا القرآن في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ـ ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ

---

(١) سورة النساء، الآية: [٣٤].

وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ـ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

---

(١) سورة النمل، الآية: [٢٣ ، ٢٤ ، ٢٩-٣٨ ، ٤١-٤٤].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ : العرش سرير الملك[1] ووصفه بالعظمة في الهيئة ورتبة السلطان[2].

﴿ ٱلْمَلَؤُاْ ﴾ : الأشراف من الناس كأنهم ممتلئون شرفاً[3].

﴿ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ ﴾ : أن لا تمتنعوا عن الذي دعوتكم إليه ولا تتكبروا علي[4].

﴿ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ : وأقبلوا إليَّ مذعنين لله بالوحدانية والطاعة[5].

﴿ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى ﴾ : أشيروا عليَّ في أمري[6].

﴿ بِهَدِيَّةٍ ﴾ : الهدية هي العطية على طريق الملاطفة[7].

﴿ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا ﴾ : تنكير الشيء جعله من حيث لا يُعرف[8].

﴿ ٱلصَّرْحَ ﴾ : هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء[9].

﴿ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ﴾ : حسِبَته ماء[10].

﴿ مُّمَرَّدٌ ﴾ : مُملَّس مستو[11].

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي، جـ٦، ص: [١٦٥]، وتفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [١٨٤].
(٢) تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [١٨٤]، ومعاني القرآن للزجاج، جـ٤، ص: [١١٥].
(٣) تفسير القرطبي، جـ٣، ص: [٢٤٣]، ومعاني القرآن للزجاج، جـ٤، ص: [١١٨].
(٤) تفسير الطبري، جـ١٩، ص: [١٥٣]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤١٦]، وتفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [١٩٩].
(٥) المصادر السابقة.
(٦) تفسير الطبري، جـ١٩، ص: [١٥٣].
(٧) تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤١٧].
(٨) المفردات للراغب، ص: [٥٠٥].
(٩) تفسير الجلالين، ص: [٥٠٤].
(١٠) تفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [٧٩]، ومعاني القرآن للزجاج، جـ٤، ص: [١٢٢].
(١١) تفسير النسفي، جـ٢، ص: [٦١٤].

التعريف بالمرأة

لم يثبت لملكة سبأ[1] تسمية صحيحة فيما أعلم ، ولكن ذكر المفسرون أن اسمها بلقيس بنت شراحبيل من نسل يعرب بن قحطان[2] وهو المشهور، وقيل اسمها بلقمة بنت انشرح وقيل غير ذلك في نسبها[3] وكانت قارئة عربية[4].

عرض القصة

كانت تلك المرأة ملكة على سبأ، وقد أُتيت من كل مايؤتاه الملوك في عاجل الدنيا[5] وكان لها عرش عظيم في قدره وخطره[6].

قال أبو حيان: وبين قول الهدهد ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، وقول سليمان عليه السلام ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فرق؛ وذلك أن سليمان عطف على قوله ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ وهو معجزة، فيرجع أولاً إلى ما أوتي من النبوة والحكمة وأسباب الدين، ثم إلى المُلك وأسباب الدنيا، وعطف الهدهد على الملك فلم يرد إلا ما أوتيت من أسباب الدنيا اللائقة بحالها[7].

---

(١) سبأ مدينة باليمن وبها كان السدُ الذي خرقه سيل العرم - المذكور في القرآن - كانت مدينة خصبة ، وكان أهلها في رغدٍ من العيش حتى أبادها السيل. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص: [٣٠٢].

(٢) انظر: تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤١٤]، وتفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [١٩٦].

(٣) تاريخ الطبري، جـ١، ص: [٢٨٩]، والتعريف والإعلام للسهيلي، ص: [١٢٨]، والكامل لابن الأثير، جـ١، ص: [١٢٩]، وقصص الأنبياء لابن كثير، ص: [٤٩٩].

(٤) انظر: الكشاف، جـ٣، ص: [١٤٦]، وتفسير أبي السعود، جـ٦، ص: [٢٨٣]، وتفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [٧٣].

(٥) تفسير الطبري، جـ١٩، ص: [١٤٨]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤١٤]، وتفسير الفخر الرازي، جـ٢٤، ص: [١٩٠].

(٦) المصادر السابقة، وتفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [١٩٧].

(٧) تفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [٦٧].

وقد كانت هذه الملكة مشركة تعبد الشمس من دون الله ﷻ، وصدها عن عبادة الله تعالى كونها نشأت في بيئة كافرة واقتدت بهم وتطبعت بطبعهم[١] وقد أرسل سليمان ﵇ كتاباً إليها مع الهدهد يدعوها فيه إلى الإسلام فذهب به الهدهد وألقاه إليها فقرأت الكتاب ثم قرأته على رجال مملكتها تستشيرهم في ذلك الكتاب.

قال القرطبي: " وصفت الكتاب بالكريم لما تضمن من لين القول والموعظة في الدعاء إلى عبادة الله ﷻ وحسن الاستعطاف والاستلطاف من غير أن يتضمن سباً ولا لعناً ولا ما يغير النفس من كلام نازل ولا مستغلق على عادة الرسل في الدعاء إلى الله[٢]".

وقال ابن كثير رحمه الله: " تعني بكرمه ما رأته من عجيب أمره، كون الطائر أتى به فألقاه إليها، ثم تولى عنها أدباً، وهذا أمرٌ لا يقدر عليه أحد من الملوك، ولا سبيل لهم إلى ذلك[٣]. وعبرت عن المشورة بالفتوى لأن الأمر الذي نزل بهم أمرٌ عظيم مشكل، وفي ذلك أيضاً رفع لشأن رجالها وإشعار لهم بأنهم أهلٌ لحل مثل هذه القضايا وفي ذلك تودد منها إليهم كي يجتهدوا في نصحها[٤] وبيَّنت لهم أن هذه عادتها معهم ، وهو كونها تستشيرهم في كل أمرٍ ، فكيف بهذا الأمر العظيم[٥] فأشاروا عليها بالقتال ، وأبدوا استعدادهم له وتأدبوا معها حين قالوا: ﴿ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ ﴾

---

(١) انظر: تفسير الطبري، جـ١٩، ص: [١٦٧]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٢١]، وتفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٠٨].
(٢) تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [١٩٢].
(٣) تفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [١٩٩].
(٤) انظر: فتح القدير، جـ٤، ص: [١٣٧]، وتفسير أبي السعود، جـ٦، ص: [٢٨٤].
(٥) تفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [٧٣].

على عادة المشير إذا كان مرؤوساً لمن يستشيره[1] ولكنها لم تر ما رأوا بل حذرتهم مسير سليمان عليه السلام ودخوله بلادهم[2] بقولها: ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً ﴾ عنوة وغلبة ﴿ أَفْسَدُوهَا ﴾ وخربوها ﴿ وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ باستعبادهم الأحرار واسترقاقهم إياهم[3] وبيَّنت لهم أن هذا هو حال من كان غرضه الملك والتسلط في الأرض[4].

ثم اتخذت القرار الذي رأته، وهو أنها أجمعت على أن ترسل هدية إلى سليمان عليه السلام، وأتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدَّرة بحرف التحقيق للإيذان بأنها مجمعة على رأيها، لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف[5] وأرادت بهذه الهدية أن ينكشف لها غرض سليمان عليه السلام، ولهذا لم تثق بقبوله الهدية[6] فإن كان نبياً لم يرض إلاَّ أن تتبعه، وإن كان ملكاً قَبِلَ الهدية وانصرف[7].

فلما رجع الرسول بالهدية إلى الملكة، وأخبرها بما أقسم سليمان عليه السلام من عزمه على قتالها تجهزت للمسير إليه إذ علمت أنه نبي، ولا طاقة لها بقتال نبي[8].

---

(١) انظر: دعوة الرسل، ص: [٣٠٨].
(٢) زاد المسير لابن الجوزي، جـ٦، ص: [١٦٩]، وفتح القدير، جـ٤، ص: [١٣٧]، وتفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤١٧].
(٣) تفسير الطبري، جـ١٩، ص: [١٥٤].
(٤) انظر: تفسير الطبري، جـ١٩، ص: [١٥٤].
(٥) تفسير أبي السعود، جـ٦، ص: [٢٨٤].
(٦) تفسير البحر المحيط بتصرف، جـ٧، ص: [٧٤]، وانظر: تفسير النسفي، جـ٢، ص: [٦٠٩].
(٧) تفسير الطبري بتصرف، جـ١٩، ص: [١٥٥].
(٨) تفسير البحر المحيط، جـ٧، ص: [٧٦].

وبعد وصولها إلى سليمان عليه السلام، وقد أتى سليمان عليه السلام بعرشها، وأمر بتنكيره لها بإخفاء بعض معالمه عليها سئلت: ﴿ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ﴾ ولم تجزم بأنه هو لاحتمال أن يكون مثله، وذلك من رجاحة عقلها[1].

ثم إنها تعرضت لموقف آخر لترى عجيب ما أُوتي سليمان عليه السلام من الملك الذي وهبه الله تعالى إياه، ولم يكن ليتهيأ لأي ملك من الملوك، حيث قيل لها: ﴿ ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ﴾ فلما دخلته - وقد صنع من الزجاج المرد - فلما رأته حسبته ماءً فظنت أنها ستخوضه، فكشفت عن ساقيها، ولم تمتنع من الدخول للمحل الذي أمرت بدخوله، وهذا من عقلها وأدبها؛ لعلمها أنها لم تستدع إلا للإكرام، ولم تظن به سوءاً بعدما رأت ما رأت[2].

وبعد كشفها عن ساقيها بيَّن لها سليمان عليه السلام حقيقة ذلك بأنه صرح ممرد من قوارير فقالت: ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى ﴾ ، وذلك بشركها بالله عز وجل[3]، ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، فوصفت ربوبيته تعالى للعالمين لإظهار معرفتها بألوهيته تعالى وتفرده باستحقاقه العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التى من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس[4] فرحمة الله عليها إذ آمنت بالله رب العالمين.

---

(١) انظر: روح المعاني للألوسي، جـ١٩، ص: [٢٠٧].
(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي بتصرف، جـ٣، ص: [٥٠٨].
(٣) تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢١٣].
(٤) تفسير أبي السعود، جـ٦، ص: [٢٨٩].

الإسرائيليات

وردت في القصة أخبار عن بني إسرائيل أجملها فيما يأتي:

روى السيوطي عن ابن عباس في قوله: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ ﴾ أنها كانت هلباء[1] وشعراء[2].

وروى أيضاً عن عثمان بن حاضر قال: كانت أم بلقيس امرأة من الجن يقال لها بلقمة بنت شيصان[3].

وروى الطبري عن قتادة أن أحد أبويها كان جنياً، وأن مؤخر أحد قدميها كحافر الدابة، وكانت في بيت مملكة، وكان أولو مشورتها ثلاث مائة واثني عشر، كل رجل منهم على عشرة آلاف، وكانت بأرض يقال لها مأرب، من صنعاء على ثلاثة أيام، وأنه لما جاء الهدهد كانت أبوابها مغلقة، وكانت تغلق أبوابها وتضع المفاتيح تحت رأسها، فدخل الهدهد من الكوة[4] فألقى الكتاب إليها[5].

وله عن وهب بن منبه أن الهدهد حمل الكتاب برجله، فانطلق به حتى أتاها، وكانت لها كوة في بيتها إذا طلعت الشمس نظرت إليها فسجدت لها، فأتى الهدهد الكوة فسدَّها بجناحيه حتى ارتفعت الشمس ولم تعلم، ثم ألقى الكتاب من الكوة فوقع عليها في مكانها الذي هي فيه فأخذته[6].

---

(١) كثيرة الشعر. انظر: القاموس المحيط، جـ١، ص: [١٤٥].
(٢) الدر المنثور، جـ٦، ص: [٣٥١].
(٣) المصدر السابق، جـ٦، ص: [٣٥٢].
(٤) أي ثقب. انظر: مختار الصحاح، ص: [٥٨٥].
(٥) انظر: تفسير الطبري، جـ١٩، ص: [١٥٢].
(٦) تفسير الطبري، جـ١٩، ص: [١٥٢].

وعن ابن عباس أن عرشها كان سريراً من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ[1].

وروى السيوطي عن ابن عباس أنها جمعت رؤوس مملكتها فشاورتهم في أمرها، فاجتمع رأيهم ورأيها على أن يغزوه، فسارت حتى دنت من مملكة سليمان، فأرسلت إليه هدية لتختبره، فإن قبلها فهو ملك تقاتله، وإن ردها فهو نبي تتبعه[2].

وروى كذلك عن ابن عباس أن الهدية كانت لبنة من ذهب[3].

وله أيضاً عن مجاهد أن الهدية جَوارٍ في لباس الغلمان وغلمان في لباس الجَواري[4].

وعن عكرمة قال: كانت هدية بلقيس لسليمان مائتي فرس على كل فرس غلام وجارية[5].

وروى الطبري عن وهب بن منبه لما رجعت رُسُلها بالهدية علمت أنها لا طاقة لها بقتاله، وأرسلت إليه تخبره بقدومها عليه لتعرف ما عنده، وأوكلت من يحفظ لها عرشها، ثم أقبلت عليه برجال مملكتها[6].

---

(١) المصدر السابق، جـ١٩، ص: [١٤٨].
(٢) الدر المنثور، جـ٦، ص: [٣٥٦].
(٣) المصدر السابق، جـ٦، ص: [٣٥٧].
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق، جـ٦، ص: [٣٥٨].
(٦) انظر: تاريخ الطبري، جـ١، ص: [٢٩٢].

وعن ابن عباس أن سليمان عليه السلام بعدما أُتي إليه بعرشها وجاءت إليه اختبرها بسؤالها: أهكذا عرشك؟ وقد نزع عنه فصوصه ومرافقه وما كان عليه من شيء فقالت: كأنه هو. ثم إن سليمان أمر الشياطين أن تضع له صرحاً ممرّداً من قوارير وجعل فيه تماثيل من السمك فقيل لها: ادخلي الصرح فكشفت عن ساقيها، فإذا فيها الشعر. فقيل لها: إنه صرح ممرد من قوارير. قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

وروى السيوطي عن السدي أنها لما كشفت ساقيها ورآها سليمان شَعْرَاءَ الساقين كرهها، فصنعت له الشياطين النورة ليُذهب بها شِعر ساقيها، ونكحها سليمان عليه السلام[2].

وروى أيضاً عن ابن جريج أنها ظنت أنه ماء، وأن سليمان أراد قتلها فقالت: أراد قتلي - والله لأقتحمن فيه - فلما رأته أنه قوارير عرفت أنها ظلمت سليمان عليه السلام بما ظنت[3].

وروى الطبري عن وهب بن منبه أنها أسلمت، فأرشدها سليمان عليه السلام إلى الزواج بعد إسلامها، فاختارت أن يزوجها ذا تُبَّع ملك همدان[4].

نقد الإسرائيليات

من هذه الإسرائيليات ما هو مردود، ومنها ما هو ثابت، ومنها ما هو مسكوت عنه:

---

(١) الدر المنثور، جـ٦، ص: [٣٥٦].
(٢) المصدر السابق، جـ٦، ص: [٣٦٣].
(٣) الدر المنثور، جـ٦، ص: [٣٦٣].
(٤) تاريخ الطبري، جـ١، ص: [٢٩٢].

فأمَّا ما روي من أن أمها كانت جنية فقد نقل ابن كثير حديثاً مرفوعاً: كان أحد أبوي بلقيس جنياً. ثم ذكر رحمه الله أن هذا حديث غريب وفي سنده ضعف(١) وذهب ابن العربي يقرر تلك الرواية الإسرائيلية فيقول بجوازها عقلاً(٢) وتبعه في ذلك القرطبي(٣).

قلت: والمعلوم أن من سنة الله تعالى أن يتوالد أهل كل جنسٍ من جنسهم كما قال تعالى: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾(٤)، إلا في بعض الأحوال كما يولد البغل من الفرس والحمار لتشابه نوعيهما، وليس هناك تشابه بين صفات الإنس والجن الخَلقية كما هو معلوم.

وأمَّا ما روي من أن مؤخر أحد قدميها كحافر الدابة فهذا مبني - والله أعلم - على ما قيل: من أن أحد أبويها كان جنياً وقد سبق إبطال هذه الرواية

وأمَّا ما روي من احتيال سليمان عليه السلام على بلقيس ليرى ساقيها لما ذكر له أنها شَعْرَاءَ الساقين فهو كلام ساقط لا دليل عليه. والظاهر أنها أُمرت بدخول الصرح لتعلم عِظَمِ ما عليه سليمان عليه السلام من الملك؛ ولذلك حينما رأت الصرح، وتسخير مخلوقات الله عز وجل لسليمان عليه السلام تابت وآمنت.

وأمَّا ما روي من أنها ظنَّت أن سليمان عليه السلام أراد قتلها فهو خلاف ما تقدم بيانه في عرض القصة.

---

(١) قصص الأنبياء، ص: [٤٩٩].
(٢) انظر: أحكام القرآن، جـ٣، ص: [١٤٥٦].
(٣) انظر: تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [١٨٣].
(٤) سورة الشورى، الآية: [١١].

وأمَّا ما روي من أنها كانت تسجد للشمس وإلقاء الهدهد الكتاب إليها واستفتائها رؤوس قومها في شأن الكتاب وإرسالها الهدية إلى سليمان عليه السلام واختبار سليمان لها في معرفة عرشها وما جرى في دخولها الصرح وإسلامها، فثابت بالقرآن كما تقدم.

وأمَّا ما روي من الخلاف في نوع الهدية وهل تزوَّجها سليمان أو غيره فلا دليل فيما أعلم على أي تلك الأقوال أنه الصواب.

وأمَّا ما سوى ذلك من الأخبار فلا أعلم ما يثبته أو ينفيه فالظاهر أنه لا حرج في حكايته والله تعالى أعلم.

الأحكام المستفادة من القصة

1) مشروعية إرسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدعوة ودعائهم إلى الإسلام[(١)] أخذاً من إرسال سليمان عليه السلام الكتاب إلى ملكة سبأ يدعوها فيه للإسلام، وكذلك أرسل النبي ﷺ إلى ملوك العرب والروم والفرس ومصر[(٢)].

2) مشروعية الشورى أخذاً من قوله تعالى عنها: ﴿ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾[(٣)] وقال تعالى: ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾[(٤)].

---

(١) تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [١٩١].
(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، جـ٤، ص: [٢٦٨-٢٧٢]، وانظر: السيرة النبوية لمحمد أبي شهبة، جـ٢، ص: [٣٥٨-٣٦٢].
(٣) سورة آل عمران، الآية: [١٥٩].
(٤) سورة الشورى، الآية: [٣٨].

٣) مشروعية إبداء الرأي بصدق ونزاهة ثمَّ ترك الأمر لأهله[١] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ ، وقوله ﷺ: ((إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له))[٢].

٤) مشروعية إعداد العدة وتوفير السلاح وتدرب الرجال على حمله واستعماله[٣] أخذاً من قوله تعالى عن رجالها: ﴿ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ وقد قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[٤].

٥) استحباب الهدية[٥] أخذاً من قوله تعالى عنها: ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: ((تهادوا تحابوا))[٦].

٦) جواز رد الهدية إذا عُلم سوء قصد المُهدي[٧] أخذاً مِنْ رد سليمان هدية ملكة سبأ بعدما دعاها إلى الإسلام.

الدروس والعبر

١) عظم العروش، تدل على عظمة المملكة وقوة السلطان وكثرة رجال الشورى[٨] أخذاً من قوله تعالى عن الهدهد: ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٣٥٣].
(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب البيوع، باب هل يبيع حاضر لباد بغير ....، جـ٤، ص: [٤٣٣].
(٣) المرجع السابق.
(٤) سورة الأنفال، الآية: [٦٠].
(٥) انظر: تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [١٩٩].
(٦) الموطأ للإمام مالك، جـ٢، ص: [٩٠٨]، حديث حسن، انظر: حاشية جامع الأصول، جـ٦، ص: [٦١٨].
(٧) التحرير والتنوير لابن عاشور، جـ١٩، ص: [٢٦٨].
(٨) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٣، ص: [٥٠٢].

٢) إن من حسن الأدب مع الملوك بعد تسليمهم الرسائل أن يتنحَّى الرسول عنهم قريباً ليتلقى الجواب[١] أخذاً من قول سليمان عليه السلام: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾[٢].

٣) مبدأ الشورى في الحكم مبدأٌ قديم فائدته واضحة، وثمرته جلية لا يختلف فيها اثنان، أخذاً من قوله تعالى عن ملكة سبأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى ﴾، وقد جاءت الشريعة الإسلامية باعتباره أصلاً من أصولها في سياسة الدولة[٣].

٤) ضعف شخصية المرأة أخذاً من عدم استعدادها للحرب واتخاذها أسلوب الملاينة مع سليمان عليه السلام وذلك بإرسال الهدية[٤].

٥) قد يكون من النساء من هي أفطن وأذكى من الرجال[٥] أخذاً من تولية سبأ لبلقيس على الحكم ، وكذلك مما ذكر الله لنا من أخبارها حينما أخفت بيان من ألقى إليها الكتاب قي قولها: ﴿ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴾ فخصت نفسها بالعلم بذلك ، ومن جوابها في قوله تعالى: ﴿ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ﴾ ومن إرسالها الهدية، قال قتادة: " ما كان أعقلها في إسلامها وفي شركها ، علمت أن الهدية تقع موقعاً من الناس"[٦]. ومع ذلك فإن المرأة لا تصلح للخلافة لقوله ﷺ: ((**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**))[٧].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [١٩١].
(٢) سورة النمل، الآية: [٢٨].
(٣) دعوة الرسل، ص: [٣٠٧].
(٤) انظر: في ظلال القرآن، جـ٥، ص: [٢٦٤٠].
(٥) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٣٥٣].
(٦) تفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [٢٠٠]، وتفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [٢٠٠].
(٧) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الفتن، باب١٨، جـ١٣، ص: [٥٨].

٦) دخول العدو المحارب الغالب البلاد عنوة ذو خطورة؛ فلذا يتلافى الأمر بالمصالحة[١] أخذاً من طلب مصالحة ملكة سبأ سليمان عليه السلام وذلك بإرسالها الهدية.

٧) إن الهدية تورث المودة وتنهب العداوة[٢] أخذاً من إهداء ملكة سبأ سليمان عليه السلام اتقاءَ بطشه وتودداً إليه.

٨) كثيراً ما يلجأ المستعمرون إلى ذلك النوع من الرشوة، وهذا الأسلوب من تملك قلوب الناس، فيتفرسون القوم، ويتعرفون العنصر المتحرك الذي من شأنه أن يقضَّ مضاجعهم، ويؤلب عليهم، فيساومونه على الوظيفة، ويبتلعون شرفه وكرامته بدراهم معدودة، فمن كان همه المال أجابهم إلى ما طلبوا، ومن كانت دعوته خالصة آثر الفقر على الغنى، وأبى أن يقبل ذلك ، وقدوته الصالحة وأسوته الحسنة، نبي الله سليمان[٣] حيث قال: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾.

٩) الكفر بالله سبب في صد الإنسان عن الهداية أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٥].

---

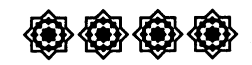
(١) انظر: معاني القرآن للزجاج، جـ٤، ص: [١١٩]، وأيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٣٥٣]، وفتح القدير، جـ٤، ص: [١٣٧].
(٢) انظر: تفسير القرطبي، جـ١٣، ص: [١٩٩].
(٣) دعوة الرسل، ص: [٣١٠].
(٤) سورة البقرة، الآية: [٢٦٤].
(٥) سورة النساء، الآية: [١٥٥].

١٠) مضار التقليد وما يترتب عليه من التنكر للعقل والمنطق[١] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴾.

١١) إن تغطية الساقين من دأب النساء منذ زمنٍ قديم[٢] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ ﴾.

١٢) فضيلة الاقتداء بالصالحين[٣] كما اقتدت بلقيس بسليمان عليه السلام قال تعالى عن ملكة سبأ: ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾.

١٣) إن الإسلام لله ليس استسلاماً لأحد مِنْ خلقه، ولو كان سليمان النبي الملك صاحب هذه المعجزات. إنما الإسلام إسلام لله رب العالمين، ومصاحبة للمؤمنين به، والداعين إلى طريقه على سنة المساواة[٤] أخذاً من قولها: ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾.



(١) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٣، ص: [٣٥٨].
(٢) المرجع السابق بتصرف.
(٣) المرجع السابق.
(٤) في ظلال القرآن، جـ٥، ص: [٢٦٤٣].

المبحث الرابع :

قصة امرأة أبي لهب

المدخل إلى القصة

إن كل رسول من رسل الله تعالى يلاقي من قومه العداوة والسخرية قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾[1].

وقد كانت قريش تعادي رسول الله ﷺ، وكان القرآن ينزل فيمن نصب العداء له ﷺ مع ماعرفوه فيه من الصدق والأمانة[2]. ومما قصَّ لنا القرآن خبر امرأة أبي لهب.

وقد جاء ذكرها في موضع واحد من كتاب الله العزيز:
قال تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾[3].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ : أي كانت تجيء بالشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ أو تمشي بالنميمة وقرأ عاصم: ﴿ حَمَّالَةَ ﴾ بالنصب على الذم، وله وجهان:

---

(١) سورة الذاريات، الآية: [٥٢].
(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، جـ٢، ص: [٣٥٤].
(٣) سورة المسد، الآية: [٤ ، ٥].

أحدهما: النصب على الذم، والآخر النصب على الحال من: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ ﴾ أي حالها في النار كذلك، وقرأ الباقون بالرفع وله وجهان، الوجه الأول: خبر لضمير محذوف تقديره هي والوجه الثاني: خبر امرأته أو نعت والخبر: ﴿ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾[1].

﴿ فِى جِيدِهَا ﴾ : في عنقها[2].

﴿ حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ : المسد حبل من ليف أو خوص، وقد يكون من جلود الإبل أو من أوبارها[3]، والمراد حبل من مسدِ النار أو سلسلة(٤).

التعريف بالمرأة

هي أم جميل أروى بنت حرب بن أمية وقيل: اسمها العوراء، وقيل: إن ذلك لقبها، وهي أُخت أبي سفيان ﷺ[5]، وزوجها عبدالعزى بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ[6]، وهي وزوجها من ألدِّ أعداء النبي ﷺ كما يتبين في عرض القصة.

عرض القصة

يقص لنا القرآن الكريم خبر المرأة الكافرة الشقية المعاندة أم جميل، وما كان منها من عداوة لرسول الله ﷺ، فأخبر الله تعالى عنها بقوله: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر، ص: [٤٤٥]، وتفسير القرطبي، جـ٢٠، ص: [٢٤٠]، وتفسير البغوي، جـ٤، ص: [٥٤٣].
(٢) تفسير الطبري، جـ٣٠، ص: [٣٤٠]، وتفسير ابن كثير، جـ٨، ص: [٥٣٧].
(٣) الصحاح، جـ٢، ص: [٥٣٨،٥٣٩].
(٤) تفسير ابن كثير، جـ٨، ص: [٥٣٦].
(٥) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، جـ٢، ص: [١٧٢].
(٦) تفسير الطبري، جـ٣٠، ص: [٣٣٧]، والتعريف والإعلام للسهيلي، ص: [١٨٨].

واختلف السلف في تفسير ذلك فقال بعضهم: أي كانت تلقي الشوك في طريق النبي ﷺ، وقال آخرون: أي تمشي بالنميمة[1] وقال آخرون: كانت تُعَيِّر رسول الله ﷺ بالفقر، وكانت تحتطب فعُيِّرت بذلك[2].

واختار ابن جرير الأول[3] واختار ابن كثير الثاني[4].

وقال الله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ أي في عنقها حبل من أنواع مختلفة. وهذا ما رجحه ابن جرير رحمه الله[5] ويعني ذلك وصف حالها في الدنيا فيكون قوله: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ إتماماً لوصف حالها في قوله: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾. وعلى القول الثاني: أن المراد حبل من مسد النار أي سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً أو الحديد التى في وسط البكرة[6]. فيكون هذا وصف حالها في النار.

قال سعيد بن المسيب: " كانت لها قلادة فاخرة فقالت: لأنفقنَّها في عداوة محمد، يعني: فأعقبها الله بها حبلاً في جيدها من مسد النار "[7] وهكذا تنال جزاءها ووعيدها الذي أخبر الله تعالى به.

وقال ابن كثير: " وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم، ولهذا

---

(١) تفسير الطبري، جـ٣٠، ص: [٣٣٨ ، ٣٣٩]، وتفسير ابن كثير، جـ٨، ص: [٥٣٥ ، ٥٣٦].
(٢) تفسير الطبري، جـ٣٠، ص: [٣٣٩]، وتفسير القرطبي، جـ٢٠، ص: [٢٤٠].
(٣) تفسير الطبري، جـ٣٠، ص: [٣٣٨ ، ٣٣٩].
(٤) تفسير ابن كثير، جـ٨، ص: [٥٣٥ ، ٥٣٦].
(٥) تفسير الطبري، جـ٣٠، ص: [٣٤١].
(٦) تفسير الطبري، جـ٣٠، ص: [٣٤٠ ، ٣٤١].
(٧) تفسير ابن كثير، جـ٨، ص: [٥٣٦].

قال: ﴿ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥ ﴾ يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه وهي مهيأة لذلك مستعدة له "[1].

وهكذا انتصر الله لرسوله ﷺ منها بفضله، وجازاها بعدله، وهو القوي العزيز.

الأحكام المستفادة من القصة

1) صحة أنكحة الكفار ويؤخذ من قوله: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ ﴾[2].

2) جواز ذكر عيب المجاهر بالمعصية[3] أخذاً من قوله: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ إذ إن المجاهر لا حرمة له.

3) الوعيد الشديد لمن آذى أنبياء الله ويؤخذ من قوله: ﴿ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ وقوله تعالى في زوجها: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[5]. وقال ﷺ في الحديث القدسي: ((من عادى لي ولياً فقد آذنته[6] بالحرب))[7].

---

(1) المصدر السابق، جـ٨، ص: [٥٣٥].
(2) انظر: الإكليل، ص: [٣٠١]، وانظر: بدائع التفسير لابن القيم، جـ٥، ص: [٣٦٣].
(3) انظر: تفسير القرطبي، جـ١٦، ص: [٣٣٩].
(4) سورة المسد، الآية: [٣].
(5) سورة الأحزاب، الآية: [٥٧].
(6) أعلمته. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ١، ص: [٣٤].
(7) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب التواضع، جـ١١، ص: [٣٤٨].

٤) تحريم النميمة[١] ويؤخذ من قوله: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴾[٢]، وقال ﷺ: ((لا يدخل الجنة قتات[٣]))[٤] والنميمة محرمة بالإجماع[٥].

الدروس والعبر

١) إن الأنبياء أشد الناس بلاءً ثم الأمثل فالأمثل[٦] ويؤخذ هذا من إيذاء أم جميل للنبي ﷺ وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾[٧].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قلت : يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: ((الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل))[٨].

٢) الصبر على الأذى في سبيل الدعوة إلى الله سبيل إلى النصر[٩] أخذاً من انتصار الله تعالى لنبيه ﷺ من أم جميل وزوجها.

---

(١) هي نقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشر. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ٥، ص: [١٢٠].

(٢) سورة القلم، الآية: [١٠ ، ١١].

(٣) نمَّام. انظر: غريب الحديث لابن الجوزي، جـ٢، ص: [٢١٨].

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب النميمة من الكبائر، جـ١٠، ص: [٤٨٧]، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم النميمة، جـ١، ص: [١٠١].

(٥) انظر: كتاب الكبائر للذهبي، ص: [١٦٠].

(٦) انظر: كتاب هذا الحبيب يا محب للجزائري، ص: [١١٩].

(٧) سورة الأنفال، الآية: [٣٠].

(٨) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، جـ٤، ص: [٦٠٢]، وقال حديث حسن صحيح، وسنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، جـ٢، ص: [١٣٣٤]، ومسند الإمام أحمد، جـ١، ص: [١٧٣، ١٧٤، ١٨٠ ، ١٨٥].

(٩) انظر: كتاب هذا الحبيب للجزائري، ص: [١١٩].

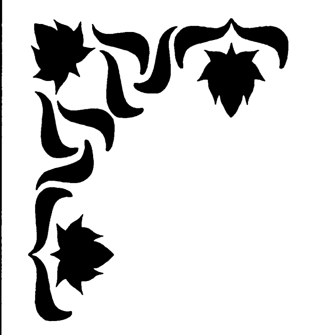
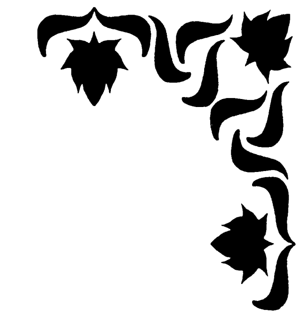
٣) بيان صدق وعد الله تعالى لرسوله في قوله: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾[١] فقد كفاه إياهم بإهلاكهم[٢].

٤) إن ظهور الآيات والمعجزات لا تستلزم الإيمان، فقد عرفت أم جميل صدقه عليه الصلاة والسلام، وما آمنت كِبْراً وجحوداً[٣] وهذا كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[٤].

٥) إن من شعب الإيمان إماطة الأذى عن الطريق لأنه ضد خصال الكفار[٥] كفعل أم جميل وهو إلقاؤها الشوك في طريق النبي ﷺ وقد قال ﷺ: ((الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلاّ الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان))[٦].

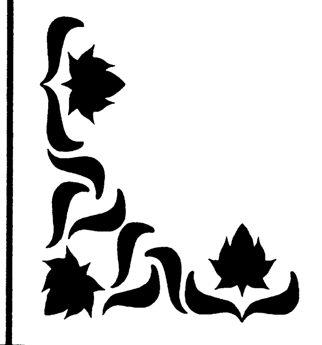
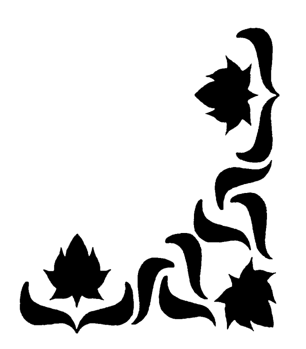


(١) سورة الحجر، الآية: [٩٥].
(٢) انظر: كتاب هذا الحبيب للجزائري، ص: [١١٩].
(٣) انظر: المرجع السابق.
(٤) سورة النمل، الآية: [١٤].
(٥) انظر: الإكليل، ص: [٣٠٨].
(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وكونه من الإيمان، جـ١، ص: [٦٣].

الفصل الثاني

قصص المستضعفات

المبحث الأول :

قصة نساء بني إسرائيل

المدخل إلى القصة

شهد التاريخ ملوكاً جبارين وطغاة مفسدين، ومن أولئك الجبارين فرعون مصر الذي أخبر الله تعالى عنه فقال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾(1) وقال: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾(2) ولقد اغتر بما آتاه الله تعالى من الملك حيث ذكر الله تعالى لنا من قوله: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾(3) وهكذا حال الإنسان إذا لم يعصمه الإيمان فالله تعالى يقول: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾(4) حتى إن فرعون من طغيانه ادّعى الربوبية: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾(5) وادّعى الألوهية بقوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾(6) ثم إن الله تعالى ذكر لنا ما صنعه ذلك الطاغية ببني إسرائيل، وما نال نساءهم منه من الذلة والقهر.

وقد ورد ذلك في مواضع عدة من كتاب الله العزيز:

---

(1) سورة القصص، الآية: [٤].
(2) سورة يونس، الآية: [٨٣].
(3) سورة الزخرف، الآية: [٥١].
(4) سورة العلق، الآية: [٦ ، ٧].
(5) سورة النازعات، الآية: [٢٤].
(6) سورة القصص، الآية: [٣٨].

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾(1).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾(2).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾(3).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(4).

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾(5).

---

(1) سورة البقرة، الآية: [٤٩].
(2) سورة الأعراف، الآية: [١٤١].
(3) سورة إبراهيم، الآية: [٦].
(4) سورة القصص، الآية: [٤].
(5) سورة غافر، الآية: [٢٥].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[1].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ : آل أصلها أهل، والمراد بهم أهل دينه وقومه وأشياعه[2].

﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ : يكلفونكم ويذيقونكم[3].

﴿ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ : أشد العذاب وأسوأه[4].

﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ : استبقوا نساءهم للخدمة[5].

﴿ بَلَآءٌ ﴾ : البلاء يكون بالخير والشر كما في قوله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[6] فالبلاء هنا إما بمعنى المحنة، أي في سومهم سوء العذاب، وإما بمعنى النعمة في إنجائي إياكم منهم نعمة عظيمة[7].

﴿ عَلَا ﴾ : العلو الارتفاع[8] والمراد به في الآية الكريمة التجبر[9].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: [١٢٧].

(٢) تفسير الطبري بتصرف، جـ١، ص: [٢٧٠].

(٣) تفسير البغوي، جـ١، ص: [٦٩].

(٤) المصدر السابق.

(٥) تفسير الطبري، جـ٢٤، ص: [٥٦].

(٦) سورة الأنبياء، الآية: [٣٥].

(٧) تفسير البغوي، جـ١، ص: [٧٠]، وتفسير ابن كثير، جـ١، ص: [١٢٨،١٢٩]، و جـ٤، ص: [٣٩٨].

(٨) المفردات للراغب، ص: [٣٤٥].

(٩) انظر: تفسير الطبري، جـ٢٠، ص: [٢٧].

﴿ شِيَعًا ﴾ : أي فرقاً[1] وقوله: ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ أي فرقاً وأصنافاً في الخدمة والتسخير[2].

﴿ يَسْتَضْعِفُ ﴾ : المراد بالإستضعاف هو قوله: ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾ سمي هذا استضعافاً لأنهم عجزوا أو ضعفوا عن دفعه عن أنفسهم[3].

﴿ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ ﴾ : أي جماعة منهم[4] والمراد بهم بنو إسرائيل[5].

﴿ كَيْدُ ﴾ : أي احتيال[6].

﴿ ضَلَٰلٍ ﴾ : أي جور[7] وخسران[8].

التعريف بنساء بني إسرائيل

المراد بهؤلاء النساء عموم نساء بني إسرائيل اللاتي كن في ذلك الزمان، كما يفهم من الإضافة في قوله: ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ فإن كلمة نساء جمع مضاف فيفيد العموم[9]. وكان هؤلاء النساء في زمن فرعون مصر الذي أنذر بزوال ملكه على يد فتى من بني إسرائيل[10].

---

(١) معاني القرآن للزجاج، جـ٤، ص: [١٣١].
(٢) تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٣٤].
(٣) المصدر السابق.
(٤) المفردات للراغب، ص: [٣١١].
(٥) تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٤٣٤].
(٦) تفسير الطبري، جـ٢٤، ص: [٥٦]، وتفسير البغوي، جـ٤، ص: [٩٥]، والمفردات للراغب، ص: [٣٤٣].
(٧) تفسير الطبري، جـ٢٤، ص: [٥٦].
(٨) إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص: [٢٩٢].
(٩) انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي، ص: [١٤].
(١٠) وقيل إن فرعون ذلك الزمان هو الوليد بن مصعب بن الريان. تفسير الطبري، جـ١، ص: [٢٧٠]، وتفسير ابن كثير، جـ١، ص: [١٢٨]، وزاد المسير لابن الجوزي، جـ١، ص: [٧٨].

عرض القصة

ذكر الله تعالى لنا خبر نساء بني إسرائيل وما حلَّ بهن من البلاء من قبل فرعون مصر وطاغيتها، وما حل ببني إسرائيل عموماً من ظلمه وتجبره عليهم، فكان يستضعفهم، ويكدهم في الأعمال ليلاً ونهاراً، ويقتل أبناءهم، ويستحيي نساءهم إهانة لهم واحتقاراً. وقد كان بنو إسرائيل خيار زمانهم(١).

والمراد باستحياء النساء استبقاؤهن أحياءً. وعبر بالنساء عن البنات بحسب المآل(٢) أو أن المراد بالنساء شامل للنساء والبنات لأنه لم يكن يقتل الصغيرات ولا الكبيرات(٣)، وقد أسند الله تعالى ذلك العدوان إلى فرعون أحياناً، وإلى آل فرعون أحياناً أخرى؛ لكونه هو الآمر، وهم المباشرون(٤).

وليس في مجرد الاستحياء عذاب، وإنما يحصل العذاب بجعلهن خدماً، وبإذاقتهن حسرة قتل الأبناء والإخوان، وبتعلق العار بهن لو بقين نساء بلا رجال(٥).

قال الشاعر(٦):

ومن أعظم الرزء(١) فيما أرى   بقاء البنات وموت البنين

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ٦، ص: [٢٣٠]، و جـ٧، ص: [١٢٨]، وتفسير القرطبي، جـ١، ص: [٣٨٤].
(٢) تفسير القرطبي، جـ١، ص: [٣٨٥].
(٣) تفسير الطبري، جـ١، ص: [٢٧٤].
(٤) انظر: المصدر السابق، جـ١، ص: [٢٧١].
(٥) انظر: تفسير البحر المحيط، جـ١، ص: [١٩٤]، وروح المعانى للألوسي، جـ١٣، ص: [١٩٠]، وتفسير القاسمي، جـ١٠، ص: [٣٧٠٩].
(٦) لم أقف على اسمه.

وقد كان صنيع فرعون بأبناء ونساء بني إسرائيل قبل مولد موسى عليه السلام كما يُفهم من سياق آيات سورة القصص. ولم يذكر الله تعالى سبب ذلك، ولكن ورد السبب في أخبار بني إسرائيل، وسيأتي إن شاء الله تعالى، ثم تكرر منه هذا الأمر بعد مبعث موسى عليه السلام ليصد بني إسرائيل عن متابعة موسى عليه السلام ومناصرته[2] كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ ثم أنجى الله تعالى بني إسرائيل وأبناءهم ونساءهم بهلاك فرعون وأعوانه.

الإسرائيليات

ورد في القصة أخبار عن بني إسرائيل أجملها فيما يأتي:

روى الطبري عن ابن عباس أن الكهنة قالوا لفرعون مصر: إنه سيولد في هذا العام مولود ينهب بملكك، فأرسل رجالاً ليكونوا رقباء على الحوامل أن ينظروا، فإن كان المولود ذكراً قتلوه، وإن كان أنثى خلّوا عنها[3].

وروى السيوطي عن أبي العالية أن فرعون إنما بعث إلى النساء الحوامل قوابل وإذا جاء المولود أُتي به إلى فرعون، فإن كان ذكراً قتله وإن كانت أنثى استحياها[4].

---

(١) الرزء أي المصيبة. لسان العرب، جـ١، ص: [٥٣].

(٢) انظر: تفسير الطبري، جـ٢٤، ص: [٥٦]، وتفسير ابن كثير، جـ٣، ص: [٤٥٧]، وتفسير القرطبي، جـ١٥، ص: [٣٠٥]، وتفسير البغوي، جـ٤، ص: [٩٥]، والكشاف، جـ٣، ص: [٤٢٢].

(٣) انظر: تفسير الطبري، جـ١، ص: [٢٧٢]، والدر المنثور، جـ١، ص: [١٦٦].

(٤) الدر المنثور، جـ١، ص: [١٦٦].

ورُوي أيضاً عن مجاهد أن فرعون كان يأمر بالقصب(١) فيشق حتى يكون كالشفار، ثم يُصف بعضه إلى بعض، ثم يؤتى بحبالى من بني إسرائيل فيوقفن عليه فيجزُّ أقدامهن حتى إن المرأة منهن تضع ولدها فيقع بين رجليها فتظل تطؤه وتتقي به حد القصب عن رجليها لما بلغ من جهدها(٢).

نقد الإسرائيليات

من هذه الروايات ما هو ثابت، ومنها ما هو مسكوت عنه:

فأمَّا ما روي من أن فرعون كان يستبقي البنات ولا يقتلهن فقد دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾.

وأمَّا ما سوى ذلك من الأخبار فلا أعلم ما يثبته أو ما ينفيه فالظاهر أنه مما لا بأس من ذكره والله تعالى أعلم.

الأحكام المستفادة من القصة

١) تحريم استرقاق الأحرار أخذاً من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ ـ ﴾.

٢) تحريم الكبر أخذاً من قوله: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ـ إلى قوله ـ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

ولا شك أن الإفساد محرَّم قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾(٣)، فإن لفظ ﴿لَا يُحِبُّ﴾ من صيغ التحريم(٤).

---

(١) محركة كلُ نبات ذي أنابيب ، الواحدة قصبة وقصباة. القاموس المحيط، جـ١، ص: [١٢١].

(٢) المصدر السابق، جـ٦، ص: [٣٩١].

(٣) سورة البقرة، الآية: [٢٠٥].

(٤) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم، جـ٤، ص: [٣].

الدروس والعبر

١) إن الأمة المستضعفة ولو بلغت في الضعف ما بلغت لا ينبغي أن يستولي عليها الكسل عن السعي في حقوقها، ولا اليأس من الارتقاء إلى أعلى الأمور، خصوصاً إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ الله بني إسرائيل - على ضعفها واستعبادها لفرعون وملئه - منهم، ومكّنهم في الأرض، وملّكهم بلادهم[1] قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ وقال أيضاً: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[2] وفي آية أخرى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾[3].

٢) إن الأمة ما دامت ذليلة مقهورة لا تطالب بحقها لا يقوم لها أمر دينها، كما لا يقوم لها أمر دنياها[4] كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾.

٣) إن المحن في الأولاد والأهل بمنزلة المحن في النفس[5] أخذاً من الخطاب في قوله: ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ ثم ذكر أن

---

(١) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٣٠].
(٢) سورة البقرة، الآية: [٤٧].
(٣) سورة المائدة، الآية: [٢٠].
(٤) تيسير اللطيف المنان للسعدي، ص: [١٣٠].
(٥) تفسير القاسمي، جـ٧، ص: [٢٨٤٨].

العذاب واقع بالأبناء والنساء في قوله: ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾.

٤) إن هلاك الأعداء نعمة من الله يجب مقابلتها بالشكر[١] أخذاً من تذكير الله ونبيه موسى عليه السلام لبني إسرائيل بالنجاة من ظلم فرعون، وهذا التذكير متضمن للأمر بالشكر.

٥) إن إصابة العباد بالشدة هي بلاء وفتنة كما في قوله تعالى: ﴿ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ فعليهم أن يصبروا ويحتسبوا الأجر عند الله تعالى، وينتظروا الفرج من الله عز وجل ويحذروا اليأس[٢] قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[٤].

٦) إن الخير والشر من الله تعالى بمعنى أنه خالقهما، وفيه رد على النصارى ومن قال بقولهم: إن الخير من الله وإن الشر من الشيطان[٥] أخذاً من قوله: ﴿ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[٦].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) انظر: في ظلال القرآن، جـ١، ص: [٧٠].
(٣) سورة الشرح، الآية: [٥،٦].
(٤) سورة البقرة، الآية: [٢١٤].
(٥) تفسير البحر المحيط، جـ١، ص: [١٩٤].
(٦) سورة النساء، الآية: [٧٨].

٧) فضيلة الصبر على البلاء وقد قال بعض العلماء: " ومن صبر في الله على بلاء الله عوضه صحبة أوليائه. فهؤلاء بنو إسرائيل صبروا على مقاساة الضر من فرعون وقومه، فجعل منهم أنبياء، وجعل منهم ملوكاً، وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين"[١].

٨) خطر بطانة السوء على الملوك والرؤساء[٢] أخذاً من تحريش الملأ لفرعون بقولهم: ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾[٣] وانحرافه بذلك التحريش إلى البطش بقوله: ﴿ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[٤] وأمر جنده بذلك.

٩) إن الله تعالى يبتلي بالخير والشر[٥] فقد ابتلى بني إسرائيل بالشر وهو تعذيبهم من فرعون، وبالخير وهو نجاتهم من ذلك وقال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[٦] وكل ذلك خير للمؤمن.

قال ﷺ: ((عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له))[٧].

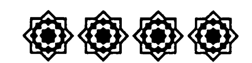
---

(١) تفسير البحر المحيط، جـ١، ص: [١٩٥].
(٢) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٢، ص: [٦٩].
(٣) سورة الأعراف، الآية: [١٢٧].
(٤) سورة الأعراف، الآية: [١٢٧].
(٥) انظر: أيسر التفاسير للجزائري، جـ٢، ص: [٧٦].
(٦) سورة الأنبياء، الآية: [٣٥].
(٧) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، جـ٤، ص: [٢٢٩٥].

١٠) التذكير بالمصائب وزوالها وسيلة من وسائل الدعوة، أخذاً من تذكير الله ونبيه موسى عليه السلام لبني إسرائيل بما حلَّ بهم من المصائب، ونجاتهم منها بفضل الله تعالى.

١١) إن الظالم الطاغي على عباد الله عز وجل لو بلغ ما بلغ من السلطان والتمكين في الأرض فإن مصيره الهلاك، كما أهلك الله فرعون لظلمه وطغيانه، ونجى بني إسرائيل من شره فقد قال تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[1].

١٢) إن الظالم إنما يتسلط على الضعفاء ولا سيما النساء والصبيان أخذاً من صنيع فرعون ببني إسرائيل.



(١) سورة البقرة، الآية: [٥٠].

المبحث الثاني:

قصة النساء المؤمنات مع أصحاب الأخدود

المدخل إلى القصة

يتعرض المؤمنون الموحدون على مرِّ التاريخ للتعذيب، والاضطهاد من قبل أعداء الله الكفرة الملحدين الذين لم يكتفوا بكفرهم، بل سعوا في صدِ المؤمنين عن الإيمان. ولقد قص لنا القرآن طرفاً من تلك الاضطهادات، ومن ذلك ما حل بالمؤمنين وبالمؤمنات في قصة أصحاب الأخدود التي وردت في موضع واحد من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾[1].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ قُتِلَ ﴾: المراد بالقتل ها هنا اللعن[2].

﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾: المراد بالأصحاب هنا الخُزَّان[3] والأخدود شق مستطيل عميق في الأرض[4].

---

(١) سورة البروج، الآية: [٤-١٠].
(٢) انظر: إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني، ص: [٣٧١].
(٣) المصدر السابق، ص: [٣٧١]، وقاموس القرآن، ص: [٢٧٥].
(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج، جـ٥، ص: [٣٠٧]، والمفردات للراغب، ص: [١٤٣].

﴿ ٱلْوَقُودِ ﴾: قال الراغب: " الوقود يقال للحطب المجعول للوقود ولما حصل من اللهب "[1].

﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ ﴾: ما أنكروا عليهم ذنباً إلا إيمانهم[2].

﴿ فَتَنُواْ ﴾: الفتنة: ((أصل الفتن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته، واستعمل في إدخال الإنسان النار))[3]، فمعنى ﴿ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ أي ابتلوهم بتعذيبهم وإحراقهم بالنار ليرجعوا عن دينهم[4].

التعريف بأصحاب القصة

اختلف العلماء في زمن أولئك القوم:

فقيل: إنهم كانوا في الفترة على دين المسيح - عليه السلام - وكانوا في مدينة نجران، وفي ملك ذي نواس، وكان على دين اليهودية، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾[5].

وقيل: إنهم كانوا قبل المسيح عليه السلام.

وقيل: إن هذا الحادث تكرر مراراً في حق المؤمنين من الجبارين الكافرين[6]، ويُفهم من كلام القرطبي ترجيحه قصة أم الغلام في تفسير السورة[7] وسيأتي ذكرها.

---

(١) المفردات، ص: [٥٢٩].

(٢) معاني القرآن للزجاج، جـ٥، ص: [٣٠٨]، وانظر: المفردات للراغب، ص: [٥٠٤].

(٣) المفردات للراغب، ص: [٣٧١].

(٤) انظر: تفسير الطبري، جـ٣٠، ص: [١٣٦]، ومعاني القرآن للزجاج، جـ٥، ص: [٣٠٨]، وتفسير أبي السعود، جـ٩، ص: [١٣٧].

(٥) انظر: تفسير القرطبي، جـ١٩، ص: [٢٨٧]، ومروج الذهب، جـ١، ص: [٦٧].

(٦) انظر: المصادر السابقة، والبداية والنهاية لابن كثير، جـ٢، ص: [١٢٩].

(٧) انظر: تفسير القرطبي، جـ١٩، ص: [٢٩٥].

عرض القصة

تعرض لنا سورة البروج المنظر البشع والمشهد المؤلم الذي حلَّ بالمؤمنين رجالاً ونساءً من قبل أصحاب الأخدود، فقد تسلطوا عليهم حينما رأوا منهم ما يكرهون من الإيمان بالله ﷻ، ففتنوهم في دينهم، وشقوا الأخدود، وأضرموا لهم فيه النيران، وخيَّروهم بين الردة أو الإلقاء في ذلك الأخدود الملتهب، فاختار أولئك المؤمنون والمؤمنات الصبر على الإيمان، وضحّوا بأنفسهم، فأُلقوا في النار، ففازوا برضا الرحمن، واستحقوا الكرامة في الجنان حيث وعد الله بذلك فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾[1].

وبَاءَ أولئك الطغاة المجرمون بالخسران والتعذيب بالنيران جزاء ما صنعوا بأولياء الرحمن حيث توعدهم الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾.

وقد جاء في السنة خبر المرأة أم الغلام في هذه القصة في حديث صهيب - رضي الله عنه - قال: إن رسول الله ﷺ قال: ((**كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليَّ غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه ، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر.**

---

(١) سورة البروج، الآية: [١١].

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابَّةٍ عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها، ومضى الناس.

فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي.

وكان الغلام يبرئ الأكمه[1] والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله.

فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس. فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام.

فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بني! قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب. فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى. فدعا بالمئشار فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه. ثم جيء بالغلام

---

(١) الأكمه الذي خُلِقَ أعمى. انظر: المصباح المنير، ص: [٥٤١].

فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه.

فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله.

فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور[1] فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله.

فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيدٍ واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي[2] ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني. فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني.

فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه، فوقع السهم في صدغه[3] فوضع يده في صدغه في موضع السهم، فمات فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام.

---

(١) هي السفينة العظيمة. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ٤، ص: [٤٨].

(٢) هي جعبة السهام. المصباح المنير، ص: [٥٤٢].

(٣) هو ما بين العين وشحمة الأذن. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، جـ٣، ص: [١٧].

خلاف ما تربى عليه المسلمون من عَدَمِ قتل النساء الكافرات ولو كان المسلمون في حال الحرب مع العدو، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ فأنكر رسُولُ الله ﷺ قتل النساء والصبيان"[(١)].

٥) التخفيف والتيسير على الأمة المحمدية بمشروعية النطق بكلمة الكفر أمام العدو إذا أُكره المؤمن على ذلك، كما قال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَـٰنِ ﴾[(٢)].

٦) لا ينبغي للعبد اليأس من رحمة الله تعالى مهما يقع منه من الذنوب، فإن الله تعالى يقبل توبة التائبين ولو تابوا بعدما حصل منهم من تعذيب المؤمنين في تلك الصورة البشعة كما قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[(٣)].

❁❁❁❁

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتل الصبيان في الحرب، جـ٦، ص: [١٢٧]، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان، جـ٣، ص: [١٣٦٤].

(٢) سورة النحل، الآية: [١٠٦].

(٣) سورة الزمر، الآية: [٥٣].

المبحث الثالث :

قصــــة وأد البنـــات

المدخل إلى القصة

كانت المرأة في الجاهلية تعيش في ظلم واضطهاد حتى من أقرب الناس إليها، وربما كان ذلك الظلم صادراً من أبيها، فجاء الإسلام بتعاليمه العظيمة وتوجيهاته السامية لينقذ المرأة مما كانت تعيش فيه من الظلم والجور الذي من جملته وأد البنات، ((فإن إهانة المرأة إهانة للعنصر الإنساني الكريم ، ووأدها قتل للنفس البشرية ، وإهدار لشطر الحياة ومصادمة لحكمة الخلق الأصيلة التى اقتضت أن يكون الأحياء جميعاً - لا الإنسان وحده من ذكر وأنثى))[1].

وقد وردت هذه القصة في موضعين من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾[3].

---

(١) في ظلال القرآن بتصرف يسير، جـ٤، ص: [٢١٧٨].
(٢) سورة النحل، الآية: [٥٨ ، ٥٩].
(٣) سورة التكوير، الآية: [٨ ، ٩].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ كَظِيمٌ ﴾ : على وزن فعيل بمعنى فاعل أي: كاظم ، والكظم الإمساك على ما في النفس على صفحٍ أو على غيظ[1]، والمراد بكظيم هاهنا ممتلئ القلب حزناً وغماً[2].

﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ ﴾ : أي يستخفي منهم[3].

﴿ عَلَىٰ هُونٍ ﴾ : أي على هوانٍ وذل[4].

﴿ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ ﴾ : أي يدفنه حياً في التراب[5].

﴿ ٱلْمَوْءُۥدَةُ ﴾ : المقتولة وهي الجارية، سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤودها أي يثقلها حتى تموت[6].

التعريف بالنسوة

ذكر البغوي وغيره أنَّ مضر وخزاعة وتميماً كانوا يدفنون البنات أحياء خوفاً من الفقر عليهم، وطَمَعِ غير الأكفاء فيهن. وكان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر وتركها ترعى له الابل والغنم في البادية ، وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية قال لأمها : زينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها ، وقد حفر لها بئراً في الصحراء ، فإذا بلغ بها البئر قال لها : انظري إلى هذه البئر ، فيدفعها من خلفها في البئر ثم يُهيل على رأسها التراب حتى يستوي البئر بالأرض[7]

---

(١) المصباح المنير، ص: [٥٣٤].
(٢) تفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٥٠٤].
(٣) الكشاف، جـ٣، ص: [٤١٤].
(٤) الكشاف، جـ٣، ص: [٤١٤]، وتفسير الطبري، جـ١٤، ص: [١٢٤].
(٥) تفسير الطبري، جـ١٤، ص: [١٢٤].
(٦) تفسير القرطبي، جـ١٩، ص: [٢٣٢].
(٧) تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٧٣].

ويقال: إن أول من فعل ذلك قيس بن عاصم التميمي(١)، وكان بعض أعدائه أغار عليه فأسر بنته فاتخذها لنفسه ، ثم حصل بينهم صلح، فخير ابنته فاختارت زوجها ، فآلى قيس على نفسه أن لا تولد له بنت إلا دفنها حية ، فتبعه العرب في ذلك(٢).

عرض القصة

ذكر القرآن الكريم ما كانت تلاقيه البنات من قبل آبائهن في بعض قبائل العرب في الجاهلية وذلك أن الآباء كانوا إذا بُشر أحدهم بمولود أنثى اسودَّ وجهه من الغم وهو كاظم على الحزن والأسف(٣)، وأخذ يتوارى من الناس كراهية أن يروه ﴿ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾ به أي من سوء الحزن والعار والحياء الذي يلحقه بسبب البنت(٤) ثم يعمل فكره ورأيه الفاسد فيما يصنع بتلك البنت التى بُشر بها ﴿ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ﴾ أي إن أبقاها أبقاها مهانةً لا يورثها ولا يعتني بها ويفضل أولاده الذكور عليها، وقيل ﴿ عَلَىٰ هُونٍ ﴾ متعلق بالفاعل في ﴿ أَيُمۡسِكُهُۥ ﴾ أي على رغم أنفه(٥) ﴿ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ﴾ أي يئدها وهو أن يدفنها حية كما كانوا يصنعون في الجاهلية، وهو الوأد الذي ذم الله به المشركين(٦).

---

(١) قيس بن عاصم من أصحاب النبي ﷺ وكان من خيارهم من بني تميم قال عنه النبي ﷺ هذا سيد أهل الوبر. تاريخ الثقات، ص: [٣٩٣].

(٢) فتح الباري، جـ١٠، ص: [٤٢٠-٤٢١].

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٣، ص: [٦٦].

(٤) انظر: تفسير القرطبي، جـ١٦، ص: [١١٧].

(٥) تفسير القرطبي، جـ١٠، ص: [١١٧].

(٦) انظر: تفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٤٩٦]، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، جـ٣، ص: [٦٦].

الأحكام المستفادة من القصة

حرمة وأد البنات أخذاً من قوله تعالى:﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ وقوله: ﴿ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴾ وقال ﷺ: ((إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات ومنعاً وهات ووأد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال))[1].

الدروس والعبر

1) كلما انحرفت المجتمعات عن العقيدة الصحيحة عادت تصورات الجاهلية إلى الظهور ، فنجد أن الأنثى لا يفرح بمولدها كثير من الأوساط وكثير من الناس ، ولا تعامل معاملة الذكر من العناية والاحترام . وهذه جاهلية نشأت بسبب انحراف أولئك الناس عن العقيدة الإسلامية الصحيحة أخذاً من إخبار الله تعالى عن ذلك الأمر ، وأنه كان في أهل الجاهلية[2].

2) إن الإنسان بجنسيه كريم على الله، والأنثى من حيث إنسانيتها صنو الرجل وشطر نفسه كما يقرر الإسلام[3].

3) إن الإسلام هو الدين الذي حفظ للمرأة حقها ، وذَبَّ عنها وحماها من الذل والهوان، فعلى المرأة المسلمة أن تحمد الله وتشكره على هذه المنة العظيمة، وتتمسك بهذا الدين القويم فهو حصنها الحصين.

❁❁❁❁

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، جـ١٠، ص: [٤١٩]، وصحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ....، جـ٣، ص: [١٣٤١].

(٢) في ظلال القرآن بتصرف، جـ٤، ص: [٢١٧٨].

(٣) في ظلال القرآن بتصرف، جـ٤، ص: [٢١٧٨].

المبحث الرابع:

قصة المستضعفات بمكة

المدخل إلى القصة

لما عسر على المؤمنين إقامة شرع الله تعالى بمكة بسبب ما لاقوه من المشركين من صنوف الأذى كراهة لهذا الدين وأهله أذن الله تعالى لرسوله ﷺ وللمؤمنين بالهجرة إلى المدينة التي هيأ الله فيها أناساً استعدوا لنصرة رسول الله ﷺ والمؤمنين، فهاجروا إليها، إلا أن جماعة من المؤمنين من الرجال والنساء لم يهاجروا لعجزهم عن الهجرة.

وقد ذكر الله لنا خبرهم، وبيَّن حالهم، وذلك في ثلاثة مواضع من كتاب الله العزيز:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾[٢].

---

(١) سورة النساء، الآية: [٧٥].

(٢) سورة النساء، الآية: [٩٨].

وقوله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1].

معاني مفردات آيات القصة

﴿ ٱلْقَرْيَةِ ﴾: المراد بها مكة[2].

﴿ وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾: يعني أنهم يقولون أيضاً في دعائهم: يا ربنا واجعل لنا من عندك ولياً، يلي أمرنا بالكفاية مما نحن فيه من فتنة أهل الكفر بك[3].

﴿ وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾: يقولون: واجعل لنا من عندك من ينصرنا على من ظلمنا من أهل هذه القرية الظالم أهلها بصدهم إيانا عن سبيلك حتى تظفرنا بهم ونعلي دينك[4].

﴿ حِيلَةً ﴾: الحيلة ما يتوصل به إلى حالة ما في خفية، وأكثر استعمالها في الخبث، وقد تستعمل فيما فيه حكمة كما في هذه الآية[5].

والمراد بقوله ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ أي لا يقدرون على حيلة، ولا على نفقة، ولا على قوة الخروج منها[6].

---

(١) سورة الفتح، الآية: [٢٥].
(٢) تفسير الطبري، جـ٥، ص: [١٦٨]، وتفسير البغوي، جـ١، ص: [٤٥٢]، وتفسير ابن كثير، جـ٢، ص: [٣١٤]، وتفسير القرطبي، جـ٥، ص: [٢٧٩].
(٣) تفسير الطبري، جـ٥، ص: [١٦٨].
(٤) المصدر السابق.
(٥) المفردات للراغب بتصرف، ص: [١٣٨].
(٦) تفسير البغوي، جـ١، ص: [٤٦٩ ، ٤٧٠].

﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ : أي لا يعرفون طريقاً إلى الخروج[1].

﴿ أَن تَطَـُٔوهُمْ ﴾ : المراد بالوطء هنا القتل والإهلاك[2].

﴿ مَّعَرَّةٌۢ ﴾ : المعرة: هي على وزن مفعلة من العرّ وهو الجرب[3] والمراد بها الكفارة[4].

﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ ﴾ : لو تميز الكافرون من المسلمين[5].

التعريف بالنساء

جاء في حديث أبي جمعة جنيد بن سبع الأنصاري[6] بيان عدد أولئك النسوة المستضعفات حيث قال: وكنا ثلاثة رجال وتسع نسوة وفينا نزلت: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ ﴾[7].

ولم أقف على تعيين أولئك النسوة المستضعفات إلا ما روى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: ((**كنت أنا وأمي ممن عذر الله**))[8].

وأمه هي أم الفضل لبابة الكبرى ابنة الحارث بن حزن ، وينتهي نسبها إلى مضر ، كان إسلامها بعد خديجة بنت خويلد رضي الله عنها،

---

(١) المصدر السابق، جـ١، ص: [٤٧٠].

(٢) انظر: التسهيل لابن جزي، جـ١، ص: [٢٩]، ومعانى القرآن للزجاج، جـ٥، ص: [٢٧].

(٣) تفسير الطبري بتصرف، جـ٢٦، ص: [١٠٢]، انظر: المفردات للراغب، ص: [٣٢٨].

(٤) تفسير الطبري، جـ٢٦، ص: [١٠٢].

(٥) معانى القرآن للزجاج، جـ٥، ص: [٢٧].

(٦) أبو جمعة جنيد بن سبع الأنصاري، اختلف في اسمه ، والأرجح أن اسمه حبيب، صحابي شهد فتح مصر. انظر: الإصابة، جـ٤، ص: [٣٣].

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، جـ٢، ص: [٢٩٠]، رقم: [٢٢٠٤]، جـ٤، ص: [٢٩]، رقم: [٣٥٤٣]، وأبو يعلى في مسنده، جـ٣، ص: [١٢٩]، رقم: [٦٥٦٠]، ونكره الهيثمي في مجمع الزوائد، جـ٧، ص: [١٠٧]، وقال: ((رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات))، وذكره أيضاً: جـ٩، ص: [٣٩٨]، وقال: ((رواه أبو يعلى ورجاله ثقات)).

(٨) صحيح البخاري مع الفتح، جـ٨، ص: [١٠٣].

فهي ثاني من أسلم من النساء، وهاجرت إلى المدينة بعد إسلام العباس ، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيل في بيتها، وكانت تصوم الاثنين والخميس(١)، قال عبدالله بن يزيد الهلالي عنها:

ما ولدت نجيبة من فحل
كستة من بطن أم الفضل
أكرم بها من كهلة وكهل(٢)

عرض القصة

يُبَيِّنُ الله لنا في هذه الآيات خبر أولئك القوم المؤمنين الذين تخلفوا عن الهجرة ، وأنهم كانوا عاجزين عنها ، ليس لديهم قوة عليها ، وليس لديهم نفقة يبلغون بها المدينة أو أنهم لا يعرفون الطريق إلى المدينة ، فبقوا بمكة مضطهدين مستضعفين ، وكانوا يسألون الله ﷻ أن يخرجهم من بين أعدائهم، وأن يتولى أمرهم وينصرهم.

وقد كان من بين أولئك القوم نساء كما صرَّحت بذلك الآيات قد نلن صنوفاً من العذاب والاضطهاد . ومن صور التعذيب الذي حل بالمؤمنين والمؤمنات من قبل أعدائهم : أنهم كانوا يحبسونهم ويضربونهم ويعذبونهم بالجوع والعطش وبإلقائهم في رمضاء مكة، كل ذلك ليفتنوهم عن دينهم(٣).

ولقد تعدى ظلم الكفرة إلى الولدان كذلك إرغاماً لوالديهم وطمعاً في ردتهم(٤).

---

(١) الإصابة، جـ٤، ص: [٣٨٥]، وصفة الصفوة، جـ٢، ص: [٦١].
(٢) صفة الصفوة، جـ٢، ص: [٦١].
(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، جـ٢، ص: [٣١٧].
(٤) انظر: تفسير الفخر الرازي، جـ١٠، ص: [١٨٧]، وتفسير النسفي، جـ١، ص: [٣٣٤].

ولما تأخر المسلمون عن الجهاد وتخليص إخوانهم المستضعفين عاتبهم الله ﷻ على ذلك، وحثهم على المبادرة بإنقاذ إخوانهم المستضعفين والمستضعفات[1] لقوله ﷻ: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ أي في سبيل الله، وسبيل المستضعفين[2] وإنما مُنع المؤمنون من قتال أهل مكة عام الحديبية لما صُدَّ النبي ﷺ وأصحابه عن الحرم لئلا يقع بالمستضعفين والمستضعفات أذى من إخوانهم المؤمنين خطأً بهجومهم على الكفار.

قال ابن كثير رحمه الله: " قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ ﴾ أي بين أظهرهم ممن يكتم إيمانه ويخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم، لكنا سلطناكم عليهم فقتلتموهم وأبدتم خضراءهم ولكن بين أفنائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا تعرفونهم حالة القتل، ولهذا قال: ﴿ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ ﴾[3] وهذا من حكمة الله تعالى ورحمته بأوليائه".

الأحكام المستفادة من القصة

1) إن المستضعف في بلدٍ ويعجز عن الهجرة منها معذور[4] أخذاً من الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ

---

(1) تفسير ابن كثير، جـ2، ص: [314]، وتفسير البغوي، جـ1، ص: [452].
(2) فتح القدير، جـ1، ص: [487]، ومعاني القرآن للزجاج، جـ2، ص: [77].
(3) تفسير ابن كثير، جـ7، ص: [325]، وانظر: تفسير القرطبي، جـ16، ص: [285]، وتفسير البغوي، جـ4، ص: [203-204]، وتفسير البحر المحيط، جـ8، ص: [98].
(4) انظر: تفسير ابن كثير، جـ2، ص: [343]، وفتح الباري، جـ8، ص: [113]، والسيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة لأبي شهبة، جـ2، ص: [39].

وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾، وعسى من الله واجب لأنه للإطماع، والله تعالى إذا أطمع عبداً وصله إليه[1] وفي الآية الكريمة دليلٌ على أن من عجز عن المأمور من واجب وغيره فإنه معذور كما قال تعالى في عموم الأوامر[2]: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[3] وقال النبي ﷺ: ((إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم))[4].

٢) جواز التقية[5] لمن كان مضطهداً في دينه عاجزاً عن الهجرة[6] وذلك من لوازم المحافظة على أنفسهم في دار الكفر، وقد قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[7] وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ ﴾ يشعرُ بأن أولئك المؤمنين قد عملوا بالتقية ولهذا لم يعلم المؤمنون المهاجرون بحالهم.

٣) إن المستضعف في حكم المكره[8] فهو معذور وقد قال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ

---

(١) تفسير البغوي، جـ١، ص: [٤٧٠].
(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي بتصرف، جـ١، ص: [٣٩٢-٣٩٣].
(٣) سورة التغابن، الآية: [١٦].
(٤) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، جـ٢، ص: [٩٧٥].
(٥) التقية هي موالاة الكفار في الظاهر عند الخوف منهم. انظر: فتح القدير، جـ١، ص: [٣٣١].
(٦) في ظلال القرآن، جـ٢، ص: [٧٤٣].
(٧) سورة آل عمران، الآية: [٢٨].
(٨) انظر: فتح الباري، جـ١٢، ص: [٣٢٨].

وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

وعن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال: أخذ المشركون عمار ابن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ قال: ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله ، ما تُركت حتى نلت منك ، وذكرت آلهتهم بخير ، قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان قال: إن عادوا فعد[2].

٤) وجوب الهجرة عندما يحال بين المؤمن وعبادة ربه تعالى ويؤخذ هذا من استثناء المستضعفين من غيرهم في العفو عنهم[3].

٥) لزوم استنقاذ المسلم من أيدي الكفار ، ومثل هذا استنقاذه من كل مضرة من ظالم أو لص وغير ذلك[4] أخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ـ ﴾.

٦) وجوب الأخذ بالحيطة في معاملة المسلمين حتى لا يؤذى مؤمن أو مؤمنة بغير علم[5] ويؤخذ من قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ

---

(١) سورة النحل، الآية: [١٠٦].

(٢) المستدرك للحاكم، جـ٢، ص: [٣٥٧]، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) الإكليل، ص: [٩٩]، وانظر: تفسير القاسمي، جـ٥، ص: [١٤٩١]، وأيسر التفاسير للجزائري، جـ١، ص: [٤٤٦].

(٤) تفسير القاسمي، جـ٥، ص: [١٣٩٧]، وانظر: أيسر التفاسير للجزائري، جـ١، ص: [٤٢٨].

(٥) أيسر التفاسير للجزائري، جـ٤، ص: [٢٨٠].

وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

٧) جواز الحيلة على العدو للنجاة من بطشه وظلمه[١] أخذاً من قوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾.

الدروس والعبر

١) شدة عداوة الكفار للمسلمين حيث إنهم لا يكتفون بكفرهم بل يصدون من آمن بالله عن دينهم كما فُعِل بالمستضعفين بمكة وقد قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾[٢].

٢) يُسر هذه الشريعة في العفو عن المكره قال ﷺ: ((إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه))[٣].

٣) لجوء المؤمن إلى ربه ﷻ عند حلول المصائب بالدعاء والاستغاثه كما صنع أولئك المستضعفون. وأما المقالة المنسوبة إلى إبراهيم عليه السلام حينما أُلقي في النار أنه قال: ((علمه بحالي يغني عن سؤالي)) فهي باطلة[٤].

٤) إن دعاء الله تعالى والاستغاثة به تكون بندائه بوصف الربوبية لما فيها من معنى الافتقار والحاجة إلى رحمة الله وإعانته، أخذاً من قوله: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾.

---

(١) انظر: بدائع التفسير لابن القيم، جـ٢، ص: [٧٤]، وإعلام الموقّعين، جـ٣، ص: [٣٠٨].

(٢) سورة الأنعام، الآية: [٢٦].

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، جـ١، ص: [٦٥٩]، صححه الألباني في المشكاة، ح: [٦٢٨٤].

(٤) انظر: كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية، ص: [٥٦].

5) إبطال مفهوم الوطنية، فإن وطن المؤمن هو الذي يقام فيه شريعة الله، وأما الذي لا يمكن إقامة شرع الله فيه فليس وطنه، وإن كان قد ولد ونشأ فيه[1] أخذاً من قوله تعالى عن المستضعفين: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾.

6) إن من لوازم الإخاء والوحدة بين المسلمين استنقاذ المظلومين من أيدي الكفار.

7) حماية الله تعالى لعباده المؤمنين من الوقوع في الخطأ والزلل بما شرعه لهم كما حماهم من قتل إخوانهم المؤمنين خطأً بتأجيل الأمر بفتح مكة.

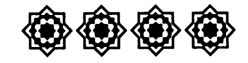
8) عناية الله تعالى بالمستضعفين من المؤمنين حيث جعل إنقاذهم من أيدي الكفار علة من علل إيجاب الجهاد[2].

9) التأكيد على أن العبد لم يخلق إلا لعبادة الله ﷻ ولهذا أمر الله تعالى بالهجرة من الأرض التي لا يتمكن العبد فيها من إقامة دين الله ﷻ، وتوعد على تركها في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[3].

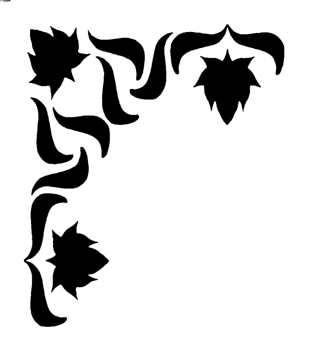
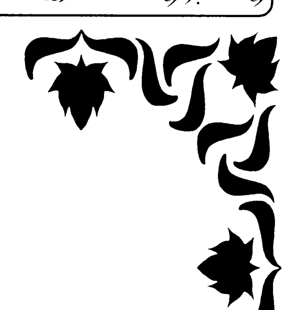
---

(1) انظر: في ظلال القرآن، جـ٢، ص: [٧٠٨].
(2) انظر: تفسير الفخر الرازي، جـ١٠، ص: [١٨٧].
(3) سورة النساء، الآية: [٩٧].

١٠) فضل الهجرة إلى الله تعالى لكونها قربة إليه سبحانه وسبباً لتكفير الذنوب قال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾(١) كما أن الهجرة سبب في التفاضل في الإمامة قال ﷺ: ((**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة**))(٢).

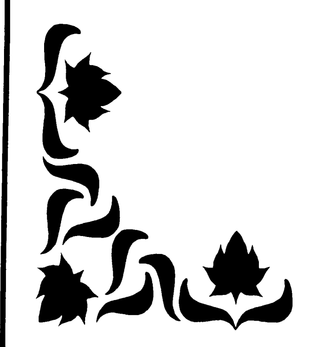


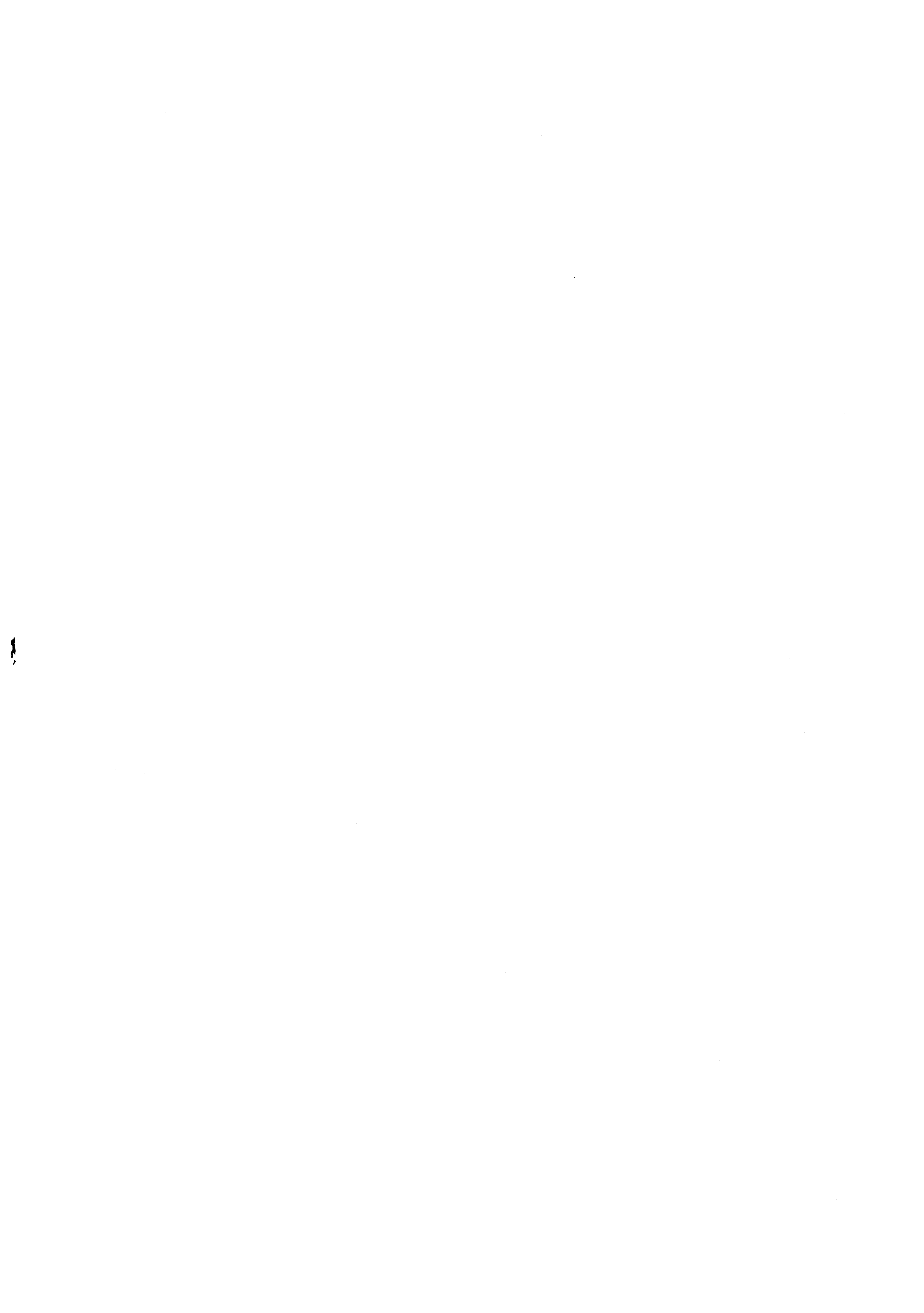
(١) سورة آل عمران، الآية: [١٩٥].
(٢) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، جـ١، ص: [٤٦٥].

الفصل الثالث

قصة
المرأة الحمقاء



قصة المرأة الحمقاء

المدخل إلى القصة

الوقت هو عمر الإنسان ، فينبغي للعاقل أن يستثمره فيما ينفعه في أمر دينه ودنياه ، وأن لا يضيعه في اللهو والعبث كما يفعل السفهاء والجهلاء قال رسول الله ﷺ: ((**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**))[1] .

وقد ذكر القرآن الكريم لنا خبر امرأة عابثة حمقاء بلغت في حالها الذروة في الجهل.

قال الحافظ محمد بن حبان البستي: " فالجاهل يقال له في أول درجته المائق ثم الرقيع ثم الأنوك ثم الأحمق "[2].

وقد ورد ذكرها في موضع واحد من كتاب الله العزيز:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[3].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلاّ عيش الآخرة، جـ١١، ص: [٢٣٣].

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص: [١٧].

(٣) سورة النحل، الآية: [٩٢].

معاني مفردات آية القصة

﴿ نَقَضَتْ ﴾ : النقض هو انتثار العقد من البناء والحبل والعِقد وهو ضد الإبرام[1].

﴿ غَزْلَهَا ﴾ : الغزل: فتل القطن أو الصوف[2]، والغزل مصدر بمعنى المفعول أي المغزول[3].

﴿ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ﴾ : من بعد إبرام[4].

﴿ أَنكَاثًا ﴾ : يعني أنقاضا، وكل شيء نُكِث بعد الفتل فهو أنكاث ، واحدها نِكْث حبلاً كان ذلك أو غزلاً[5].

التعريف بالمرأة

اختلف المفسرون في المراد بالتي نقضت غزلها على قولين:

القول الأول: إنها امرأة معروفة كانت بمكة ، واختلفوا في اسمها.

قال مقاتل: " اسمها ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم "[6].

وقال البلاذري: " هي والدة أسد بن عبدالعزى بن قصي ، وهي ابنة سعد بن تميم بن مرة "[7].

---

(١) المفردات للراغب، ص: [٥٠٤].

(٢) انظر: لسان العرب، جـ١١، ص: [٤٩٢].

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور، جـ١٤، ص: [٢٦٥]، وانظر: الصحاح للجوهري، جـ٥، ص: [١٧٨١].

(٤) تفسير الطبري، جـ١٤، ص: [١٦٥]، وانظر: تأويل مشكل القرآن، ص: [٣٨٦-٣٨٧]، ومعاني القرآن للفرَّاء، جـ٢، ص: [١١٢].

(٥) تفسير الطبري، جـ١٤، ص: [١٦٦]، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب، جـ١، ص: [٢٩٧]، وانظر: تفسير المشكل من غريب القرآن، ص: [١٣٣].

(٦) فتح الباري، جـ٨، ص: [٢٣٨-٢٣٩].

(٧) المصدر السابق، جـ٨، ص: [٢٣٩]، والتعريف والإعلام للسهيلي، ص: [٩٥].

وقال أبو بكر بن أبي حفص: " هي سعيدة الأسدية "[1].

وقال عبدالله بن كثير والسدي: " هي امرأة خرقاء كانت بمكة "[2].

وقال ابن عاشور: " وعبر عنها بطريق الموصولية لاشتهارها بمضمون الصلة ، ولأن مضمون الصلة هو الحال المشبهة في هذا التمثيل، ولأن القرآن لم يذكر بالاسم العلم إلا من اشتهر بأمر عظيم مثل جالوت وقارون[3].

القول الثاني: إنه مثل لمن نقض عهده بعد توكيده . وهذا قول مجاهد وقتادة وابن زيد[4] وتبعهم على هذا القول ابن كثير[5] وأبو حيان[6] والألوسي[7] .

والذي يظهر لي أن الآية ضربت مثلاً فيمن كانت تلك صفته إذ إنه لم يرد فيما أعلم دليل يعين من نزلت فيه الآية، فتكون هذه المرأة المشهورة والتي سأورد قصتها داخلةً في معنى الآية والله تعالى أعلم.

عرض القصة

ذكر الله تعالى في الآية خبر تلك المرأة الحمقاء ، وذلك أنها كانت تغزل غزلها وتفتله محكماً ثم تحله[8] .

---

(١) لباب النقول، ص: [١٣٤].

(٢) تفسير الطبري، جـ١٤، ص: [١٦٥]، وفتح الباري، جـ٨، ص: [٢٣٨-٢٣٩]، وتفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٥١٨].

(٣) التحرير والتنوير، جـ١٤، ص: [٢٦٤].

(٤) تفسير الطبري، جـ١٤، ص: [١٦٦]، وفتح الباري، جـ٨، ص: [٢٣٩]، وتفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٥١٨].

(٥) تفسير ابن كثير، جـ٤، ص: [٥١٨].

(٦) تفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٥٣١].

(٧) روح المعاني، جـ١٤، ص: [٢٣١].

(٨) تفسير القرطبي، جـ١٠، ص: [١٧١].

وقد ذكر بعض المفسرين تفصيلاً لهذا الخبر فقالوا عنها: إنها امرأة كانت بمكة وكانت حمقاء بها وسوسة، وقد اتخذت مغزلاً قدر ذراع وسنارة مثل الأصبع وفلكة(١) عظيمة، وكانت تغزل الغزل من الصوف أو الشعر أو الوبر، وتأمر جواريها بالغزل، وكن يغزلن من الغداة إلى نصف النهار، فإذا انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ما غزلن، فما كان غزلاً واحداً جعلته خيوطاً عديدة فصيرته إلى الحالة التى كان عليها قبل الغزل، وكان هذا دأبها(٢).

الدروس والعبر

١) إن التشبيه وسيلة من وسائل الوعظ أخذاً من قوله: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا ﴾.

٢) إن المرء إذا خالف سبيل العقلاء فهو عرضة للذم والتشهير أخذاً من ضرب المثل بهذه المرأة.

٣) إن الغزل والنسيج من الأعمال التى يمكن للمرأة أن تقوم بها ولا غضاضة عليها في ذلك، إذ إن القرآن الكريم أنكر نقض الغزل ولم يعب الغزل بذاته.

٤) العمل النافع لا ينبغي إفساده دون مبرر أخذاً من ذم القرآن لتلك المرأة في صنيعها.

٥) تحذير المؤمنين من التشبه بحال السفهاء أخذاً من النهي عن التشبه بحال تلك المرأة.

---

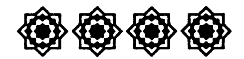
(١) سُميّت فلكة المغزل بذلك لاستدارتها. انظر: الصحاح، جـ٤، ص: [١٦٠٤].

(٢) تفسير البغوي، جـ٣، ص: [٨٢]، وتفسير الخازن، جـ٤، ص: [١١١،١١٢]، وزاد المسير لابن الجوزي، جـ٤، ص: [٤٨٥]، وتفسير البحر المحيط، جـ٥، ص: [٥٣٥]، وفتح الباري، جـ٨، ص: [٢٣٨،٢٣٩]، والتحرير والتنوير لابن عاشور، جـ١٤، ص: [٢٦٥]، بتصرف.

٦) إذا كان الغرض التحذير من صفة فلا داعي لذكر اسم صاحب تلك الصفة أخذاً من ذكر القرآن صفة تلك المرأة دون اسمها.

٧) إن ذكر الوصف المذموم إنما يكون لمناسبةٍ تستدعي ذلك كمناسبة التحذير من التشبه بحال تلك المرأة.

٨) مدح إتقان العمل أخذاً من قوله تعالى: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ ﴾ ، وقال ﷺ: ((**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**))[1]، وقال ﷺ: ((**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**))[2].



---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، جـ٤، ص: [٩٨]، وقال رواه أبو يعلى وفيه مصعب بن ثابت وثّقهُ ابن حبان وضعّفهُ جماعة . وصحّحَهُ الألباني في السلسلة الصحيحة، جـ٣، ص: [١٠٦]، ح: [١١١٣]، وعزاه للبيهقي.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الديات، باب ما جاء في النهي عن المثلة، جـ٤، ص: [٢٣]، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح، وسنن ابن ماجه، كتاب الذبائح، باب إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، جـ٢، ص: [١٠٥٨]، وسنن النسائي، كتاب الضحايا، باب الأمر بإحداد الشفرة، جـ٧، ص: [٢٢٧]، وسنن أبي داود، كتاب الأضاحي، باب في النهي أن تصبر البهائم والرفق بالذبيحة، جـ٣، ص: [١٠٠].

** الخاتمة **

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد

- فقد تبين في هذا البحث أنه قد ورد في القرآن الكريم ثمان وعشرون قصة من قصص النساء ، وهذا العدد أكثر بكثير مما حوته الكتب التي تحدثت عن قصص النساء في القرآن الكريم
- ويتبين بهذا العدد الكبير لقصص النساء في القرآن الكريم عناية القرآن بالمرأة حيث أورد لها تلك القصص لتستفيد منها أحكاماً ودروساً وعبراً تعينها على السير في هذه الحياة على نور وبصيرة.
- كما تبين بهذا البحث عناية علماء الأمة قديماً وحديثاً باستنباط الأحكام والدروس والعبر من هذه القصص.
- وكذلك تبين لي أيضاً أنه كلما تبصر المرء وتدبر بآيات القرآن الكريم وجد من العلوم الكثير والكثير واستنبط الفوائد والأسرار الجليلة.

❖ كما تبيّن لي من خلال بحثي المتواضع أن أفضل الكتب التى اطلعت عليها في القصص هو كتاب ((قصص الأنبياء(١))) لابن كثير رحمه الله، فهو يعرض القصة بأسلوب أدبي رفيع، ويقف أحياناً عند الروايات الإسرائيلية فينقدها، وينبه أحياناً على الأحاديث الواردة في القصص من حيث الصحة أو الضعف.

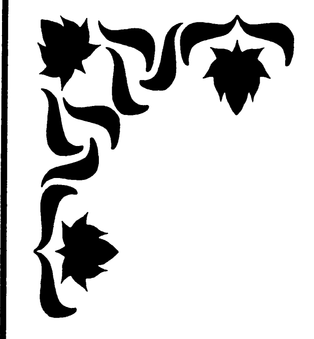
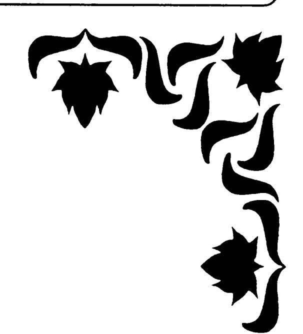
❖ كما وجدت من خلال بحثي أن العناية بذكر الدروس والعبر في كتب المتأخرين أكثر منها في كتب المتقدمين كما في كتاب ((تيسير اللطيف المنان)) للشيخ عبدالرحمن ابن سعدي ((وأيسر التفاسير)) للشيخ أبي بكر الجزائري وغيرهما.

وأخيراً فإن هناك موضوعاً يتبع هذا الموضوع وهو جدير بالجمع والبحث والدراسة ألا وهو قصص النساء في أسباب النزول والدروس والعبر المستفادة منها ؛ لتعظم الفائدة للمرأة المسلمة ، وترى مدى عناية الإسلام بها حيث نزلت بعض آيات الكتاب العزيز لسببهن ولأجلهن، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

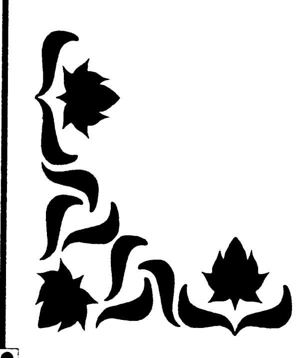
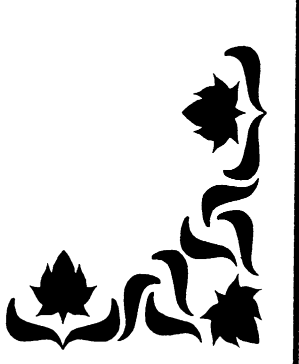
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(١) وهو مستلٌ من كتاب ((البداية)) في التاريخ والسيرة.

الفهارس

أولاً : فهرس المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم

٢ - إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع
تأليف الإمام عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة،تحقيق محمود عبدالخالق محمد جادو.

٣ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر
تأليف العالم الشيخ أحمد بن عبدالغني الدمياطى الشافعى الشهير بالبنا،تحقيق علي محمد الضباع، بيروت - دار الندوة.

٤ - أحكام القرآن
تأليف الإمام حُجة الإسلام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، بيروت - دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٣٣٥هـ.

٥ - أحكام القرآن
للإمام الفقيه عماد الدين بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي، بيروت - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٦ - أحكام القرآن
للإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعى، جمعه الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ.

٧ - أحكام القرآن
لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، تحقيق على محمد البجاوي، بيروت - دار الجيل، ١٤٠٧هـ.

٨ - أحكام النساء
للحافظ عبدالرحمن بن علي بن الجوزي،تحقيق ودراسة وتعليق علي ابن محمد يوسف المحمدي، بيروت - المكتبة العصرية، ١٤٠٨هـ.

٩ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم
لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي، بيروت - دار إحياء التراث العربي.

١٠- أزواج النبي ﷺ اللاتي دخل بهن أو عقد عليهن أو خطبهن وبعض فضائلهن
للإمام محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي، حقق نصوصه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه محمد نظام الدين الفتيح، المدينة المنورة - مكتبة دار التراث، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١١- أسباب النزول
تأليف الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري،تحقيق سيد أحمد صقر، جدة - دار القبلة للثقافة الإسلامية، بيروت - مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

١٢- الاستيعاب في أسماء الأصحاب
للفقيه الحافظ المحدث ابن عبد البر القرطبي المالكي، بحاشية الإصابة، بيروت - دار الكتاب العربي.

١٣- الإسرائيليات في التفسير والحديث
للدكتور محمد حسين الذهبي، الأزهر - دار التوفيق النموذجية، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

١٤- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير
لمحمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ.

١٥- أسرار التكرار في لغة القرآن
تأليف د. محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى ١٤٠٣ﻫ.

١٦- الإصابة في تمييز الصحابة
لشيخ الإسلام إمام الحفاظ شهاب الدين الفقيه أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكنانى العسقلاني الشافعى المعروف بابن حجر، بيروت - دار الكتاب العربي.

١٧ - إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم
للفقيه المفسر الجامع الحسين بن محمد الدامغانى، تحقيق عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م.

١٨- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع
لعبدالرحمن النحلاوي، دمشق - دار الفكر، الطبعة الأولى ١٣٩٩ﻫ - ١٩٧٩م

١٩- أصول في التفسير
تأليف محمد بن صالح العثيمين، دار ابن القيم، الطبعة الأولى ١٤٠٩ﻫ.

٢٠- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن
تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، بيروت - عالم الكتب.

٢١- أطلس تاريخ الإسلام
د. حسين مؤنس، القاهرة - الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٧ﻫ.

٢٢- اعلام الموقعين عن رب العالمين
لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨٨ﻫ.

٢٣- **الإكليل في استنباط التنزيل**
للحافظ العلامة الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق سيف الدين عبدالقادر الكاتب، بيروت - دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٢٤- **الأنموذج الجليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل**
للإمام زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر بن عبدالمحسن الرازي الحنفي، تحقيق الشيخ إبراهيم عطوة عوض.

٢٥- **إيجاز البيان في سور القرآن**
تأليف محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

٢٦- **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**
لأبي بكر جابر الجزائري الواعظ بالمسجد النبوي الشريف، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٢٧- **الإيمان**
لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق هاشم محمد الشاذلي، القاهرة - دار الحديث.

٢٨- **البداية والنهاية**
لعماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مصر - دار نهر النيل.

٢٩- **بدائع التفسير**
للإمام المحدث المفسر الفقيه شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن القيم، جمعه ووثق نصوصه وخرَّج أحاديثه يسري السيد محمد، المملكة العربية السعودية - دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٣٠- **بدائع الفوائد**
للعلامة الإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشتهر بابن قيم الجوزية، بيروت - دار الكتاب العربي.

٣١- **البرهان في توجيه متشابه القرآن**
تأليف تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني،تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، بيروت - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٣٢- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**
تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى،تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٣٣- **تأويل مشكل القرآن**
لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، شرحه ونشره سيد أحمد صقر، بيروت - دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.

٣٤- **تاريخ الأمم والملوك**
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، بيروت - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٣٥- **تاريخ اليعقوبي**
أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ.

٣٦- **تحبير التيسير في قراءة الأئمة العشرة**
للإمام محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري ، بيروت - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٣٧- **التحرير والتنوير**
لمحمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية.

٣٨- تحفة المودود بأحكام المولود
تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجيزية، تصحيح وتعليق عبد الحكيم شرف الدين، الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ.

٣٩- تذكرة الأريب في تفسير الغريب
للإمام أبي الفرج ابن الجيزة، تحقيق د. علي حسين البواب، الرياض - مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٤٠- تراجم سيدات بيت النبوة
للدكتورة عائشة عبدالرحمن - بنت الشاطئ، بيروت - دار الكتاب العربي ١٤٠٤هـ.

٤١- التسهيل لعلوم التنزيل
للشيخ الإمام محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، بيروت - دار الفكر.

٤٢- التعريف بالقرآن والحديث
تأليف محمد الزفزاف، بيروت - دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

٤٣- التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم
الإمام أبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي، تحقيق الأستاذ عبدو مهنا، بيروت-دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٤٤- تفسير البحر المحيط
لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، بيروت - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٤٥- تفسير الجلالين
العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي والشيخ المتبحر جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، بيروت - دار المعرفة.

٤٦- **تفسير سورة النور**
لأبي الأعلى المودودي، بيروت - مؤسسة الرسالة.

٤٧- **تفسير غريب القرآن**
لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة،تحقيق سيد أحمد صقر، بيروت - دار الكتب العلمية ١٣٩٨ هـ.

٤٨- **تفسير القرآن العظيم**
لأبي الفداء إسماعيل عماد الدين بن عمر بن كثير، تحقيق عبدالعزيز غنيم و محمد أحمد عاشور و محمد إبراهيم البنا، القاهرة - دار الشعب.

٤٩- **التفسير القيم**
للإمام ابن القيم، جمعه محمد أويس الندوي، حققه محمد حامد الفقي، القاهرة - مكتبة السنة المحمدية.

٥٠- **التفسير الكبير ومفاتح الغيب**
للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة خير الدين عمر المشتهر بخطيب الري، بيروت - دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٥١- **تفسير المراغي**
تأليف الأستاذ أحمد مصطفى المراغي أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم سابقا، بيروت - دار إحياء التراث العربي.

٥٢- **تفسير المشكل من غريب القرآن**
للإمام مكي بن أبي طالب القيسي،تحقيق د. علي حسين البواب، الرياض - مكتبة المعارف ١٤٠٦هـ.

٥٣- **التفسير الواضح**
د. محمد محمود حجازي، مطبعة الاستقلال الكبرى، الطبعة السادسة ١٣٨٩هـ.

٥٤- التفسير والمفسرون
تأليف د. محمد حسين الذهبي، القاهرة - دار الكتب الحديثة.

٥٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان
لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، جدة - دار المدني.

٥٦- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن
تأليف عبدالرحمن بن ناصر السعدي ١٤٠٠هـ.

٥٧- جامع الأصول في أحاديث الرسول
للإمام محمد بن الأثير الجزري، بيروت - دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٥٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، مصر - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ.

٥٩- الجامع الصحيح
لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي،تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، بيروت - دار إحياء التراث العربي.

٦٠- الجامع لأحكام القرآن
لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، بيروت - دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٦١- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي
المسمى الداء والدواء، تأليف الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، مكتبة الرياض الحديثة

٦٢- حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة
تأليف محمد صديق حسن خان،تحقيق شعيب الأرنؤوط ١٣٩٩هـ.

٦٣- حياة محمد
د. محمد حسين هيكل، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة عشر.

٦٤- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون
تأليف أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي،تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دمشق - دار العلم، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٦٥- الدر المنثور في التفسير المأثور
للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، بيروت - دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٦٦- دعوة الرسل إلى الله تعالى
لمحمد أحمد العدوي، بيروت - دار الفكر.

٦٧- رجال أنزل الله فيهم قرآنا
د. عبد الرحمن عميرة، بيروت - دار الجيل، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

٦٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني
للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، بيروت - دار الفكر.

٦٩- الروض المعطار في خبر الأقطار
تأليف محمد بن عبد المنعم الحميري، حققه د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية ٩٨٤هـ.

٧٠- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء
للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي،تحقيق وتصحيح محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.

٧١- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل
لشيخ الإسلام موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، بيروت - دار الفكر العربي، وبحاشيته نزهة الخاطر العاطر.

٧٢- زاد المسير في علم التفسير
الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، بيروت - دمشق - المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

٧٣- زاد المعاد في هدي خير العباد
شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن القيم، حقق نصوصه شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الثالثة عشر ١٤٠٦هـ.

٧٤- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام
للشيخ الإمام محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني، تحقيق فواز أحمد زمرلي و إبراهيم محمد الجمل ، دار الريان للتراث، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.

٧٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها
محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

٧٦- سنن أبي داود
للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر للطباعة والنشر.

٧٧- سنن ابن ماجه
الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

٧٨- **سنن النسائي**
بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، بيروت - لبنان، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٧٩- **السيرة النبوية**
لابن هشام، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، القاهرة - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ.

٨٠- **السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة**
د. محمد بن محمد أبو شهبة، دمشق - دار القلم، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

٨١- **شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات النبي ﷺ.**
لمحمد علي الصابوني ١٤٠٠هـ.

٨٢- **شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة**
د. محمد علي الهاشمي، بيروت - دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٨٣- **شذا العرف في فن الصرف**
تأليف الأستاذ الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، ضبطه وعلق عليه يوسف علي بديوي، دمشق - بيروت - دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٨٤- **شرح العقيدة الطحاوية**
للقاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشير محمد عيون، بيروت - مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٨٥- شرح قطر الندى وبل الصدى
لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق الفاخوري، بيروت - دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٨٦- شرح مختصر الروضة
تأليف نجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبدالكريم ابن سعيد الطوفي، تحقيق د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٨٧- شرح النووي على صحيح مسلم
للإمام يحيى بن شرف النووي، المطبعة المصرية.

٨٨- الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ.
لشيخ الاسلام ابن تيمية،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة الحرس الوطني، مؤسسة الممتاز للطباعة.

٨٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية
تأليف إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت - دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

٩٠- صحيح البخاري مع الفتح
دار الريان، المكتبة السلفية.

٩١- صحيح الجامع الصغير وزيادته ((الفتح الكبير))
محمد ناصر الدين الألباني، بيروت - المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ.

٩٢- صحيح سنن أبي داود
محمد ناصر الدين الألباني، الرياض - مكتب التربية العربي لدول الخليج، بيروت - المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٩٣- صحيح سنن ابن ماجة
محمد ناصر الدين الألباني، الرياض - مكتب التربية العربي لدول الخليج، بيروت - المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٩٤- صحيح مسلم
للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

٩٥- صفة الصفوة
للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، حققه وعلق عليه محمود فاخوري، خرج أحاديثه د. محمد روّاس قلعجي، بيروت - دار المعرفة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

٩٦- الطبقات الكبرى
لمحمد بن سعد، بيروت - دار صادر.

٩٧- غريب الحديث
لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه د. عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٩٨- الفائق في غريب الحديث
للعلامة جار الله محمود بن عمر الز مخشري،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، بيروت - لبنان - دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية.

٩٩- فتح الباري لشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري
للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

١٠٠- فتح القدير
لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ.

١٠١- الفوائد
تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشتهر بابن قيم الجوزية،تحقيق أحمد راتب عرموش، بيروت - دار النحاس، الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ.

١٠٢- في ظلال القرآن
سيد قطب، بيروت - والقاهرة - دار الشروق، الطبعة العاشرة ١٤٠٢هـ.

١٠٣- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة
تأليف شيخ الإسلام أحمد بن تيمية،تحقيق ربيع بن هادي عمير المدخلي، دمنهور - مكتبة لينة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

١٠٤- القاموس المحيط
لمجد الدين محمود بن يعقوب الفيروزآبادي، بيروت - دار الجيل.

١٠٥- قصص الأنبياء
لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي الدمشقي، بيروت - لبنان - مؤسسة أبو الطيب للثقافة، الطبعة الثالثة ١٩٩٢م.

١٠٦- قصص العرب
تأليف محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دمشق - دار الفكر، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

١٠٧- القصص في الحديث النبوي
دراسة فنية وموضوعية، تأليف د. محمد بن حسن الزير، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

١٠٨- القصص القرآني بين الآباء والأبناء
عماد زهير حافظ، دمشق دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٠٩- القواعد الحسان لتفسير القرآن
تأليف علامة نجد عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الرياض - مكتبة المعارف، ١٤٠٢هـ.

١١٠- الكامل في التاريخ
للإمام العلامة أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ.

١١١- كتاب الكبائر
للإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي التركماني الدمشقي الشافعي، بيروت - دار الكتب العربية للطباعة والنشر والتوزيع.

١١٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل
لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأخيرة ١٣٩٢هـ.

١١٣- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها
لمؤلفه أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، بيروت - مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

١١٤- لباب التأويل في معاني التنزيل
لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ.

١١٥ - لباب النقول في أسباب النزول
تأليف جلال الدين السيوطي، دار إحياء العلوم، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ.

١١٦ - لسان العرب
للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر.

١١٧ - مباحث في علوم القرآن
لمناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١١٨ - المجموع شرح المهذب
للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، دار الفكر.

١١٩ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية
جمع وترتيب الفقير الى الله عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي - رحمه الله - ، مكة المكرمة - الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، ١٤٠٤هـ.

١٢٠ - محاسن التأويل
تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمي،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مصر - دار إحياء الكتب العربية.

١٢١ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي،تحقيق المجلس العلمي بفاس، القاهرة - دار الكتاب الإسلامي ١٣٩٥هـ.

١٢٢ - المحصول في علم أصول الفقه
للإمام فخر الدين محمد بن عمر الحسين الرازي،تحقيق د. طه جابر فياض العلواني، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٢٣- مختار الصحاح
تأليف عبد القادر الرازي، بيروت - دار الكتاب العربي ١٤٠١هـ.

١٢٤- مدارك التنزيل وحقائق التأويل
للإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، بيروت - دار الكتاب العربي.

١٢٥- مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر للعلامة ابن قدامة
للشيخ محمد الأمين المختار الشنقيطي، بيروت - دار القلم.

١٢٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر
تأليف أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت - دار المعرفة.

١٢٧- مرويات غزوة بني المصطلق
لإبراهيم بن إبراهيم قريبي، جمع وتحقيق ودراسة المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة - إحياء التراث الإسلامي.

١٢٨- المستدرك على الصحيحين
للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، بيروت - لبنان - دار الكتاب العربي.

١٢٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال
للمتقي الهندي، بيروت - دمشق - المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ.

١٣٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل
تحقيق شعيب الأرنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي وعادل مرشد وإبراهيم الزيبق و محمد رضوان العرقسوسي وكامل الخراط، بيروت - مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٣١- مشكاة المصابيح
تأليف محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي،تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، بيروت - المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

١٣٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي
تأليف العالم أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، بيروت - لبنان - المكتبة العلمية.

١٣٣- مع الأنبياء في القرآن الكريم
تأليف عفيف عبد الفتاح طبارة ، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة عشرة ١٩٨٤م.

١٣٤- معالم التنزيل
للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، بيروت - دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٣٥- معاني القرآن وإعرابه
للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري،تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، بيروت - عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٣٦- معاني القرآن
لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، بيروت - عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

١٣٧- المعجزة الكبرى ((القرآن))
لمحمد أبو زهرة، القاهرة - دار الفكر العربي.

١٣٨- معجم البلدان
لياقوت الحموي، بيروت - دار صادر ١٤٠٤هـ.

١٣٩- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع
تأليف عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

١٤٠- مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش
للدكتور زاهر عواض الألمعي، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ.

١٤١- معجم مقاييس اللغة
لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت - دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

١٤٢- المغني
لابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي، تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، د. عبدالفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٤٣- المفردات في غريب القرآن
لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت - دار المعرفة.

١٤٤- المفصل في أحكام المرأة
تأليف عبد الكريم زيدان، بيروت - مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

١٤٥- مناهل العرفان في علوم القرآن
لمؤلفه محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثالثة.

١٤٦- منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ
لمحمد بن الحسن بن زبالة، تحقيق أكرم ضياء العُمري، المدينة المنورة - المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠١هـ.

١٤٧- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك
لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، بيروت - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٤٧- منهج التربية الإسلامية
محمد قطب، بيروت - دار الشروق، الطبعة الثامنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٤٨- موارد الظمآن لدروس الزمان
تأليف عبد العزيز المحمد السلمان، الطبعة التاسعة عشر ١٤١٠هـ.

١٤٩- الموطأ
لإمام الأئمة وعالم المدينة مالك بن أنس، صححه ورقمه وأخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة - دار إحياء الكتب العربية.

١٥٠- النشر في القراءات العشر
للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، صححه وراجعه علي محمد الضباع، بيروت - دار الكتب العلمية

١٥١- نظرات في أحسن القصص
د. محمد السيد الوكيل، بيروت - الدار الشامية، دمشق - دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٥٢- النهاية في غريب الحديث والأثر
للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير،تحقيق طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، لبنان - بيروت - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٥٣- هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب
تأليف أبي بكر جابر الجزائري، دار الشروق، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ .

ثانياً : فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

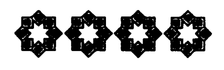
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



اســـم الكتـــاب			مؤلف / محقق / مترجم	السعر
• حكم تارك الصلاة – وجوب صلاة الجماعة	(أردو)	(غلاف)	ابن عثيمين/ وابن باز/ شبير بن نور	٢
• فضل تعدد الزوجات		(غلاف)	خالد الجريسي	٣
• فضل تعدد الزوجات	(إنجليزي)	(غلاف)	خالد الجريسي/ إبرار أحمد	٤
• الفتاوى الاجتماعية جـ١-٤		(غلاف)	ابن باز وابن عثيمين/خالد الجريسي	١٢
• المزاح بين المشروع والممنوع		(غلاف)	عبدالعزيز الجطيلي	٢
• الشباب ولذة التعبد		(غلاف)	عادل العبدالعالي	٢
• التعليقات المفيدة على الكتب العديدة		(غلاف)	أبو الأشبال أحمد شاغف	٢٠
• علم التوحيد للناشئة	(فارسي)	(غلاف)	إسحاق العوضي	٤
• عقيدة أهل السنة والجماعة	(فارسي)	(غلاف)	محمد بن عثيمين/ إسحاق العوضي	٤
• صلاة الجماعة	(فارسي)	(غلاف)	إسحاق العوضي	٢
• الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة	(فارسي)	(غلاف)	محمد بن عبدالوهاب/ إسحاق العوضي	٢
• وجوب العمل بالسنة وكفر من أنكرها	(فارسي)	(غلاف)	ابن باز/ إسحاق العوضي	٢
• تعليم الصلاة	(فارسي)	(غلاف)	عبدالله الزيد/ إسحاق العوضي	٢
• نواقض الإسلام	(فارسي)	(غلاف)	ابن باز/ إسحاق العوضي	٢
• عقيدة كل مسلم	(فارسي)	(غلاف)	محمد جميل زينو/ إسحاق العوضي	٢
• الإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة	(فارسي)	(غلاف)	صالح الفوزان/ إسحاق العوضي	٢
• رسالة أخوية	(فارسي)	(غلاف)	خالد المهيدب/ إسحاق العوضي	٤
• القبر عذابه ونعيمه	(فارسي)	(غلاف)	حسين العوايشة/ إسحاق العوضي	٥
• مختصر مناسك الحج	(فارسي)	(غلاف)	إسحاق العوضي	٢
• صفة الصلاة	(فرنسي)	(غلاف)	عبدالرحمن العيسى	٢

كتب تحت الطبع

• التوحيد	(فرنسي)	(غلاف)	عبدالرحمن العيسى
• كتاب التوحيد	(أردو)	(غلاف)	محمد بن عبدالوهاب/ أبو المكرم بن عبدالجليل
• كتاب الكبائر	(أردو)	(غلاف)	الإمام الذهبي/ أبو المكرم بن عبدالجليل
• اللحية لماذا؟	(أردو)	(غلاف)	محمد أحمد اسماعيل/ أبو المكرم بن عبدالجليل
• لماذا صلاة الفجر؟	(أردو)	(غلاف)	عدنان الطرشه/ أبو المكرم بن عبدالجليل
• مجالسنا إلى أين؟	(أردو)	(غلاف)	عدنان الطرشه/ قسم الترجمة بدار الكتاب والسنة
• ولدك والتلفزيون	(أردو)	(غلاف)	عدنان الطرشه/ قسم الترجمة بدار الكتاب والسنة
• جسمك والتلفزيون	(أردو)	(غلاف)	عدنان الطرشه/ قسم الترجمة بدار الكتاب والسنة
• قصص النساء في القرآن الكريم والدروس والعبر والأحكام المستفادة منها	(أردو)	(مجلد)	محمد الحميد / قسم الترجمة بدار الكتاب والسنة
• ماذا يحب الله جلّ جلاله وماذا يبغض؟	(أردو)	(غلاف)	عدنان الطرشه/ قسم الترجمة بدار الكتاب والسنة
• ماذا يحب النبي محمد ﷺ وماذا يكره؟	(أردو)	(غلاف)	عدنان الطرشه/ قسم الترجمة بدار الكتاب والسنة
• الفتاوى الشرعية في المسائل العصرية من فتاوى علماء البلد الحرام	(اردو)	(مجلد)	ابن باز وابن عثيمين وابن جبرين والفوزان واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء خالد الجريسي/ قسم الترجمة بدار الكتاب والسنة
• الفتاوى الذهبية في الرقى الشرعية	(اردو)	(مجلد)	ابن باز وابن عثيمين وابن جبرين والفوزان واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء خالد الجريسي/ قسم الترجمة بدار الكتاب والسنة

اســـم الكتـــاب			مؤلف / محقق / مترجم
• فضل تعدد الزوجات		(غلاف)	خالد الجريسي/ قسم الترجمة بدار الكتاب والسنة
• لماذا تعدد الزوجات	(أردو)	(غلاف)	خالد الجريسي/ قسم الترجمة بدار الكتاب والسنة
• سلسلة زاد المؤمن ١٣/١	(أردو)	(غلاف)	خالد الجريسي/ قسم الترجمة بدار الكتاب والسنة
• إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري	(أردو)	(غلاف)	خالد الجريسي/ قسم الترجمة بدار الكتاب والسنة
• إدارة الوقت رؤية إسلامية	(أردو)	(غلاف)	خالد الجريسي/ قسم الترجمة بدار الكتاب والسنة
• رسائل مبكية من كلام الشيخ الحسن البصري	(أردو)	(مجلـد)	فتحي الجندي/ قسم الترجمة بدار الكتاب والسنة
• رسائل موقظة من كلام الإمام ابن الجوزي	(أردو)	(مجلـد)	فتحي الجندي/ قسم الترجمة بدار الكتاب والسنة
• غزوة فريدة ودروس عديدة	(أردو)	(غلاف)	فتحي الجندي/ قسم الترجمة بدار الكتاب والسنة
• زهر الأقاحي فيمن شبه بالنبي ﷺ في ناحية من النواحي	(أردو)	(غلاف)	محمد العثمان/ قسم الترجمة بدار الكتاب والسنة
• مقتطفات أفضل الأجور عند العزيز الغفور من كلام أول من يبعث من القبور ﷺ	(أردو)	(غلاف)	أحمد عبيد حماد/ قسم الترجمة بدار الكتاب والسنة

۞ ۞ ۞ ۞

توزيـع

مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان

ص.ب : ١٤٠٥ الـريـاض : ١١٤٣١

هاتف : ٤٠٢٢٥٦٤ ناسوخ : ٤٠٢٣٠٧٦

المملكة العربية السعودية